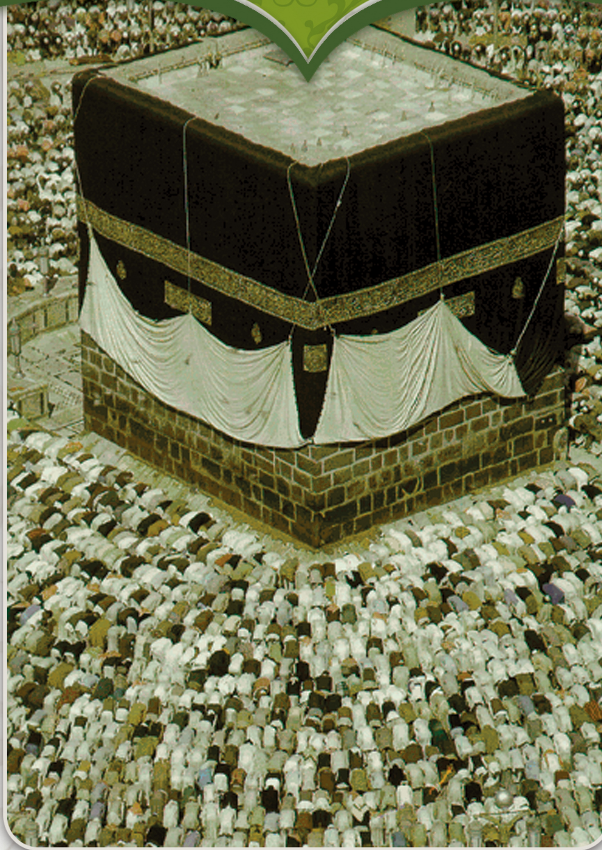
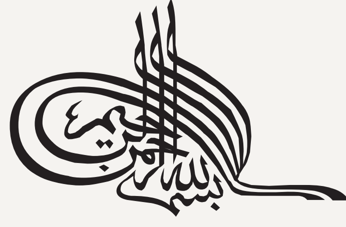
كتـــاب مـــدرسي

تاريخ الإسلام



دار الأرقم



إسطنبول: ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م

إسطنبول: ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م

اسم الكتاب باللغة التركية: İslam Tarihi (Ders Kitabı)

الترجمة للعربية: تاريخ الإسلام – كتاب مدرسي.

تأليف: مجموعة من المستشارين.

تأليف القسم الإفريقي: د. سعيد زونكو.

ترجمة: خليل أُورت.

مراجعة وتصحيح وتدقيق: أرسين إشجي أوغلو / فاطمة إشجي

تصميم وتنضيد: حسام يوسف

ISBN: ٩٧٨٩٩٤٤٨٣٦٤٧٠

Language : Arabic

طباعة وتغليف: مطبعة دار الأرقم

العنوان:



Address : Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi / Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım
No: 60/3-C . Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Phone : +90 212 671 07 00 (Pbx)
Fax : +90 212 671 07 48
E-mail : info@islamicpublishing.org
Web site : www.islamicpublishing.org

كتاب مدرسي

المرحلة الدراسية المتوسطة



تاريخ الإسلام





فهرس

الوحدة الأولى

الخلافة الراشدة/ ١٣

الوحدة الثانية

الأمويين و العباسيين/ ٤٩

الوحدة الثالثة

الإسلام في إفريقيا/ ٨٥

الوحدة الرابعة

الأتراك والإسلام/ ١١٧

الوحدة الخامسة

الخلافة العثمانية/ ١٤١

سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم مالك يوم الدين اياك
نعبد واياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين انعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين

مكية وهي سبع

الوحدة الأولى

الخلافة الراشدة

(١١-٤٠هـ / ٦٣٢-٦٦١م)

موضوعات الوحدة

- اختيار الخليفة الأول.
- عهد سيدنا أبي بكر ﵁ (١١-١٣هـ / ٦٣٢ ـ ٦٣٤م).
- عهد سيدنا عمر ﵁ (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤ ـ ٦٤٤م).
- عهد سيدنا عثمان ﵁ (٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٤ ـ ٦٥٦م).
- عهد سيدنا علي ﵁ (٣٥-٤٠هـ/ ٦٥٦ ـ ٦٦١م).
- مواعظ من الخلفاء الأربعة العظماء.

تمهيد

١. هل سمعتَ كلمة " خليفة " من قبل، هل تعرف معناها، هل تعرف أحدا كان يُنادَى بهذا اللقب؟

٢. فلنتذكر معا أسماء بعضٍ من أشهر صحابة رسول الله ﷺ .

٣. هل تعرفون كيف أدار أصحاب رسول الله ﷺ الدولة الإسلامية الناشئة بعد وفاته ؟

٤. هل تعرفون من خلف رسول الله ﷺ في حكم الدولة المسلمة، هل نستطيع أن نرتبهم بحسب الزمن؟

أ. اختيار الخليفة الأول

لما توفي نبينا ﷺ، كان أهم ما شغل الصحابة الكرام من سيخلف رسول الله عليه الصلاة والسلام في إدارة شؤون الأمة من بعده[1]، فسيدنا محمد لم يُشِرْ صراحة إلى من سيخلفه من بعده، تاركا للمسلمين أن يختاروا حاكمهم بأنفسهم .

واجتمع الصحابة يتناقشون في اختيار خليفة لرسول الله ﷺ، وكانوا على أربعة أقسام:

١. المهاجرون الذين قدموا إلى المدينة مع النبي ﷺ وكان معظمهم من قبيلة قريش.

٢. الأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ و أيدوه و صاروا أنصاره بعد هجرته إليهم.

٣. أهل بيت النبي ﷺ والذين كانوا يرون أن يخلفه أحد من أهل بيته.

٤. المسلمون الجدد الذين دخلوا الإسلام بعد فتح مكة وكانوا قبل من سادة العرب وأشراف مكة.

وبعد الحوار والنقاش اعتمد الصحابة مبدأ شخصية الخليفة أساسا للاختيار ولم يلتفتوا إلى قربه من رسول الله أو غناه أو مكانته، ولذلك اختاروا سيدنا أبا بكر ﷺ - أحب أصحاب رسول الله إليه و أول من آمن به ونصره - وذلك لمكانته وحكمته وصدق جهاده وخدمته للإسلام مع رسول الله منذ اليوم الأول.

وهكذا كان يختار المسلمون خلفاء رسول الله بعد أبي بكر ﷺ فاختاروا عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم جميعا، ويطلق على هذه الفترة البالغة ثلاثين سنة عصر الخلفاء الأربع (الخلفاء الراشدين)، وهؤلاء الخلفاء إنما تولوا أمر المسلمين بالاختيار.

ب. عهد سيدنا أبي بكر ﷺ (١١-١٣هـ/ ٦٣٢ ـ ٦٣٤م):

لقد قام سيدنا أبو بكر ﷺ بخدمات عظيمة ساهمت في حماية وحدة المسلمين وفي الحفاظ على الإسلام وتعزيزه، ويمكننا أن نوجز الحوادث الهامة الجارية في عهد أبي بكر ﷺ حسب ترتيبها على النحو التالي:

١. جيش أسامة بن زيد ﷺ :

بعد الفراغ من دفن سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام، أرسل سيدنا أبو بكر أسامة بن زيد على رأس جيش إلى الشام كما كان يريد النبي، وقد استغرق سفره هذا أربعين يوماً ذهاباً وإياباً، حيث رجع الجيش بالغنائم دون التعرض للخسائر، وبهذا تمّ قمع القوى التي تشكل خطراً على أمن الدولة الإسلامية ومصالحها التجارية والاقتصادية (٦٣٢).

---

١ الخلفاء الراشدون: الحُكّام الّذين جاءوا بعد وفاة الرّسول ﷺ، وَهُمْ أَبو بكْر و عُمر و عُثمان و عِليٌّ ﷺ.

٢. محاربة المرتدين[٢] ومدعي النبوة:

نشأت مجموعات من المعارضين للخليفة الجديد والمرتدين عن تطبيق الإسلام في أماكن متفرقة من البلاد (كوسط الجزيرة العربية، اليمن، عُمان، البحرين). وبقيت مكة والمدينة والطائف في مأمن من حركة الردة هذه.

وكان قسم من هؤلاء المتمردين أعرابا حديثي العهد بالإسلام ممن لم يدركوا حقيقته بعد، ولم يفهموا الحكمة من فرض الزكاة، يحدثنا القرآن الكريم عن هؤلاء في الآيات ١٤ ـ ١٦ من سورة الحجرات:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وإضافة لذلك فقد تمرد بعض المنافقين والمتعصبين لقبائلهم والكهنة ممن رأوا أن حاكمية النبي محمد ﷺ لشبه الجزيرة العربية إنما كانت بواسطة نبوته، فادّعوا النبوة وجمعوا الناس حولهم ببعض الحيل والشعوذات التي قاموا بها، وقد بلغت حالة الارتداد تلك شدتها إلى حدٍّ جعلهم يهجمون على المدينة عاصمة المسلمين ومركز الإدارة.

لكن سيدنا أبا بكر ﷺ لم يستسلم أمام كل هذه المشاكل الخطيرة، وقد سلك في مواجهة هذه الظروف الحساسة سبيلاً غاية في العقلانية، فوجه كبار الصحابة لمحاربة المرتدين دون إبطاء، وقد كان عدد القادة المكلفين من قبل أبي بكر ﷺ حوالي ١١، كان منهم خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل وعمرو بن العاص، وقد تمت السيطرة على الأمور واستتب الأمن و ارتفعت راية الإسلام من جديد في كل أنحاء الجزيرة العربية.

٣. جمع القرآن الكريم في مصحف واحد:

كانت كتابة القرآن الكريم في زمن سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام تتم من قبل كتبة الوحي إضافة إلى حفظه في صدور المسلمين.

وقد استشهد في موقعة اليمامة التي حصلت في زمن خلافة أبي بكر ﷺ عدد كبير من القراء والحفظة، مما أقلق سيدنا عمر ﷺ والكثير من الصحابة، فحذروا الخليفة من ضياع القرآن بموت حفاظه، فشكل سيدنا أبو بكر ﷺ لجنة جعل رئيسها سيدنا زيد بن ثابت أحد كتبة الوحي وأمرها بتتبع ما تفرق من القرآن الكريم وجمعه كاملا في «مصحف» واحد .

٢ اصطلاحاً المرتد هو من كان مسلماً فكفر أو التخلي طوعاً وعلناً عن الإسلام.

وبعد عمل دؤوب ودقيق من اللجنة جمع القرآن في مصحف واحد ومِن ثَمَّ قُدِّم لأبي بكر ﷺ. وبعد ذلك أعطي لسيدنا عمر ﷺ ومنه إلى السيدة حفصة ابنته وأم المؤمنين، وفي عهد عثمان ﷺ نُسِخ المصحف الكريم و وُزِّع على الأمصار.

تم جمع القرآن الكريم برئاسة زيد بن ثابت ﷺ في زمن سيدنا أبي بكر ﷺ
نتيجة استشهاد كثير من الحفظة في وقعة اليمامة

٤ . الفتوحات في خلافة أبي بكر ﷺ:

كانت الدولة البيزنطية والفارسية أعظمَ دولتين على الصعيد العالمي آنذاك، وكانتا تحاربان الإسلام وتمنعانه من الانتشار ولذلك فقد حصلت بعض الحروب ضد الروم في زمن سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام، ثم تابع سيدنا أبو بكر ﷺ هذه المواجهة وبدأ بفتح أراضي فارس و الروم.

- **الفتوحات في منطقة العراق:**

واصل سيدنا أبو بكر ﷺ - بعد استقرار الأمور داخليا - حركاتِ الفتح التي بدأها النبي عليه الصلاة والسلام، حتى وصل خالد بن الوليد ﷺ بجيشه إلى الحيرةَ، وصالحهم على الجزية[٣] (٦٣٣)، وأضحت الأراضي الخصبة الممتدة من خليج البصرة جنوباً إلى نهر الفرات تحت هيمنة الإسلام.



سيوف خالد بن الوليد في متحف طوب كابي في اسطنبول

- **الفتوحات في بلاد الشام (سورية):**

جهز سيدنا أبو بكر ﷺ أربعة من الجيوش وأرسلهم إلى منطقةِ سورية، وتم تعيين عمرو بن العاص أولاً

٣ الجزية هي ما يدفعه الذميون (أهل الكتاب) من المال للدولة الإسلامية عن رؤوسهم مقابل الحماية والخدمات العامة.

ومن ثمَّ أبا عبيدة بن الجراح ﷺ[4] على رأس الجيوش، ولّما علم عمرو بن العاص باستعداد البيزنطيين للهجوم طلب تعزيزاً من الخليفة، فأرسل له جيش خالد من العراق ليهاجم الغساسنة في مرج راهط، فتقدمت القوات البيزنطية بعدما بلغها الخبر إلى أجنادين، فهزم المسلمون الرومَ في أجنادين (٦٣٤)، وهكذا باتت أبواب فلسطين مفتوحة أمام المسلمين إثر انتصار جيش الإسلام في أجنادين، وفي تلك الأثناء كان الخليفة أبو بكر ﷺ قد توفي، وتم اختيار عمر ﷺ خليفة بعده، فنصب الخليفة الجديد أبا عبيدة بن الجراح قائداً أعلى لجيوش المسلمين.

فتحت أبواب فلسطين أمام المسلمين بانتصار جيش المسلمين في موقعة أجنادين

وفي أوائل سنة ١٤/ ٦٣٥ حاصر الجيش الإسلامي مدينة دمشق، وكان يقوده عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وأبو عبيدة وشرحبيل وأبو الدرداء، واستمر الحصار وقتاً طويلاً، وبدت أمارات الجوع والمجاعة تظهر في المدينة إلى أن تم فتح المدينة بدخول خالد من بابها الشرقي عنوة ودخول أبي عبيدة من بابها الغربي صلحا، وبفتح دمشق أنهى المسلمون حكم البيزنطيين لهذه المدينة والذي امتد ١٠٠٠ سنة.

وأما المعركة الفاصلة مع الروم فقد حدثت على ضفاف نهر اليرموك، حيث لحقت الهزيمة الكبيرة بجيش الروم، وقد وصل خبر وفاة الخليفة أبي بكر ﷺ إلى مسامع الجيش والمسلمون منشغلون بالقتال، فأبدى القادة البسالة بإخفائهم هذا الخبر، لأن الهزيمة في هذه المعركة تعني ذهاب كل الجهود حتى ذلك الحين أدراج الرياح، ولذا فقد خاضوا المعركة ببطولة مذهلة وشجاعة وقوة.

فكما أن معركة القادسية (١٤/ ٦٣٥) في العراق والتي انتصر فيها المسلمون كانت أول الانتصارات على الفرس (إيران) ونقطة تحوّل في ذلك فإن الأمر نفسه ينطبق على اليرموك، إذ أن النصر فيها كَوّنَ حجر الأساس لما وَلِيَهَا من الانتصارات على الروم، ثم إن لهذه الوقعة أهميتها البالغة بين سائر الفتوحات الإسلامية الجارية في منطقة دمشق. لأن نصر المسلمين في هذه الواقعة رفع معنوياتهم وساعدهم على مواصلة الفتوحات، وبالمقابل فإن هزيمة الروم ساهمت في إضعافهم أكثر فأكثر، وبهذا فإن المسلمين كانوا قد انتصروا في المعركة الأعظم إلى ذلك الحين، وبعد سنة ٦٣٦ باتت سورية كلها في يد المسلمين بخروجها من يد الروم.

٥. وفاة أبي بكر ﷺ:

مرض سيدُنا أبو بكر ﷺ في سنة ٦٣٤، حتى عجز عن الذهاب إلى المسجد، وتخلى عن الإمامة إلى سيدنا عمر ﷺ بعد أن شاور المسلمين فيه، وتوفي في ٢٣ أغسطس (آب) من عام ٦٣٤ (١٣ هـ)، وصلى عليه سيدنا

٤ هو عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري، أبو عبيدة، مشهور بكنيته. ولد سنة ٤٠ قبل الهجرة/ ٥٨٤م. كان أبو عبيدة من السابقين الأولين إلى الإسلام، فقد أسلم في اليوم التالي لإسلام أبي بكر ﷺ .

عمر ﵁ صلاة الجنازة، ودفن جانب النبي عليه الصلاة والسلام في الروضة الشريفة.

٦. شخصية أبي بكر ﵁:

كان إيمان أبي بكر ﵁ بالقرآن الكريم وبنبوة سيدنا محمد ﷺ قوياً لا يتزعزع، وقد لقب لهذا «بالصديق». وقد عبر النبي عليه الصلاة والسلام عن قوة إيمانه بقوله:

«إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي» (البخاري، ١، ٣٤١، ٣٦٦١)

أ. شخصيته القوية وتواضعه:

- كان سيدنا أبا بكر ﵁ شجاعاً ذا عزم، لا يصرفه شيء عن القيام بما يراه صائباً، نصر بكل قوته دينَ الإسلام منذ أيامه الأولى وساند النبي عليه الصّلاة والسّلام، لم يَحُل أيُّ شيء بينه وبين هذا الأمر، وقد أظهر عزمه بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام أيضاً حيث ساهم بإرادته القوية والمتينة في حلّ المشكلات الحاصلة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام فحمى الإسلام و المسلمين.
- كان سيدنا أبو بكر ﵁ متواضعاً إلى أبعد الحدود، لا يترفّع ولا يتعالى على أحد، وكان إذا أثنى عليه أحدهم يقول: «اللهُمَّ أنت أعلم بي من نفسي»، ويكره من يُعجب بنفسه.
- كان ﵁ ليِّن الخلق ولطيفاً، ولكنه عند الحاجة كان شجاعاً وجريئاً لا يجاريه أحد في ثباته وقوته.
- كان ﵁ إلى جانب تواضعه وقورا مهيبا، شديد الرحمة بالمسلمين، سخياً، وقد بلغ سخاؤه هذا حدّاً جعله يبذل ماله كله في سبيل الإسلام.
- ثم إن أبا بكر ﵁ كان تقيا، يكثر من العبادة، ولم يعبد الأوثان في جاهليته، بعيداً عن كلّ الرذائل والمستقبحات.
- كان ﵁ زاهدا، أراد بعد توليه الخلافة مواصلة مهنته التي كان يمارسها من قبل وهي التجارة، فاشترى أثواباً وتوجه إلى السوق، فلقيه سيدنا عمر ﵁ وذكّره بتحمله مسؤولية قضاء أمور المسلمين، وإذا استمرّ في عمله بالتجارة فإنها ستعيقه عن الاشتغال بأمور الدولة، ورعاية مصالح المسلمين، فسأله أبو بكر ﵁: «فكيف أعيل عائلتي».

وعندها اصطحبه سيدنا عمر ﵁ إلى أبي عبيدة أمين بيت المال، وأجرى له معاشاً يتقاضاه، فخصّص أبو عبيدة ﵁ للخليفة من الطعام مقدار ما يستهلكه رجل من المهاجرين طبقته متوسطة، وثوبين أحدهما يقي حر الصيف والآخر برد الشتاء، وطلب إليه إحضار الثوب القديم وأخذ ثوبٍ جديدٍ عوضاً عنه.

وكما تبين فإن أبا بكر ﵁ كان مكتفياً بما يسدّ حاجته وعائلته من خزينة الدولة، فلم يستخدم رئاسة الدولة

لأغراض أخرى من زيادة ثروته واكتساب فوائد مالية، وإنما اكتفى بمقدار تلبي نفقات رجل من الطبقة المتوسطة،وقد طلب من ابنته عائشة ﵂ وهو على فراش الموت بأن تردّ الإبل التي يشربون حليبها، والوعاء الذي يصبغ فيه الأثواب، وثوبه الذي كان يلبسه إلى عمر ﵁ بعد موته، ليجعله في بيت مال المسلمين .

➢ وقد كان النبي ﷺ كثيرا ما يرجع إلى رأي أبي بكر ﵁ في أمرٍ يستحقّ المشورة، ثم إن أبا بكر ﵁ يُعرَف بشخصيته العلمية والأدبية، وكان واحداً من القِلّة التي تعرف القراءة والكتابة في تلك الفترة، كتب للنبي عليه الصلاة والسلام حتى أنه كان من كتبة الوحي، وقد كان عليه الصلاة والسلام يصطحبه معه أثناء خروجه من مكة.

➢ كان أبو بكر ﵁ يحفظ القرآن الكريم ويتلوه بشكلٍ حسنٍ، حيث يتم ذكر اسمه بين الصحابة الذين نقلت عنهم أوجه القراءة، إلى جانب معرفته بمعاني القرآن الكريم، وتكليف الرسول عليه الصلاة والسلام إياه بالإمامة إشارة إلى معرفته بالقرآن الكريم.

وكان يعرف سنة النبي عليه الصلاة والسلام، يرجع إليه الصحابة في كثير من الأمور فينقل هو بدوره ما تعلّمه من النبي عليه الصلاة والسلام إلى الناس.

ب. شخصية الإدارية والعسكرية:

وأما بالحديث عن شخصيته الإدارية والعسكرية فقد وفّر الأمن الداخلي في البلاد بقضائه على حركات الارتداد -الخروج عن الدين- أثناء خلافته الممتدة أكثر من سنتين، وساهم في توحيد المسلمين، وبعد ذلك نجح من خلال محاولة فتح حدود دولتين عظيمتين كالفرس والروم مما يجاور شبه الجزيرة العربية، وكان لمهارته الإدارية والعسكرية دورها في هذه النجاحات، إذ أنه كان رجل دولة يدرك تماماً كيفية التعامل سواء في السياسة الداخلية أو الخارجية.

وكان ﵁ يولي اهتماماً كبيرا بالشورى، يختار قادة الجيش من ذوي الكفاءة، ولا يتقاعس عن تزويدهم بالأساليب المفيدة واللازمة، يبحث ويتحرى جيداً عن وضْع المنطقة التي سيبعث الجيش إليها ويستعدّ وفق ذلك، ويولي اهتماماً لمتطلبات الجيش من السلاح وسائر الاحتياجات، ويراقب الولاة سراً، ويستمع إلى شكاوى الرعية، فإن بلغ مسامعَه أيُّ تعدٍّ على الحقوق حاربه وأعاد الحق لأهله، فكان المتعدي عنده ضعيف وحقير حتى لو كان شريفاً وغنياً إلى أن يوفي صاحب الحق حقه.

تقييم:

كان سيدنا أبو بكر ﵁ يستحق عن جدارة لقب خليفة رسول الله ﷺ للأسباب التالية:

- قد لَمَّ أبو بكر ﵁ شمل المسلمين الذين أوشكوا على خطر التفرق بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام.
- رسخ تعاليم الإسلام في النفوس.

- أسهم في إرجاع سلطة الدولة من جديد.
- جمع القرآن الكريم في مصحف واحد.
- كما أنه ساهم ولأول مرة في انتشار الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية في سورية وفلسطين والعراق.



بلغت خلافة أبو بكر ﵁ ذروتها في أواخر سنة ١٣هـ/ ٦٣٤ م

ج. عهد سيدنا عمر ﵁ (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤ ـ ٦٤٤م):

كان لسيدنا عمر ﵁ دور مهم في اختيار خليفة للمسلمين بعد وفاة النبي ﷺ، ولما انتخب أبو بكر ﵁ خليفة أخذ سيدنا عمر ﵁ على عاتقه مساعدته في شؤون الدولة، فكان قاضياً في المدينة، ولما ثقل مرض أبي بكر ﵁ وعجز عن الخروج للصلاة بالناس عين عمر ﵁ إماماً مكانه، إضافة إلى أنه أوصى أن يتم تعيينه خليفة من بعده.

كان سيدنا عمر ﵁ (٦٣٤ ـ ٦٤٤) إنساناً كاملاً، معروفاً بعدالته وحسن إدارته، وأبرز ميزات عهده «الفتوحات» و«تكوين الدولة الإسلامية»، حيث فتحت في عهده سورية، العراق، إيران، فلسطين ومصر، وبهذا اتسعت رقعة الإسلام أضعافا مضاعفة.

١. الفتوحات في العراق وخراسان (إيران):

سرّعَ سيدنا عمر ﵁ حركة الفتوح في العراق وإيران التي كانت قد بدأت في عهد سيدنا أبي بكر ﵁، من خلال تعيينه سيدنا أبا عبيدة ﵁ قائداً عاماً.

أ. معركة القادسية (١٥هـ/ ٦٣٦م):

نَصَّب سيدنا عمر ﷺ سعد بن أبي وقاص قائداً للجيش الذي أرسله إلى الفرس، ولما رأى كسرى يزدجرد سَير جند المسلمين نحو خراسان بدأ من فوره بالتجهيزات، فأرسل قوة رئيسية متألفة من ٤٠,٠٠٠ شخصاً تحت إمرة الجالينوس، ومن ورائه بعث القائد رستم على رأس قوة رئيسية مؤلفة من٦٠,٠٠٠، إضافة إلى قوة حرس المؤخرة البالغة ٢٠,٠٠٠، وبهذا فقد اجتمع الجيش الساساني المؤلف من ١٢٠,٠٠٠ شخص في القادسية، وقد كان ٣٠,٠٠٠ جندياً من جيش الفرس مدرعاً وكانوا مربوطين بعضُهم ببعض بسلاسل حديدية كيلا يفترقوا عن بعضهم، إلى جانب جعلهم الفيلة في صفوف الجيش المتقدمة. وأما الجيش الإسلامي فقد كان مؤلفاً من ٣٤,٠٠٠ شخص، وقد كان سيدنا سعد بن أبي وقاص يرغب في حلّ الأمر بالتفاوض، وأرسل لهم يقول:


سيف عمر بن الخطاب ﷺ

«أني أمهلكم ثلاثة أيام، فإما أن تُسْلِموا وإما الجزية وإلا فاستعدوا للقتال».

فرفضوا الخيارات في الأيام الثلاثة الأولى، وفي اليوم الرابع باشر جيش المسلمين الهجوم وردّ جيش الفرس بالفيلة التي اصطحبوها معهم، فالتحم الجيشان وكانت الاشتباكات عنيفة في اليوم الأول، وفي الأيام التالية ألحق جيشُ المسلمين بالفرس هزيمة نكراء من خلال التكتيكات العسكرية التي قاموا بها، وحقق الجيش المسلم انتصاراً عظيماً، وقضى على جيش الفرس كله تقريباً .

ومن ثم تحرك المسلمون في اتجاه مدينة المدائن عاصمة الدولة الساسانية والتي كان فيها يزدجرد عظيم الفرس، ولما بلغه سير جنود الإسلام إلى المدائن تركها خائفاً، وفتح المسلمون المدائن ودخلوها بسهولة، وحصلوا على غنائم كبيرة من معركة القادسية وفتح المدائن، وغدت قصور كسرى وخزائنه في يد المسلمين، ولقد فتح هذا الانتصار أبواب بلاد فارس أمام المسلمين وهيأ كذلك مناخاً لكل الانتصارات التي جاءت بعده.

ب. معركة نهاوند (٢١هـ/ ٦٤٢م):

بدأ يزدجرد الثالث كسرى الفرس يجمع جنده من جديد بعدما انهزم في القادسية و ما بعدها من معارك، وجهز جيشاً عظيماً وعين الفيروزان قائداً عليه، فأمر سيدُنا عمر ﷺ - وقد بلغه الخبر - أهالي البصرة والكوفة بالذهاب للقتال، وجعل النعمان على رأس الجيش، وأوصى بتولي حذيفة القيادة إن استشهد النعمان، والتحم الجيشان في نهاوند، وبعدما استشهد النعمان تولى القيادة حذيفة بن اليمان وكانت الغلبة فيها للمسلمين، ويطلق على هذا المعركة اسم « فتح الفتوح « إذ إن فتح بلاد فارس بات ميسَّراً بعدها وحصل المسلمون على الكثير من الغنائم.

ج. فتح خراسان:

أصدر سيدنا عمر ﵁ أمراً بفتح خراسان (إيران) عقب الانتصار العظيم في نهاوند، ونصب بنفسه القادة الذين سيباشرون هذا الفتح، وكان الأحنف بن قيس القائد المعين على خراسان وما يجاورها من المناطق التي سيتم فتحها.

وأرسل يزدجرد الثالث الذي فقد تاجه وعرشه إلى حاكمي الصين والترك يطلب العون والمساعدة كملاذٍ أخير، إلا أنه لم يجد ما يأمله، وقُتل على يد رجاله المقربين منه الطامعين في ثروته وخزينته.

وقام المسلون قادة وجندا بفتح إيران في مدة قصيرة.

واستولت الجيوش الإسلامية المتقدمة بقيادة الأحنف بن قيس على قطاعات إيران الشمالية، وبهذا توسعت حدود الدولة الإسلامية، وامتدت حتى نهر جيحون الذي كان تعد حدوداً طبيعية بين إيران وطوران.

٢. الفتوحات في الأراضي الرومانية:

إن أغلب الفتوحات الجارية في زمن سيدنا عمر ﵁ إنما كانت في الامبراطورية البيزنطية.

أ. فتوح سورية:

وكما رأينا سابقاً فإن أنشطة الفتوحات الحاصلة في سورية أثناء عهد سيدنا أبي بكر ﵁ استمرت دون توقفٍ في زمن سيدنا عمر ﵁، فقد أنزل المسلمون ضربة قاسية بالروم في معركة اليرموك، وتمكّنوا فيما بعد من الاستيلاء على عكّا وحمص وقنّسرين وحلب وأنطاكية ومرعش من غير مواجهة.

وبسقوط سورية خسر الروم شرق البحر الأبيض المتوسط، حتى إنه لما وصل الخبر إلى هرقل عظيم الروم نظر إلى الأراضي السورية نظرة مودع وبكى، ويروى أنه قال:

«عليك السلام يا سورية سلاماً لا اجتماع بعده، ألا إني أسلم عليكِ تسليم المفارق، فإنه لا يعود إليك رومي أبدا إلا خائفاً».

ب. فتح القدس (١٧هـ/ ٦٣٨م):

استولى الجيش المسلم المتقدم نحو فلسطين على الأراضي الأردنية بقيادة عمرو بن العاص، وفتحوا المدن الهامة في فلسطين حتى وصلوا إلى القدس، وحوصرت القدس التي كانت مركز العالم المسيحي طوال العصور الوسطى لمدة بلغت أربعة أشهر.

ولما أدرك الروم أنهم لن يصمدوا طويلاً أمام المسلمين قرروا تسليم المدينة بشرط مجيء الخليفة إليهم، ولم يكن المسلمون راغبين في إسالة الدماء، فقبلوا وجاء سيدنا عمر ﷺ واستلم مفاتيح المدينة (١٧/ ٦٣٨)، وبفتح القدس صار الطريق ميسرا لفتح مصر.

ج. فتح مصر (١٩هـ/ ٦٤٠م):

كلّف سيدُنا عمر ﷺ عمرو بن العاص بفتح مصر أيضاً، فواجه عمرو بن العاص القوات المصرية والرومية والقبطية في الفرما ب ٤٠٠٠ من المسلمين، وكان ثمة خلاف بين الروم والقبط آنذاك، فرأى عمرو في هذا فرصة سانحة له وفتح الفرما.

وتم الاستيلاء فيما بعد على العديد من المدن والقلاع، ومما يسر فتح مصر على المسلمين إرسال سيدنا عمر ﷺ قوة مساندة مؤلفة من ١٢ ألفاً من الجند بقيادة المقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت.

وقام سيدنا عمرو بن العاص بمعاهدة أهالي مصر المحليين بعد بضع لقاءاتٍ معهم، إلا أن هرقل عظيم امبراطورية الروم ردّ ما وافق عليه الأهالي من الصلح، فجهز عمرو بن العاص جيشاً عظيماً للسير إلى الإسكندرية.

وعلى إثر هذا توجه الجيش الإسلامي إلى الإسكندرية، وحصل على الكثير من الغنائم بفتح المدينة بعد محاصرة دامت ثلاثة أشهر.

٣. تنظيم الدولة الإسلامية في زمن سيدنا عمر ﷺ:

غدت الدولة الإسلامية بالاستيلاء على العراق وخراسان ومصر والشام دولة واسعة تضم شعوبا وأعراقا شتى، وبات وضع نظام إداري وسياسي واقتصادي وفق رؤية الإسلام وعلى هديه أمرا ملحا وضروريا .

ولما اتّصف به سيدنا عمر ﷺ من الذّكاء وبعد النظر فقد ساهم في جعل القوانين الإسلامية صالحةً في جميع الأمصار المفتوحة، وتحقّق في عهده إنشاء نظام إداري واقتصادي وسياسي فريد ومبتكر يستظل بهدي الإسلام ويستقي من معينه .

وأما الأشخاص الذين يدينون بأديان وعقائد أخرى تغاير الإسلام فقد أُمِّنُوا في ظل أديانهم و قوانينهم وعاداتهم، ولم تسلب أراضيهم، ولم تُمَسَّ عوائدهم .

ومما أنجزه سيدُنا عمر ﷺ:

- تمّ تأسيس مجلس (جمعية عامة) للاجتماع بشأن التحدث عن أمور الدولة الهامة، والتعبير عن الأفكار بسهولةٍ إضافة إلى « مجلس » تعقد فيه اجتماعات لحل الأمور اليومية.
- تم تعيين الولاة ومحاسبتهم باستمرار وفق أسس نزيهة وشفافة، تم إجراء التغييرات بما يتناسب مع رغبة أهالي الولايات .

- وقد جرت العلاقات التجارية والاقتصادية والضرائب ضمن قواعد معينة، ولأول مرة في هذا الوقت تمّ قبول « الخراج » على أنه ضريبة مدفوعة للدولة.
- أُسس الجيش وفق نظام جديد، حيث أُنشئت ثكنات دائمة ومراكز للشرطة.
- خضعت خزينة الدولة لنظامٍ محدّد، واِتُّخِذتِ التدابير اللازمة للمحاسبة والمراقبة .
- انفصلت السلطة التنفيذية عن السلطة القضائية في تنظيم سيدنا عمر ﷺ الإداري، فكان القضاء مستقلا يحتكم إليه الجميع تحت مظلة الشريعة الإسلامية.
- أنشئت مؤسسة الإفتاء، ومن المتعذر رؤية مثل هذه المؤسسة المنشأة في الفترة المبكرة من التاريخ الإسلامي في أي مكان آخر.
- تم وضع قانون الحسبة لمراقبة الاقتصاد الداخلي وحركة الأسواق.
- أُسِسَت السجون في هذه الفترة أيضاً .
- تم تطوير نظام التعليم من خلال توظيف علماء بأجور يتقاضونها من بيت المال وإنشاء المنظمات اللازمة لذلك.

وباختصار أُسس جيشٌ منظم لأول مرة، وجُعل للجنود رواتب يتقاضونها، وأنشئت المعسكرات في سورية وفلسطين، وللمرة الأولى أقيم ديوان للجيش بهدف حفظ السجلات المختصة به، وكُوِّنَ مجلس لمناقشة قضايا الدّولة الهامة، كما بدأ أخذ « الخراج » (ضريبة الأراضي) مِن غير المسلمين، وأُسِّسَ بيتُ المال لأول مرة، وانقسمت الدولة إلى وِحدات إدارة، وعُيِّن قضاة مرتبطين بالولاة والخليفة، ولأول مرّة افترقت أمور الإدارة عن القضاء، و وُضِع التقويم الهجري تقويما رسميا للدولة باتخاذ الهجرة بداية له.

إن ما قام به سيدنا عمر ﷺ من مهام جسام في بناء الدولة الإسلامية و إرساء العدل و القانون بين الناس جعله مهوى أفئدة المسلمين حبا و احتراما على مر العصور، بل حتى غير المسلمين يحملون له القدر نفسه من التعظيم و الإعجاب .

٤ . استشهاد سيدنا عمر ﷺ:

يشكو عبدٌ يسمى أبو لؤلؤة (فيروز) - وهو واحدٌ من أسرى وقعة نهاوند (٦٤٢) - سيده إلى أمير المؤمنين عمر ﷺ وادعى أن سيده لا يعطيه حقه، فبيّن سيدنا عمر بعد تقييمه للأمر أن ما يؤديه العبد لسيده من العمل الذي يقوم به لا مشكلة فيه، إلا أن العبد فيروز غضب لهذا القرار، وفي اليوم التالي أثناء صلاة الفجر قام بطعن سيدنا عمر ﷺ بخنجر في ستة مواضع من جسده.

ولما كان سيدنا عمر ﷺ في سكرات الموت وهو يئن من جراحه سئل عمن سيليه في الحكم، فأحال الأمر إلى الشورى بين خيار الصحابة.

وبذلك كان عمر ﷺ الذي وافاه الأجل في اليوم الثالث لطعنه (٣ تشرين الثاني ٦٤٤) واحداً من قادة الإسلام العظماء ممن ساهموا في تقدم وعلوّ الدولة الإسلامية في مدة حكمه الممتدة عشر سنين.

٥. شخصية سيدنا عمر ﷺ:

كان سيدنا عمر ﷺ الخليفة الأول الذي يُذكر بلقب «أمير المؤمنين»، وأما سيدنا أبو بكر ﷺ فكان يقال له «خليفة رسول الله».

إن العدل هو أول ما يخطر في البال عند ذكر اسم عمر ﷺ، إذ لم يكن ينظر في تنفيذه للأحكام إلى منزلة الناس أو إلى وضعهم المادي، ولا كانت تحول صلة الصحبة أوالقرابة دون محاسبة المذنبين ومعاقبتهم إن لزم، فكان يستمع إلى شكوى الجميع وكانوا عنده سواسية كأسنان المشط، فكان يجلس بعد الصلاة في باحة المسجد يستمع إلى شكاوى الرعية وطلباتهم، ويتجول ليلاً ليتفقد أحوال المسلمين، ويحرص دوماً على تلبية حوائج المحتاجين.

أصابت الناسَ مجاعةٌ في عهده، فأمر بنحر ناقة وتوزيعها على فقراء المدينة، فنحروا جزوراً فأطعمها عمر ﷺ الناس، فقام أحد الموكلين بالأمر بتخصيص أطيب جزء منها لعمر، فأُتي به في اليوم التالي وقد صنع للخليفة اللحم ذاك طعاماً طيباً، فقال: أنى هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، من الجزور التي نحرنا اليوم؛ قال: بخ بخ، بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كراديسها (العظام الخالية من اللحم)، احمل هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت من المسلمين، ولا تعودوا لمثله أبداً.

كان ﷺ دقيقاً للغاية في شأن أموال الدولة، مهتماً بصرفها فيما يعود كلياً بالنفع إلى الرعية بعيداً عن الإسراف، ويتقاضى راتبه من «بيت المال»، إلا أنه في هذا كان أقل المسلمين نصيباً، لا يلبي ما يأخذه من الراتب احتياجاته في كثير من الأحيان، ولذلك كان يقترض المال من أصحابه.

كان سيدنا عمر ﷺ قنوعاً، مؤثراً للعبادة ومولعاً بها، زاهدا يعيش حياة بسيطة، صبوراً ومتواضعاً، لا يترفع عن ارتداء ثوب مرقع، ينام على الأرض، يعلف بنفسه دواب بيت المال ويعتني بها، وفي إحدى الأيام هربت واحدة من الإبل التي يهتمّ بها، فرآه الأحنف بن قيس وهو يبحث عن هذه الناقة وطلب منه أن يوكل عبداً بالبحث عنه، فيجيب سيدنا عمر ﷺ: «و هل ثمة عبد أحسن مني؟».

كان سيدنا عمر ﷺ خطيباً بارعاً، وقد قوّت المسابقات الشعرية التي كانت تقام عند سوق عكاظ من موهبته هذه، وله صوت جهوري ومؤثر، يحبذ من الشعر ما يتحدث عن الأخلاق والشرف والعدالة والحرية، يحفظها عن ظهر قلب ويوصي بها الناس، تحتل العديد من مقولاته المأثورة أماكنها في المصادر والآثار، وكان ﷺ قويّ الكلام كما الشأن نفسه في خطابته، وتحوز رسائله وتوصياته على الطابع الأدبي والعلمي.

وكان يتمتع سيدنا عمر ﷺ بقوة المنطق، ويدلّ على هذا الكثيرُ من آرائه التي أوضحها سواء في عهدي رسول الله ﷺ وأبي بكر ﷺ وسواء في عهده هو.



بلغت خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ذروتها في أواخر سنة ٢٣هـ/ ٦٤٤ م

ثم إن سيدنا عمر ﷺ كان يتخذ موقفاً صارماً تجاه البدع والخرافات، ويهيئ التدابير اللازمة للحيلولة دونها، بدأ الناس في خلافته يبدون اهتماماً خاصا بالشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضوان في الحديبية أثناء عهد النبي ﷺ، فقام الخليفة من فوره بقطعها درءاً منه لخطر إضعافها عقيدة التوحيد، وقد وقف مرة أمام الحجر الأسود وقال بصوت مرتفع:

«إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّك حَجَرٌ، لا تَضُرُّ وَلا تَنفَعُ، وَلَوْلا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ».

ج. عهد سيدنا عثمان ﷺ (٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٤ ـ ٦٥٦م):

كان عثمان ﷺ رجلاً موسراً لاشتغاله بالتجارة، رقيق الفؤاد حيي الخلق، لبقا، محبوبا بين أهله، محترماً في قومه.

١. اختيار سيدنا عثمان ﷺ خليفة:

بعدما تعرض سيدنا عمر ﷺ للاغتيال على يد أبي لؤلؤة المجوسي، لم يعيِّن بالاسم من سيخلفه في رئاسة الدولة مع أنه طُلب ذلك منه، إلا أنه أراد أن يختار المسلمون واحدا من مجلس الشورى وهم من الصحابة المبشرين بالجنة الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فاجتمع أهل الشورى الذين عينهم سيدنا عمر ﷺ لاختيار الخليفة الجديد. وأهل الشورى هؤلاء هم عثمان، علي، طلحة، الزبير، سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ﷺ.

أهل الشورى الستة هُم:

- عثمان بن عفان ﵁ .
- علي بن أبي طالب ﵁ .
- طلحة ﵁ .
- الزبير بن عبد الله ﵁ .
- سعد بن أبي وقاص ﵁ .
- عبد الرحمن بن عوف ﵁ .

كما عُيِّن عبدُ الله بن عمر ﵁ مرجحا عند الخلاف في الهيئة التي ترأسها عبد الرحمن بن عوف، وبما أن سيدنا طلحة كان خارج المدينة حينها فقد قبل سيدنا سعد بن أبي وقاص النيابة عنه.

وبعد المشاورات تقرر ترشيح سيدنا علي بن أبي طالب و سيدنا عثمان بن عفان واقتصر الاختيار على أحدهما، فقام عبد الرحمن باستشارة وجوه الناس و أهل الرأي، وفي النتيجة فقد رجحت الكفة لصالح سيدنا عثمان ﵁، فبايع المسلمون كلهم سيدنا عثمان، وبهذا بدأت مرحلة الخلافة الثالثة التي ستظل مستمرة طوال اثني عشرة سنة.

٢. الفتوح التي حدثت في زمن سيدنا عثمان ﵁:

أ. اكتمال فتوح خراسان (إيران):

توجهت القوات المحاربة تحت إمرة عبد الله بن عمرو وسعيد بن العاص، نحو خراسان وطبرستان من طرق مختلفة وذلك سنة (٢٩-٣٠هـ/ ٦٥٠ ـ ٦٥١م). وبعد الفراغ من فتح طبرستان، حكم على الحاكم التركي لمنطقة جورجية بإعطاء الجزية، وقد سقطت دولة إيران الساسانية بسبب الغارات المتكررة على تركمنستان باستيلاء القوات التي تحت إمرة الأحنف بن قيس على بعض البلدات شرقي نهر جيحون، وبات العرب المسلمون يقيمون علاقات مباشرة مع المناطق التركية.

ب. فتوح بلاد القفقاز:

أرسل معاويةُ والي سورية (دمشق) جيشين منفصلين، أحدهما إلى أذربيجان والثاني إلى نواحي أرمينية لفتحهما (٦٥١ ـ ٦٥٢)، والتقى المسلمون بأتراك الخزر (قزوين)، وحصل اشتباك عنيف وبالغ الأهمية أثناء حصار بلنجر إحدى المدن الهامة لدى أتراك الخزر، فتم فتح القفقاز الشمالية مع أن الجنوبية لم يتمكن من الحصول عليها. ومن جهة أخرى فقد نجحت الجيوش المسلمة السائرة نحو الأناضول الشرقي في جعل الجورجيين في هذه المنطقة يخضعون لهم.

ج. فتوح أفريقية الشمالية:

نصّب سيدنا عثمان ﵁ عبدَ الله بن أبي السرح واليا على مصر بعدما عزل عمرو بن العاص عنها .

وعبد الله بن أبي السرح كان ممن أهدر دمه وحُكِمَ عليه بالقتل من قِبل النبي ﷺ أثناء فتح مكة، وذلك لما ألحقه من أذى بالمسلمين، إلا أنه عفي عنه لشفاعة أخيه من الرضاعة سيدنا عثمان له عند النبي عليه الصلاة والسلام.

وبعد توليه ولاية مصر استأذن عبدُ الله الخليفةَ في الانتقال إلى الشمال وأرسل إليه يطلب الإمدادات، وعلى إثر هذا فقد بعث الخليفة جيشاً فيه عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو إلى عبد الله بن سعد، فحشدت القوات بقيادة عبد الله لفتح أفريقية الشمالية. (٢٦هـ/ ٦٤٧م).

وتم تعيين عبد الله بن نافع بن عبد قيس على ولاية أفريقية الشمالية بعد فتحها، وبلغ المسلمون طرابلس بعدما تجاوزوا الصحراء الليبية، وفي الطريق إليها انضم عقبة بن نافع بجنده إلى الجيش، وكان غريغوري والي طرابلس على استعداد بجيش يبلغ حوالي ١٢٠ ألفاً، والتحم الطرفان في اشتباك عنيف، ولما لم يصل أي خبر من الحرب التي طالت أرسل الخليفةُ عبدَ الله بن الزبير بجيش للمساعدة، فخاب أمل غريغوري حين رأى القوات الجديدة، وقام عبد الله يوماً بالهجوم بغتةً بقواته على العدو، فأنزل جيشُ المسلمين بجيش الأعداء ضربة قاسية، وقتلوا غريغوري، وحصلوا على الكثير من الغنائم في نهاية المعركة، وغدت أبواب إفريقية مفتوحة أمام جيوش المسلمين، و وصل جيش الإسلام بقيادة ابن أبي السرح حتى مراكش، وبهذا انتهت حاكمية البيزنطيين في إفريقية، ثم إن جيشاً عربياً قام بفتح بلاد النوبة (السودان) في عهد سيدنا عثمان، وتقدم حتى بلغ مشارف دنقلة فوقّع اتفاقيةً مع دولة مقدونيا.

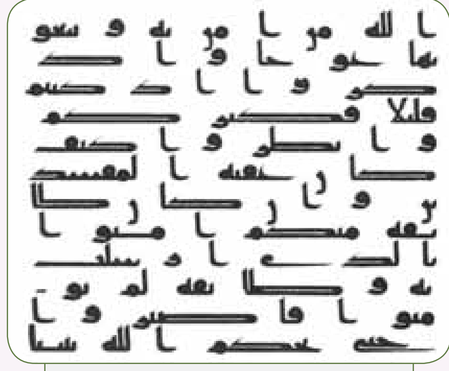
د. أول معارك المسلمين البحرية وفتوح البحر الأبيض المتوسط:

قام معاوية بن أبي سفيان والي بلاد الشام (سورية والأردن) بالتجهيزات اللازمة لفتح قبرص، وأعد القوات البحرية لهذا الغرض وفتح الباب لمشاركة المتطوعين في هذه الحملة، فأرسل معاوية جيشا بحريا بقيادة عبد الله بن قيس ضمّ بعض الصحابة أمثال أبي ذر وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت الأنصاري، وكان ذلك سنة ٢٨ هجرية، كما قام عبد الله بن سعد أميرُ مصر بالقدوم من مصر إلى قبرص، وفي نهاية المعركة انتصر جيشا مصر والشام المتحدين في قبرص، واضطر أهل قبرص للمصالحة ودفع الجزية (٢٨هـ/ ٦٤٩م).

إن القضاء على قوة هامّة من السلاح البحري للبيزنطيين أثناء فتح قبرص ساهم في تقدم المسلمين نحو جزر البحر الأبيض الأخرى، فبُعثت الجيوش إلى جزر صقلية وكريت و رودوس، إضافة إلى أن سيدنا معاوية أرسل قواته البحرية حتى مشارف إسطانبول سنة ٦٥٢. وبهذا تكون الفترة الأولى من خلافة سيدنا عثمان ﵁ قد انقضت بالفتوح في سبيل الإسلام.

٣. خلافة سيدنا عثمان وخدماته التي قدمها للقرآن الكريم:

لقد امتدت حدود الدولة الإسلامية في السنوات الستّ الأولى لخلافة سيدنا عثمان من إسبانيا غربا إلى بلاد ما وراء النهر شرقا، وامتزجت بالعرب المسلمين أعراقٌ وشعوب شتى، وقد اقتضى هذا التوسع ابتكار الحلول الجديدة لما جد من مسائل وحوادث.



مصحف عثمان (الأعراف. ٨٦-٨٧)



مصحف عثمان في طشقند

وقد أجريت العديد من الدراسات المتنوعة في توزيع الأراضي المضافة حديثاً إلى الدولة وتقسيم الغنائم والاستراتيجيات المبتكرة والمقدمة في الفتوح، وفي الهيكل الإداري والمواضيع الدينية.

وبما أنه من المستحيل إرضاء الجميع، فقد وجدت بعض الفئات المخالفة.

ولقد كان من أهم وأعظم ما قام به سيدنا عثمان ﷺ نسخ القرآن الكريم، حيث بدأ تدوين ست نسخ من القرآن الكريم بأمر منه ﷺ وإشراف زيد بن ثابت (٣٠هـ/ ٦٥١م).

وقد أرسلت إحدى نسخ القرآن الكريم تلك إلى مكة والثانية إلى البصرة والثالثة إلى الكوفة والبقية إلى الشام ومصر وأُبْقِيَ المصحف السادس في المدينة.

أمر سيدنا عثمان ﷺ بنسخ القرآن الكريم، وتدوين ست نسخ منه. وقد أرسلت إحدى نسخ القرآن الكريم تلك إلى مكة والثانية إلى البصرة والثالثة إلى الكوفة والبقية إلى الشام ومصر وأُبْقِيَ المصحف السادس في المدينة.

٤. أُولى حركات الانفصال في صفوف المسلمين والاضطرابات الداخلية:

كونت حركات الفتح المتلاحقة في السنوات الستّ الأولى لخلافة سيدنا عثمان ﷺ بنية ديناميكية منفتحة على الخارج في المجتمع الإسلامي، علاوة عليه ازداد الرخاء، وعم الأمن واطمئن الناس .

وأقام العرب بفضل الإسلام دولة أصيلة الفكر منفتحة على الثقافات الأخرى على خلاف ما كانت عليه دويلات العرب في الجاهلية، فامتزجت في دولة الإسلام ثقافات شعوب شتى مع الإسلام وأنتجت نمطا فريدا و منهجاً متميزا .

لكن على ا لرغم من أثر الإسلام العظيم في العرب إلا أن بعضا من خصال جاهليتهم قد بدأت بالظهور من جديد، فحين هدأت موجات الفتح قامت فئات المجتمع العربي المختلفة والتي تفكر في الممارسات الإدارية الداخلية والاجتماعية والاقتصادية بتقييم الأمور الحاصلة تحت ضوء الشروط الخاصة بها في ذلك اليوم بغض

النظر عن الجهة المستقبلية للمجتمع الإسلامي، وأبرز ملامح هذا دعوى نصب سيدنا عثمان رض الله عنه أقرباءه في المناصب الرفيعة.

إن أموراً كالتنافس القديم والشك غير الضروري والمواقف المتخذة تجاه الغرباء الذين لا تصلهم أية صلة قرابة مع عدم الثقة بهم التي تصلح وصفاً للعرب لم تكن لتظهر في عصر سيدنا عمر ﷺ لما له من السلطة المُسيطرة أو ظهرت إلا أنها لم تكن فعالة، فقد كان سيدنا عثمان ﷺ عالماً هادئ الطباع دمثاً، لكنه لم يكن متحكماً ذا سلطة قوية بقدر ما كان عليه سيدنا عمر ﷺ، فسيدنا عثمان بتعيينه أقرباءه في بعض المناصب في الدولة كان موقناً ومستنداً إلى صدقهم وإخلاصهم، إلا أنه ولعدم مشاورته للصحابة في هذه التعيينات فقد غدا الناس الذين عينهم عائقاً بين الخليفة و الرعية، فعلى سبيل المثال كان مروان بن الحكم الذي عينه كاتباً يصدر الأوامر باسم سيدنا عثمان مما غذا الاضطراب والاعتراض على سياسية سيدنا عثمان في المجتمع.

ومِن ثمّ فقد وُلِدَت معارضةٌ فعالة تقف في وجه الخليفة، ففي الوقت الذي كانت فيه انتقادات البعض محقة ومنصفة فإن البعض الآخر غدا لا يتردد في التصرف بغدر وعدم انضباط. وازدادت النزاعات الداخلية يوما بعد يوم، وفي هذا الجو المضطرب باتت كل أعمال سيدنا عثمان حتى الصائبة منها تحت عين النقد والاعتراض .

لقد كان دعم سيدنا عثمان لبني أمية، وإيلاؤهم المناصب والوظائف الهامة في الدولة يساهم في تزايد المعارضة له بين الصحابة و عموم الناس .

٥. استشهاد سيدنا عثمان ﷺ:

بلغت التطورات ضد الخليفة أوجها، وانسحب الأعيان كطلحة والزبير اللذين كانت معارضتهما معتدلة حتى ذلك الحين، وما كان من سيدنا علي ﷺ إلا مراقبة ما يجري بهدوءٍ وقد رأى حساسية الوضع، إلا أنه أقلقه إثارة العصاة القادمين من الكوفة المشاكل، وبلوغ البعض حدّ التمرد، فوضع ابنيه الحسن والحسين مع أولاد بعض الصحابة قريباً من بيت سيدنا عثمان ﷺ كحرّاس، فكان هؤلاء البواسل مكلفين بحماية الخليفة، لكن العصاة نجحوا في دخول بيت الخليفة بالتفافهم من الخلف بحيث لم تراهم أعين الحراس.

كان سيدنا عثمان ﷺ يقرأ القرآن عند دخول العصاة بيته فقام هؤلاء الغاضبين بقتل الخليفة في تلك اللحظة ثم لاذوا بالفرار، وباستشهاد سيدنا عثمان ﷺ بدأت صراعات فكرية كثيرة بالظهور في التاريخ الإسلامي واستمرت حتى يومنا هذا، وأما الأجيال القادمة بعد ذلك فقد أخذ كثير منهم بعين الاعتبار تطورّات ذلك اليوم والتعليقات المتأخرة عنها أكثر من الاستناد إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، وانخرطوا في المفاهيم البعيدة عن مبادئ الإسلام.

٦. شخصية سيدنا عثمان ﷺ:

كان سيدنا عثمان ﷺ شفافاً، لين الطباع، لا يحب الجدل ولا يخوض فيه، حيياً رحيماً، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يولي سيدَنا عثمان قيمة خاصة لتحلّيه بالحياء، فحين كان عليه الصلاة والسلام يستقبل كلاً من أبي بكر وعمر ﷺ في حالةٍ مريحة، كان يتحفظ في جلسته عند مجيء سيدنا عثمان، وعندما سئل عن هذا أجاب:

«أَلاَ أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ» (مسلم، جـ ٤، ٣٦/ ٢٤٠١)

كان سيدنا عثمان تقيا، سخياً، وثمة بعض الأمثلة كشاهدٍ على جوده في القسم الذي يتحدث عن حياته، حيث توثق المصادر أنه كان بعد اعتناقه الإسلام يعتق كل يوم جمعة عبداً وإن هو لم يتمكن من عتقه ذلك اليوم يعتق عبدين في الجمعة التالية، وفي المجاعة الحاصلة في المدينة زمن أبي بكر ﷺ جاءته من الشام مائة من الإبل تحمل قمحاً ومؤنةً فوزعها على أهل المدينة بلا عوض على الرغم من طلب التجار منه بيعها لهم.

كان سيدنا عثمان ﷺ حافظاً، ويُعرف عنه ختمه القرآن الكريم في صلواته بين الحين والآخر، عالماً بالقراءة والكتابة، يعد ضمن القلة التي كانت تتقن الكتابة في مكة، وله مكانة هامّة بين كتبته، وإلى جانب كونه كاتباً للوحي فقد كان يكتب رسائل ومعاهدات النبي ﷺ مع الدول المجاورة والقبائل الأخرى.

وتفيد المصادر أيضا أن سيدنا عثمان ﷺ كان صاحب سرّ رسول الله ﷺ، وأحد كتبة أبي بكر ﷺ أيضاً، وقد روى عن النبي عليه الصلاة والسلام ١٤٦ حديثاً، إضافة إلى علمه بمناسك الحج علماً وافياً.



بلغت خلافة عثمان بن عفان ﷺ ذروتها في أواخر سنة ٣٥هـ/ ٦٥٦ م

د. عهد سيدنا علي ﷺ (٣٥-٤٠هـ / ٦٥٦ ـ ٦٦١م):

١. اختيار سيدنا علي ﷺ خليفة:

أدت حادثة مقتل سيدنا عثمان ﷺ إلى اضطرابات داخلية لا حد لها في المجتمع الإسلامي، واستمرت الفوضى التي تسبب بها العصاة حتى بعد وفاة الخليفة، وكان للعصاة المتسببين بموت سيدنا عثمان آراءٌ مختلفة فيما يتعلق باختيار الخليفة الجديد، وقد رد طلحة والزبير عرضهم، وأخيراً جمعوا أهل المدينة وطلبوا إليهم مبايعة سيدنا علي ﷺ في أقصر مدة ممكنة، وبناء عليه فقد اختار الجميع سيدنا علياً خليفة وبايعوه، إلا أن أهل المدينة قدموا البيعة لسيدنا علي بشرط القبض على قتلة سيدنا عثمان ومعاقبتهم.

٢. الحوادث التي جرت في زمن سيدنا علي ﷺ:

كان سيدنا علي ﷺ من خيرة الصحابة فقد قدم خدمات عظيمة للإسلام في عهد النبي ﷺ والخلفاء الثلاثة من بعده، فاكتسب بعلمه وقوته احترام المسلمين ومحبتهم، وكافح بأقصى ما يمتلكه من جهدٍ للقضاء على الاضطرابات الداخلية والخارجية في زمن خلافته التي امتدت خمس سنوات ونصف، ولكن تعذر في زمنه توسيع رقعة الإسلام بسبب الاضطرابات التي عانت منها الدولة .

فقد استمرت البلبلة بعد وفاة الخليفة الراشد الثالث سيدنا عثمان ﷺ، وكان العصاة قتلة سيدنا عثمان ﷺ يسيطرون على الوضع، وكانوا يريدون تولية أحد ما الخلافة بدل سيدنا عثمان في أسرع وقت ممكن، وقد لاقوا الرفض من كل من عرضوا عليه ذلك كطلحة والزبير وعلي، وعندها وقع العصاة في حيرة من أمرهم، وهم يعلمون حق اليقين بأن النزاعات ستتأجج لو أنهم تراجعوا قبل تعيين رئيس للدولة، وبناء على هذا فقد جمعوا الناس وأجبروهم على اختيار خليفة ما، وإلا فسيقضون على سيدنا علي وطلحة والزبير وغيرهم أيضاً، وأمهلوهم يوماً واحداً، وعلى إثر هذا فقد ناشد أهل المدينة سيدنا علي ﷺ وأعلموه برغبتهم في مبايعته، وعلى الرغم من رفض سيدنا علي لعرض المهاجرين والأنصار إلا أنه اضطر إلى قبوله تحت وطأة الإصرار، وفي النهاية فقد تمت البيعة لسيدنا علي ﷺ وأتى العصاة بسيدنا طلحة وسيدنا الزبير وجعلوهما يبايعانه، وبهذا فإن البيعة لسيدنا علي ﷺ تمت في السنة الخامسة والثلاثين يوم الاثنين الموافق للواحد والعشرين من ذي الحجة، (٣٥هـ/ ٦٥٦م).

ومنذ اليوم الأول لمبايعة سيدنا علي خليفة كانت الرعية تضغط عليه وتحثه على معاقبة قتلة سيدنا عثمان، ولكن كان مازال هؤلاء العصاة يسيطرون على المدينة، وسيدنا علي ﷺ يحاول جاهدا تخفيف حدة الفوضى وإخراج العصاة من المدينة لتأخذ الخلافة دورها في إدارة أمور البلاد كما ينبغي.

ولهذا كان عليه الانتظار فترة من الزمن، لكن المتخاذلين كانوا لا يفترون عن إشعال الفتن بين الحين والآخر مما جعل المدينة في غليان دائم، وبدأ التململ يظهر بين الناس يوما بعد يوم،حتى إن هذه الفتن التي أشعلها

هؤلاء المنافقون أدت إلى الصدام الذي وقع بين السيدة عائشة وسيدنا علي قرب البصرة وكانت معركة الجمل هذه من أفجع نزاعات التاريخ الإسلامي.

أ. موقعة الجمل:

كان العمل الأول الذي طلبته الرعية من سيدنا علي بعدما تمت البيعة له هي البحث عن قتلة سيدنا عثمان ﵁ ومعاقبتهم، وبدأ التحري في هذا الشأن، إلا أنه تعذر إثبات الجرم شرعاً لعدم تحديد القتلة بالضبط، ومن غير الممكن في مثل هذه الحالة القيام بأي قصاص، ولما زار سيدنا طلحة وسيدنا الزبير سيدَنا عليا ﵁ وطلبا منه القبض على القتلة، بين سيدُنا عليٌّ الأمر لهما لكنهما لم يقتنعا، وبات الوضع مضطرباً للغاية، وفي تلك الأثناء قام النعمان بن بشير بأخذ قميص سيدنا عثمان الذي كان يلبسه عند مقتله وعليه آثار دمائه الطاهرة وأتى به الشام، فقام معاوية بعرض هذا القميص في المسجد مما زاد من حدة سخط الناس وغيظهم، ومن الناحية الأخرى فما زال قتلة سيدنا عثمان في المدينة، وكان لا بد من إبعادهم عنها في أسرع وقت ممكن.

لقد كانت الصعوبات التي يواجهها سيدنا علي ﵁ عظيمة بالفعل، وبالمقابل فقد كان قسم هام من العصاة المجتمعين في المدينة منتمين إلى فرقة «السبئية»، وكان عبد الله بن سبأ رئيس هذه الفرقة المعادية للإسلام، وكان يهودي الأصل يهدف إلى الإطاحة بالإسلام من داخله، وغرضه إبعاد الإسلام عن حقيقته من خلال إفسادِ العقائد النقية والواضحة التي تغذي العقل والقلب وتلبي احتياجاتها، وجرِّ المسلمين إلى التنازع والتشاجر فيما بينهم، عن طريق تفريقهم وتشتيتهم إلى جماعات متفرقة، وقد كانت الاضطرابات الحاصلة زمنَ سيدنا عثمان ﵁ قد هيأت مناخاً مناسباً للفساد الذي أعدّه هذا المفسد، وبما أن رغبة سيدنا علي ﵁ في تفريق العصاة لم تُرضِ أتباع ابن سبأ فقد خالفوا أمر سيدنا علي ﵁، وتبعهم كثير من الناس.

ومن جانب آخر فقد ظهرت حركة جديدة فاقمت الفوضى أكثر فأكثر، وأوصلت الأزمة إلى ذروتها، حيث كانت السيدة عائشة ﵂ قد خرجت من المدينة إلى مكة لأداء فريضة الحج، ولما بلغها خبر مقتل سيدنا عثمان، بقيت في مكة ولم تعد إلى المدينة، بسبب استمرار البلبلة التي ولّدتها المأساة في المدينة، ولما سأل أهلُ مكة السيدة عائشة ﵂ عن الأمر، أخبرتهم أن سيدنا عثمان ﵁ قُتل ظلماً وأنّ دخان الفتنة بات يخيم على المدينة، وينبغي ألا يذهب دم سيدنا عثمان الشهيد هدراً، ولا بد من تنفيذ حكم القصاص على القتلة لوأد الفتنة قبل أن يستشري أمرها .

وفي هذه الأثناء توجه سيدُنا عليّ بجيشه إلى البصرة للقاء المعارضين له والناقمين على تباطئه في القصاص من قتلة سيدنا عثمان، وأرسل القعقاع بن عمرو قبله، وأوصاه بإيجاد اتفاق يَحُوْلُ بين الصراع والنزاع بين الطرفين، فالتقى القعقاع بن عمرو مع السيدة عائشة وطلحة والزبير ﵃، وقبل كل من السيدة عائشة وطلحة والزبير اقتراحات القعقاع بن عمرو، وأخبروا بأن هذا الأمر سينتهي بالصلح إن كان سيدنا علي ﵁ يوافقهم

في الرأي، سُرَّ سيدنا علي بما أنجزه القعقاع للغاية، وعلى الصعيد الآخر وفي غضون ذلك كان البصريون قد اتصلوا بالكوفيين وهيمنت على الطرفين فكرة الصلح والقضاء على الفتنة.

وفي اليوم التالي تحرك سيدنا علي ﷺ نحو البصرة، واتفقت الأطراف كلها على الصلح، وفي الليل وبعد أن هدأ الناس وناموا قام ابن سبأ مع أنصاره بالهجوم على الطرفين، فظن كل من سيدنا علي و السيدة عائشة تعرضه لهجوم الطرف الآخر، فأرسل سيدنا علي ﷺ رسولا إلى السيدة عائشة يطلب معرفة ما حصل، ومن ناحية أخرى كان كعب بن سور قد أيقظ السيدة عائشة رضي الله عنها، فركبت دابتها وقصدت مكان الاشتباك، ومنع سيدنا علي ﷺ مَن معه من القتال، وحاولت السيدة عائشة ﷺ تهدئة مَن معها، لكن السّهم قد انطلق من قوسه، وفي خضمّ الالتحام توسّط سيدنا علي ﷺ الفريقين ممتطياً جواده، ودعا سيدَنا الزبير إليه مذكّراً إياه بإخبار الرسول ﷺ بأنه سيأتي يومٌ ينشؤ فيه خلاف بين الزبير وعليّ يكون فيه الزبير ظالماً له، وعلى إثر هذا انسحب سيدنا الزبير، وأراد طلحة الانسحاب من أرض المعركة، وفيما هو يحاول الابتعاد عن ساحة الوغى إذا بسهم مسموم يصيبه، ويتسبب بوفاته ﷺ.

وأخيراً لم يبق في الساحة سوى السيدة عائشة ورهطٌ معها، واستمر القتال بشدة، وكانت الغاية من إراقة الدماء هذا كله السيدة عائشة ﷺ، إذ كان مطلبهم الزحف حتى بلوغها والقبض عليها والتقليل من شأنها، وقد حمى بنو ضبة السيدة عائشة ﷺ ببذلهم تضحيات عظيمة لمَّا أدركوا نية السبئية، وكانت قبيلة بكر بن وائل وأزد وبنو ضبة فيمن كان مع عائشة ﷺ، وأدهشت الشجاعة التي أظهروها في الذّود عن عائشة ﷺ الجميع، فكلما سقط واحد ممن يحمي جملها يأخذ غيرُه مكانَه، ويقاتل بالتضحية والبسالة عينها، وبلغ عدد الذين استشهدوا أمام السيدة عائشة سبعين شهيداً.

ولإنهاء هذا الاقتتال فقد قام أحدهم بالهجوم على الناقة من خلفها فأرْدَاها أرضاً، وفي هذه الأثناء سارع محمد بن أبي بكر متوجهاً من قِبل سيدنا علي ﷺ لتقديم الخدمة في الذّود عن السيدة عائشة ﷺ، وقد أتى سيدُنا علي ﷺ إلى السيدة عائشة يطمئن عنها واتفق معها أن يرسلها مع أخيها محمد بن أبي بكر إلى المدينة، وقد رافق السيدة عائشة ﷺ في طريقها إلى المدينة أربعون امرأة من أشراف أهل البصرة وأعيانهم، وعند مغادرة السيدة عائشة البصرة، أوضحت أن النزاع الحادث بينها وبين سيدنا علي إنما كان نتيجة سوء التفاهم، وبيّن سيدنا علي ﷺ أنّ من واجب المسلمين جميعا إظهار عظيم الاحترام والتبجيل لزوجة الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام، وسارت السيدة عائشة ﷺ نحو المدينة في رجب من السنة السادسة والثلاثين للهجرة.

وأخيراً تمكن سيدنا علي من تخطي هذه المحنة في الرابع من كانون الأول لعام ٦٥٦ م. وبعد هذه الحادثة نقل سيدنا علي مقرّ الخلافة إلى الكوفة، وبقي فيها حتى وفاته.

ب. الصراع المستمر مع سيدنا معاوية:

كان معاوية الذي يعد سيد قبيلة أمية (الأموي) يتمتع بنفوذ قوي في سورية ومحيطها، وكان علاوة على عدم تقبله خلافة سيدنا علي ﷺ مقتنعاً على قناعة بأنه المسؤول عن الانتقام من قتلة سيدنا عثمان.

فكان سيدنا معاوية الراغب بتجربة حظه تجاه سيدنا علي يري الناس قميص سيدنا عثمان الملطخ بدمائه، رغبة منه في انضمامهم إليه، وفي غضون مدة قصيرة وجد نفسه قادراً على مجابهة سيدنا علي ﷺ.

وكان الكثير من الصحابة ذوو المنطق السليم على يقين من أنّ موقف سيدنا معاوية ليس إلا إحياء التنافس القديم بين الهاشميين والأمويين، أي أنها مستند إلى التنافسٍ العرقي الذي لا صلة للإسلام به. لكن ليس ثمة في اليد حيلة للحيلولة من ذلك.

اتجه سيدنا معاوية مصطحباً جيشه معه نحو الشرق، وخرج سيدنا علي ﷺ في ربيع سنة ٦٥٧ متوجهاً إلى الغرب وقد أدرك ما يبيّت له معاوية.

ج. موقعة صفين ومسألة التحكيم:

وهي المعركة التي دارت بين سيدنا علي الخليفة الراشدي الرابع و والي سورية المعارض سيدنا معاوية بن أبي سفيان في عام ٦٥٧، في صفين الواقعة شرقي الرقة القريبة من الضفة اليمنى لساحل الفرات.

لقد بقي سيدنا معاوية الذي يدير منطقة سورية بعد تغلب سيدنا علي ﷺ على الفرقة المخالفة في موقعة الجمل، من المعترضين على خلافة سيدنا علي ﷺ ومعه أنصاره. كان المعارضين لسيدنا علي ﷺ يزعمون بأنّ دعواهم هي المطالبة بالانتقام لعثمان ﷺ، ومن ناحية أخرى يتهمون سيدنا علي بحمايته للقتلة وعدم معاقبتهم، في حين أنّ سيدنا علي ﷺ كان قد وعد بمعاقبة المذنبين بعد إخماد نار الفتنة، وقد أرسل سيدنا علي ﷺ جرير بن عبد الله البجلي إلى سيدنا معاوية طالباً منه مبايعته وإظهار الطّاعة له كسائر المهاجرين والأنصار وقد كانوا قدّموا إليه البيعة. فاستشار سيدنا معاوية سيدنا عمرو بن العاص جرير بن عبد الله المبعوث إليه رسولاً، وأشار عليه بالإصرار على سيدنا علي ﷺ بالمطالبة بدم سيدنا عثمان، وفي حال رفض معاقبة القتلة فوراً، وأن سيدنا معاوية سائرٌ إليه بجيش سورية، فقام سيدنا جرير بإعلام سيدنا علي ﷺ بالأمر.

ومن جهة أخرى فقد عُلِّقَ قميص سيدنا عثمان ﷺ الملطخ بالدم على منبر المسجد من قبل سيدنا معاوية، فكان الجند يجتمعون أمامها ويبكون، وقد أقسموا على أن أعينهم لن ترى السهاد ولن يستحموا حتى يتحقق الانتقام من قتلة سيدنا عثمان، كان جيش سورية يتقاضى من سيدنا معاوية رواتب وفيرة وإكراميات، ولما حرض سيدنا معاوية الجيش بهذا النحو خرج من الشام بجيش يبلغ زهاء ٨٥,٠٠٠، وأما سيدنا علي ﷺ فقد توجه بجيش مؤلف من ٩٠,٠٠٠ من المحاربين خارجاً من الكوفة إلى صفين، جعل سيدنا معاوية مقره على الأرض المنبسطة في ساحل الفرات، وكان جيش معاوية واقعا بين مقر جيش سيدنا علي ﷺ والنهر ولذلك فقد قضى جيش سيدنا علي ليلته الأولى بدون ماء، إلا أنه وبهجوم واحد من جيش سيدنا علي ابتعدت القوات

المرتبطة بجيش الشام عن النهر، فبعث سيدنا معاوية رجلاً إلى سيدنا علي يستأذنه في أخذ الماء من النهر إذ أن الماء فرغ من جيشه، فلم يمنعهم سيدنا علي ﷺ عن الماء، ثم إن سيدنا علياً بذل جهده في جعل سيدنا معاوية يتخلى عن العصيان داعياً إياه إلى الوحدة والانضمام إلى المجتمع المسلم من خلال بعثه رسلاً إليه، لكنه لم يتلّق أي جواب إيجابي، وبعد بضعة اشتباكات لا تذكر بين الفريقين، عقدت هدنة حتى نهاية محرم سنة ٣٧ ه، وبدأت رسل الفريقين بالذهاب والإياب، إلا أن ذهاب هؤلاء المبعوثين وإيابهم لم يحرز تقدماً في تحقيق الصلح بين الطرفين.

وفي الأول من شهر صفر بدأت الحرب مرة أخرى، وانقضت الأيام السبعة الأولى بمبارزةٍ بين قادةٍ من كلا الفريقين، وَ وَلِيَه أمر سيدنا علي ﷺ بالهجوم العام، وقد استمرت الحرب بكل شدتها بضعة أيام، وبلغ جيش الشام حد التفرق عندما هجم سيدنا علي ﷺ بشدة وقد أحزنه استشهاد سيدنا عمار بن ياسر كثيراً، كانت المعركة على وشك أن تكون لصالح علي ﷺ لولا أن سيدنا عمرو بن العاص دعا جيش معاوية إلى رفع المصاحف على رؤوس الرماح، ورفعوا أصواتهم قائلين: « بيننا وبينكم كتاب الله»، فنجحت حيلة عمرو بن العاص، وفعلاً بدأ جند العراق يقولون لسيدنا علي: «يا علي أجب القوم إلى كتاب الله»، ثم إن سيدنا عمرو بن العاص كما أنه خلص جيش الشام بهذه الخدعة من هزيمة مؤكدة، فقد كسر من شوكتهم، ولم يفلح سيدنا علي ﷺ على الرغم من جهوده التي بذلها كخليفة وقائد في سبيل إعلام الجنود أن ما قام عمرو مكيدة حرب، وكان يقول لهم : «ما رفعوها إلا خديعة، يريدون إيقاع الفرقة بينكم وبينهم، وتفريق وحدتكم»، إلا أنّ العراقيين أصّروا على طلبهم وبعثوا إلى الأشتر المستمر في القتال رجلاً يكلمه في ترك الاقتتال، واضطر سيدنا علي ﷺ إلى إرسال رجل إلى الأشتر لكي يتخلى عن القتال، فقال الأشتر للمبعوث: «ليس الوقت وقت الرحيل عن الساحة، فإني متأمل في النصر المؤزر، فلا تعجل»، وقبل وصول الرجل المبعوث إلى سيدنا علي ﷺ، حدث صخبٌ بين صفوف جنود الأشتر وتعالت الأصوات، إذ أنهم يواصلون الحرب بالمزيد من الحماس، وبناء على هذا فقد قال العراقيون لسيدنا علي ﷺ: «والله نحن إنما ظننا أنك أرسلت إلى الأشتر تأمره بالاقتتال وليس الكفَّ عنه»، وكان على الأشتر ترك الحرب بالأمر الثاني الصارم من سيدنا علي، بعث سيدنا علي ﷺ الأشعث بن قيس إلى معاوية يستوضح فِكْرَه، فأجابه سيدنا معاوية بقوله: «ما أريده تحكيم كتاب الله تعالى بيننا»، واختيار حكم من كلا الطرفين، يأخذون على عاتقهم مهمة اتخاذ قرار يتلاءم وكتاب الله تعالى ويتناسب والقرار الذي اتخذه فريقه، فرحّب أنصار سيدنا علي ﷺ بهذا الأمر بكل سرور.

اختار الشاميون عمرو بن العاص المعروف بحدة ذكائه ودهائه، وأما العراقيون فقد أرادوا تعيين أبا موسى الأشعري، وعلى الرغم من إظهار سيدنا علي ﷺ عدم الترحيب بحاكميته لمخالفته السابقة له أولاً ومحاولته تفريق الرعية عنه إلا أن العراقيين أصروا على تحكيمه، نجم عن هذه الحادثة انقسام الأراضي المسلمة، فأُطلق على من كان في صف سيدنا علي اسم الشيعة، واطلق اسم الأمويين على المنحازين إلى سيدنا معاوية، وسمي بالخوارج من لا يعترف بالطرفين.

د. خروج الخوارج وموقعة النهروان:

كانت حركة الخوارج أول حركة انفصالية من نوعها في التاريخ الإسلامي، وأتباع هذه الحركة إنما كانوا مسبقاً في جيش سيدنا علي ﷺ وهم على الرغم من تسببهم في دخول الخليفة في أمر الحكم، لكنهم تخلوا عنه قبل تحقق التحكيم، والسبب فيه الخشية من توحد سيدنا علي وسيدنا معاوية ومن ثم القضاء عليهم (على أنهم قتلة عثمان).

وفيما يلي بعض من الأسباب المؤدية إلى ظهور حركة الخوارج المسلحة:

١. الذهنية القبلية: تتألف الخوارج (الخارجين) والتي تعد أول فوضويين إسلاميين، من القبائل المهتمة (بأمر النبل والحسب والنسب). وقد شكلت نواتها قبائل بكر ومضر وتميم.

٢. وكون زمرة القراء (الحفظة) طرفاً مؤيداً لحركة الخوارج وهم يجهلون نيتهم الخبيثة بانحيازهم إلى الحَكَم في معركة صفين: إلا أن هذه الفئة المتمسكة بشدة بالقرآن الكريم والمتخذة من تعليمه شعاراً بها، سرعان ما قطعت ارتباطها بالخوارج عندما تجلى لها ما يضمرونه.

٣. تأثير السبئية: لقد استمر أنصار عبد الله بن سبأ أول من غرس بذور الفكرة الموصلة إلى التمرد والإرهاب، ومن بعدهم في نشر أفكارهم التي ترى الخروج على النظام المشروع.

٤. كانت الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية تكوّن حزباً واحداً، وكانت هذه الفئة المجتمعة في الحرورة أولاً ومن ثم في النهروان قد اختارت عبد الله بن وهب الراسبي خليفة لها.

ولم يمض وقت طويل قبل أن تشكِّل الحركةُ الانفصالية جيشاً وتظهر تمردها. ولم يتوانَ هؤلاء عن القيام بما يفعلونه تحت غطاء ديني. وعلى رأس ذلك التجاؤهم إلى بعض الغوغائية كاتهام سيدنا علي في مسألة التحكيم التي أُجْبَرُوا على قبولها بقولهم:

«لا حكم إلاّلله، الحكم لله يا علي لا لك، لا نرضى بأن يُحَكَّم الرجالُ في دين الله، وأنت بذلك قد كفرت».

أراد سيدنا علي ﷺ حل المسألة مع المنفصلين بالتصالح أولاً، وبعث عبدَ الله بن عباس لهذا الغرض، وحصلت بينه وبين الخوارج مناقشاتٌ طويلة، وقد أتى قسم منهم الكوفة منضماً إلى سيدنا علي ﷺ بعد توضيح الأمر لهم.

وقد قرر سيدنا علي ﷺ الذي كان يستعد لسير والي الشام إليه، إنهاء أمر الخوارج أولاً، وفي عام ٦٥٨ تغلب عليهم في المعركة الحاصلة في النهروان، وقضى على أغلب المتمردين، وعلى الرغم من محاولة الناجين هرباً التجمع في النهيلة مجدداً للمقاومة إلا أن سيدنا علي قضى عليهم دون منحهم أية فرصة (١٩ صفر، ٣٨/ ١٧ تموز ٦٥٨). لكن أقرباء المقتولين وأنصارهم لم ينفكوا عن السعي إلى الانتقام واستمروا في توليد الاضطرابات الداخلية.

٣. استشهاد سيدنا علي ﵁ (٤٠هـ/ ٦٦١م):

لما تولى سيدنا علي ﵁ الخلافة كانت الاضطرابات لا تزال مستمرة، ولم يكن ثمة وقت ممكن للقيام بتقدم وإصلاحات كبيرة سواء في الفتح الإسلامي أو إدارة الدولة، عمل بكل جهده لتأمين الأمن والطمأنينة للمسلمين، ففي الوقت الذي كان فيه يوفّر الصلح كان يحل الكثير من المسائل الدينية.

لاقت خلافة سيدنا علي ﵁ القبول من جميع المسلمين سوى الخوارج، لكن الحرص على الانتقام المتأصل تولد لدى الذين تمكنوا من النجاة في وقعة النهروان و أنصارهم.

فعلى الرغم من أن سيدنا عليا كان ينوي التوجه إلى الشام بعد الفراغ من معركة النهروان، إلا أنه رجع إلى الكوفة مؤجلاً سفره إلى الشام بسبب إنهاك الجيش والنقص في التجهيزات.

وبعد هزيمة النهروان بدأ الخوارج سرّاً بالتخطيط لاغتيال غادر، فقرروا قتل سيدنا علي ﵁ على وجه الخصوص وسيدنا معاوية وسيدنا عمرو بن العاص.

ثم إن سيدنا معاوية نجى من الاغتيالات التي دبرت له في أماكن متفرقة إلا أنها متفقة في الوقت بجراح طفيفة، وأما عمرو فلم يصبه شيء، إلا أن سيدنا علي ﵁ أصيب بجراح بالغةٍ جراء طعنة من خنجر مسموم طعنه بها عبد الرحمن بن ملجم الخارجي، وكان سيدنا علي آنذاك يصلي في المسجد.

٤ . شخصية سيدنا علي ﵁:

نشأ سيدُنا علي ﵁ منذ صغره في بيت النبي ﷺ وعلى عينه، فتخلق بأخلاقه عليه الصلاة والسلام ونهل من معين تربيته وتوجيهه، وكان بجانب النبي عليه الصلاة والسلام في أشد أوقاته، يُعرَف بين المسلمين بمكانة استثنائية لما كان يتمتع به من أخلاق وسجايا عظيمة من علم وتقوىً وإخلاص وصدق وتضحية وشفقة ورحمة وشجاعة.

وهكذا أضحى سيدُنا عليٌّ ﵁ رمزاً للبطولة والبسالة بين المسلمين، فقد كان مشهورا بتغلبه على خصومه أثناء الاقتتال مبارزةً قبيل الاحتدام بقصد تصعيد القتال في الغزوات.

كان سيدُنا علي ﵁ عالما بالقرآن والسنة وقافا عند حدودهما، ينصح المسلمين على الدوام بالتمسك بهما، يتمتع بحساسية بالغة إلى درجة تجعله يذرف الدموع على المعارك المؤسِفة الثلاث كالجمل وصفّين والنهروان داعياً للمعارضين بالهداية، وتقياً إلى حدٍّ لا يتبع فيه الألاعيب السياسية التي تحقق المنافع الشخصية.

إنَّ أوّل ما يخطر في البال من أوصاف علي ﵁ عندما يذكر اسمه هو علمه، فهو واحد من أكثر الصحابة علماً بالقرآن الكريم والسنة، حيث كان يقول: «سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار».

ولقد كان من فقهاء الصحابة و أعلمهم بالحلال والحرام، فقد أرسله النبي عليه الصلاة والسلام إلى اليمن قاضياً، وعلّمه كيفية الحكم هناك، وقد تكلم سيدنا عمر عنه في معرفته بالقوانين ونجاحه في إعطاء الحُكْم قائلاً:

«كان علي أصوبنا حكماً».

كان سيدنا علي ﷺ ممن يعيش وفق ما يقوله، وقد قال في وجوب تربية المرء نفسه:

«من ينصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبُه بسيرته قبل تأديبِه بلسانه، ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم».

وكان سيدنا علي ﷺ يُعَدُّ أول عالم بالكلام ومتكلم به من بين الصحابة للمناقشات التي جرت بينه ﷺ وبين الخوارج والقدرية في المسائل الكلامية.

ويعد كذلك أحد الصحابة الحافظين للقرآن الكريم كلّه في عهد النبي عليه الصلاة والسلام والعارفين بأحكامه، يُحسِن تلاوة القرآن، حتى إنه ثمة من قرأ القرآن عليه من التابعين.

و روى عن النبي عليه الصلاة والسلام ٥٨٦ حديثاً، وكان من المعروف أن في قبضة سيفه صحيفة فيها حديثٌ قد كتبه في عهد النبي عليه الصلاة والسلام يحمله دوماً معه.

كان سيدنا علي ﷺ حاكماً عادلاً ومهتماً ومراعياً لحقوق الناس إلى أبعد الحدود، وكان في الكتاب الذي كتبه وأرسله إلى مالك الأشتر، لا بد من المساواة في المعاملة بين المسلم وغيره، لأن المسلم أخو المسلم في الدين وغير المسلم يساويه في الإنسانية، وقد كتب مرة للوالي عبد الله بن عباس فيما يتعلق بتتبع غير المسلم أنهم قد يكونون كفرة وعبدة أوثان، لكن لا يحل طرهم وإساءة معاملتهم لأنهم تحت حكمنا.



بلغت خلافة علي بن أبي طالب ﷺ ذروتها في أواخر سنة ٤٠هـ/ ٦٦١ م

وكان يعرف سيدنا علي ﷺ ببلاغته وفصاحته، تنقل لنا المصادر روائع من خطبه ورسائله وكلماته المليئة بالحكمة والعظة.

مواعظ من الخلفاء الأربعة العظماء:

سيدنا أبو بكر رضي الله عنه:

- «انتبه لما ستقوله وأين ستقوله» .
- «ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي، النكث، المكر».
- «إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ».
- «ليست مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة».

سيدنا عمر رضي الله عنه:

- « أدرك سوية عقل السائل من سؤاله».
- «ما من شيء أكثر عيباً من أن ترى العيب في غيرك وتحسب نفسك منزهاً عنه».
- «لا يغرنك صلاة امرئ، ولا صيامه، من شاء صلى، ومن شاء صام، ولكن لا دين لمن لا أمانة له».
- «أستعيذ بالله من كسل الصالحين، وحرص ومجادلة الفاسقين».

سيدنا عثمان رضي الله عنه:

- «إني لأعجب ممن يحزن لما ضيعه، وهو على علم بأن ما من شيء يصيبه إلا بأمر الله».
- «نحن بأمس الحاجة إلى قادةٍ يقومون بالأعمال وليس قادة يتكلمون فقط».
- «تاجروا الله بالصدقة تربحوا».
- «لستُ ميزانا حتى أكون منزهاً عن الأخطاء».

سيدنا علي رضي الله عنه:

- «عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب، ويفوته الغنى الذي إياه طلب، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء».
- «ربوا أبناءكم على غير أخلاقكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم ».
- «لا تنحنوا أمام الظلم، فتفقدوا كرامتكم مع حقكم».

أسئلة الوحدة الأولى

ماذا تعلمت

١. من هم «الخلفاء الأربعة»؟
٢. ما الحكم التي نستنبطها من الفعاليات السياسية لسيدنا أبي بكر ﷺ؟
٣. كيف جمع القرآن الكريم في مصحف واحد؟
٤. ما هي أهم المعارك الحاصلة التي خاضها المسلمون زمن سيدنا أبي بكر ﷺ؟
٥. هلا شرحتم لنا شخصية سيدنا أبي بكر ﷺ مراعين في ذلك ذكر أمثلة من تصرفاته وتطبيقاته.
٦. ما هي أهم المعارك التي خاضها المسلمون زمن سيدنا عمر ﷺ؟
٧. كيف تم فتح القدس؟
٨. ما هي الآليات التي قام بها سيدنا عمر ﷺ في سبيل تنظيم الدولة الإسلامية؟
٩. تحدثوا عن شخصية سيدنا عمر ﷺ مراعين في ذلك ذكر الأمثلة التي تصلح مثالاً لنا.
١٠. ما هي أهم المعارك التي خاضها المسلمون زمن سيدنا عثمان ﷺ؟
١١. ماذا تعرفون عن أول معارك المسلمين البحرية؟، وما هي أهم فتوحهم في البحر الأبيض المتوسط؟.
١٢. ما هي الخدمات التي قدمها سيدنا عثمان ﷺ للقرآن الكريم؟ ما هو رأيكم في الخدمة التي تنبغي للقرآن الكريم في هذا العصر؟
١٣. كيف نشأت الاضطرابات الداخلية زمن سيدنا عثمان ﷺ؟.
١٤. كيف استشهد سيدنا عثمان ﷺ؟.
١٥. كيف اختير سيدنا علي ﷺ للخلافة؟.
١٦. هلا شرحتم لنا شخصية سيدنا علي ﷺ مراعين في ذلك ذكر أمثلة من تصرفاته وتطبيقاته.

اختر الإجابة الصحية ؟

١. أي من الأمور المذكورة فيما يلي تحقق في زمن سيدنا أبي بكر ﷺ؟

أ. جمع القرآن الكريم. ب. معركة القادسية.

ج. محاربة مدعي النبوة. د. فتح القدس.

٢. أي من الأجوبة التالية ليست من المعلومات المتعلقة بحوادث الردة؟.

أ. حصلت في زمن سيدنا أبي بكر ﷺ.

ب. جمع القرآن في مصحف واحد بعد حوادث الردة.

ج. كان قسم من المعارضين من الأعراب الذين جهلوا ولم يدركوا الحكمة من فرض الزكاة.

د. خالد بن الوليد وعكرمة من القادة الذين قاتلوا المرتدين.

٣. أي الخيارات التالية يصلح للفراغات فيما يلي: جُمِعَ القرآن في مصحف واحد في زمن خلافة سيدنا ....، وبإشراف ....، وكان بعد معركة ....

أ. سيدنا أبو بكر ﷺ ــ زيد بن ثابت ــ اليرموك.

ب. سيدنا عمر ﷺ ــ خالد بن الوليد ــ اليمامة.

ج. سيدنا أبو بكر ــ زيد بن ثابت ــ اليمامة.

د. سيدنا أبو بكر ﷺ ــ خالد بن الوليد ــ اليمامة.

٤. أي من الخيارات التالية جرت زمن عمر ﷺ؟:

١. فتحت أبواب فلسطين للمسلمين عقب انتصار جيش المسلم في أجنادين.

٢. أنهى المسلون من خلال فتح الشام حكم البيزنطيين عليها والذي استمر ١٠٠٠ عام.

٣. وصلت سورية إلى يد المسلمين بعد معركة اليرموك.

أ. ١، ٣. ب. كلها.

ج. ١ و ٢. د. ٢ و٣.

٥. أي مِن الخيارات التالية لا يوصف بها أبي بكر ﷺ؟.

أ. كان أحد كتبة الوحي.

ب. أطلق عليه لقب الصديق .

ج. أول خليفة يطلق عليه لقب أمير المؤمنين.

د. كان إنساناً زاهداً وتقياً وكريماً قنوعاً.

٦. أي المعارك التالية هيأت للانتصار في سائر المعارك، وفتحت باب إيران أمام المسلمين؟

أ. معركة اليرموك.

ب. معرك القادسية .

ج. معركة اليمامة.

د. معركة نهاوند.

٧. أي الخيارات التالية تصلح جواباً للفراغات الموجودة في الجملة التالية؟ «سميت معركة.......... والتي جرت زمن .... بفتح الفتوح، لأن فتح إيران بات ميسراً بهذه المعركة، وحصل المسلمون فيها على غنائم وفيرة».

أ. ــ نهاوند – عمر ﵁ .

ب. القادسية – عمر ﵁ .

ج. نهاوند – سيدنا أبو بكر ﵁ .

د. فتح خراسان – سيدنا عمر ﵁ .

٨. أي الخيارات التالية ليست من الفتوح المتحققة في الأراضي البيزنطية زمن سيدنا عمر ﵁؟

أ. فتح القدس. ب. فتوح سورية.

ج. فتح مصر . د. فتح خراسان.

٩. أي الخيارات التالية كانت ضمن الإجراءات الجديدة التي قام بها سيدنا عمر ﵁؟

١. تم تأسيس جيش منظم لأول مرة.

٢. تطبيق التقويم الميلادي.

٣. جعل الخراج ولأول مرة بمثابة ضريبة للدولة.

٤. أنشئت مؤسسة الإفتاء.

٥. أتبع التقويم الهجري تأريخا للدولة .

أ. كلها . ب. ١، ٣، ٤، ٥ .

ج. ١، ٢، ٣، ٤ د. ١، ٢، ٤، ٥

١٠. أي الصفات التالية هي أول ما يخطر في البال عند ذكر سيدنا عمر ﵁؟

أ. وفاؤه. ب. عدالته.

ج. فراسته. د. كونه لين الطباع.

١١. أي الصحابة التالية أسماؤهم ليسوا من بين مجلس الشورى الذي أوكل له سيدنا عمر ﵁ أمر اختيار الخليفة من بعده ؟.

أ. عبد الرحمن بن عوف ﵁. ب. عثمان ﵁.

ج. عبد الله بن عمر ﵁. د. الزبير﵁ .

١٢. في أي مناطق تمت الفتوح التي فتحت أبواب أفريقية أمام جيوش الإسلام وفي زمن أي خليفة؟

أ. سيدنا عمر ﵁ ــ سورية.

ب. سيدنا عثمان ﵁ ــ القفقاز .

ج. سيدنا عثمان ﵁ ــ إيران .

د. سيدنا عثمان ﵁ ــ أفريقية الشمالية.

١٣. في أي زمن خليفة تم نسخ القرآن الكريم إلى ست نسخ؟

أ. سيدنا عمر ﵁.

ب. سيدنا أبو بكر ﵁.

ج. سيدنا عثمان ﵁.

د. سيدنا علي﵁.

١٤. أي الخصائص التالية هي أول ما يخطر في البال عند ذكر سيدنا عثمان ﵁؟

أ. العدالة. ب. الحياء.

ج. الشجاعة . د. الرحمة .

١٥. **من هو عدو الإسلام الذي تسبب بتوتر الأمر في موقعة الجمل؟**

أ. عبد الله بن سبأ.

ب. جرجيروس.

ج. العبد فيروز .

د. هرقل.

١٦. **في زمن أي خليفة وقعت معركة صفين وضد من؟**

أ. سيدنا عثمان رضي الله عنه ــ معاوية.

ب. سيدنا علي رضي الله عنه ــ معاوية .

ج. سيدنا علي رضي الله عنه ــ السيدة عائشة رضي الله عنها.

د. سيدنا علي رضي الله عنه ــ ابن سبأ.

١٧. **ضد من حدثت معركة النهروان؟**

أ. جيش سيدنا معاوية.

ب. أنصار عبد الله بن سبأ.

ج. البيزنطيين .

د. الخوارج .

املأ الفراغات

املأ الفراغات التالية بما هو مناسب من الكلمات التي بين القوسين:

(عبد الله بن سبأ، الشيعة، الأمويين، الخوارج، اليمامة، الشام، اليرموك ، الصديق، نهاوند، سيدنا عثمان، بشرط، قتلة سيدنا عثمان)

١. تم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد بسبب استشهاد كثير من الحفظة في معركة ....

٢. لقد أنهى المسلمون بفتح .... حكم البيزنطيين الذي دام ١٠٠٠ سنة.

٣. يعد نصر................ حجر الأساس لنجاحات المسلمين التي اكتسبوها في منطقة الشام.

٤. تم وضع لقب .... لسيدنا أبي بكر لتصديقه وإيمانه الذي لا يتزعزع بالنبي عليه الصلاة والسلام.

٥. يطلق على معركة .... اسم فتح الفتوح.

٦. قامت أول معارك المسلمين البحرية زمن خلافة سيدنا ....

٧. كان أهل المدينة قد بايعوا سيدنا علياً ﷺ ....

٨. أول ما طُلب من سيدنا علي القيام به هو ملاحقة .... ومعاقبتهم.

٩. كان .... هو من هجم على طرف السيدة عائشة ﷺ في وقعة الجمل.

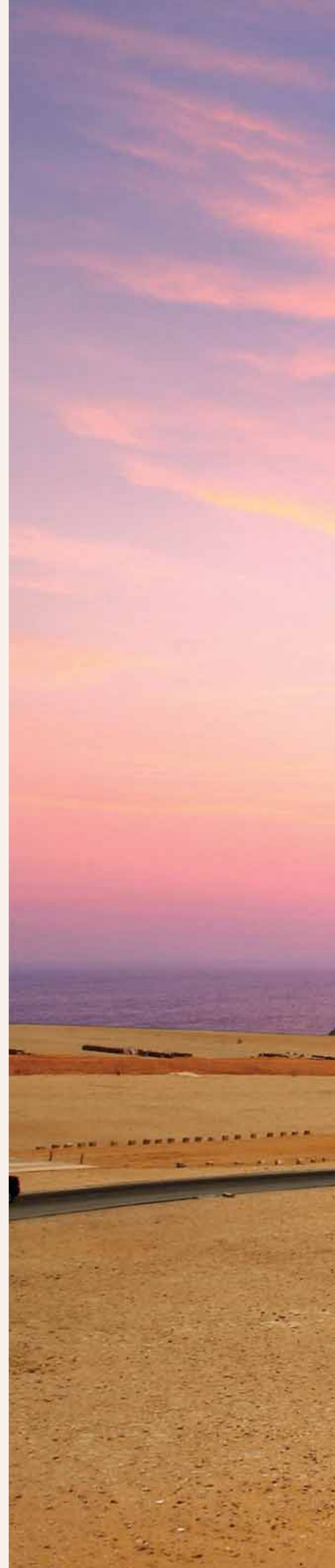
١٠. أطلق اسم .... على أتباع سيدنا علي بعد موقعة صفين ومسألة التحكيم، واسم .... على أنصار سيدنا معاوية، وأما من لم يعترف بكلا الطرفين فسمي ....

اختبر معلوماتك ؟

ضع حرف «ص» على المعلومات الصحيحة وحرف«خ» على المعلومات الخاطئة فيما يلي:

١	تم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد في عهد النبي عليه الصلاة والسلام.	
٢	جُمع القرآن الكريم في مصحف واحد بإشراف سيدنا زيد بن ثابت.	
٣	صلى سيدُنا علي صلاة الجنازة على سيدنا أبي بكر رضي الله عنه.	
٤	سمي أبو بكر رضي الله عنه باسم « خليفة الله».	
٥	اتسعت رقعة الأراضي الإسلامية إلى حد كبير في عهد عمر رضي الله عنه.	
٦	فتحت أبواب إيران بمعركة القادسية أمام المسلمين	
٧	تم فتح مصر في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه.	
٨	تحققت كثير من الإنجازات الجديدة في زمن سيدنا عمر رضي الله عنه.	
٩	سقطت الدولة الساسانية الإيرانية في عهد عثمان رضي الله عنه.	
١٠	نسخ القرآن نسخاً عديدة في عهد عمر رضي الله عنه.	
١١	لقد اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد سيدنا علي رضي الله عنه إلى أبعد الحدود .	
١٢	كان عبد الله بن سبأ رئيس العصاة الذين اجتمعوا في المدينة في عهد علي رضي الله عنه.	
١٣	تم القضاء على أكثر الخوارج في معركة نهروان من قبل علي رضي الله عنه.	





الوحدة الثانية

الأمويين و العباسيين

موضوعات الوحدة

- الأمويين (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١ ـ ٧٥٠م).
- العباسيين (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠ـ ١٢٥٨م).
- دولة الأندلس الأموية (٢٤٢-٤٢٢هـ/ ٨٥٦ ـ ١٠٣١م).
- دولة بني الأحمر (٦٢٦-٨٩٧هـ/ ١٢٣٢ ـ ١٤٩٢م).

تمهيد

١. ما هي البلاد التي تم فتحها في العهد الأموي والعباسي وغدت ضمن حدود الدولة الإسلامية.

٢. هل سمعت بحادثة كربلاء وهل تعرف كيف ولماذا وقعت؟

٣. كيف ولماذا تتفرق الأمة الواحدة وتصبح أحزابا وشيعا يقاتل بعضها بعضا ؟

٤. كيف استطاعت الحضارة الإسلامية أن تؤثر على أوروبا ؟

٥. ما أول ما يخطر في بالكم عند ذكر الدولة الأموية؟

أ. الأمويون (٤١-١٣٢ هـ / ٦٦١ -٧٥٠م)

١ . معاوية بن أبي سفيان وتأسيس الدولة الأموية:

قام المسلمون بعد استشهاد سيدنا علي ﵁ بمبايعة ابنه الحسن خليفة من بعده، ولكن الصراع بين سيدنا علي وسيدنا معاوية كان ما يزال قائما حتى إن سيدنا معاوية قد استولى على بعض المناطق الهامة وعلى رأسها مصر.

وكان سيدنا الحسن قد رأى أنه لابد من التفاهم مع سيدنا معاوية حرصا على وحدة المسلمين وتضامنهم.

ولذلك فقد تنازل سيدنا الحسن عن الخلافة بعد ستة أشهر من توليه إياها وبايع سيدَنا معاوية، وقد أطلق على هذا العام «عام الجماعة» لاجتماع المسلمين على كلمة واحدة (٤١/ ٦٦١) وكان الفضل في هذا يرجع إلى ما أبداه سيدنا الحسن من تضحية عظيمة في سبيل إنهاء الصراع الدائر بين المسلمين، وبهذا توحد العالم الإسلامي المنقسم وباتت الشام عاصمة الدولة الإسلامية وكانت هذه النقطة هي بداية تأسيس الدولة الأموية.

أ. ماهية الدولة المؤسسة من قبل معاوية:

كان سيدنا معاوية والي الشام قد أعدَّ أهل الشام لمجابهة سيدنا علي ﵁ مبرراً لذلك بالمطالبة بدم سيدنا عثمان وهو بذلك قد دخل في الصراع السياسي. وقدم أرضية مشروعة لمجادلته السياسية بالحيلة التي قام بها عمرو بن العاص في مسألة التحكيم.

والدولة الأموية إنما ظهرت نتيجة النجاح الذي ولده التيار القبلي (بنو أمية) وأنصارهم، ثم إن معاوية وطاقمه عززوا قوتهم بالتأكيد على طابع «العروبة» للدولة الناشئة، ووفق الكثير من المؤرخين فقد أسسوا بهذا التوجه دولة العرب، وتخلصوا من معارضة القبائل العربية الأخرى لحكم بني أمية .

أصبحت الشام (دمشق) عاصمة الدولة الأموية

في حين أن الإسلام عامل المسلمين جميعا على قدم المساواة دون تفريق بين عربي وأعجمي، ودعوة الإسلام هذه خروج أساسي ونقطة مقاومة ضد مواقف الأمويين العنصرية، وقد استند الموالي وهم غير العرب أثناء مخالفتهم إلى هذه النقطة، إلا أنه ثمة أمر ألا وهو أن بعضاً من التيارات التي جادلت ضد الأمويين لم تكن تحت اسم الإسلام مباشرة وإنما قامت على أساس من الأفكار والأهداف المغايرة. وإحدى الخصائص السياسية للدولة الأموية المنشأة اعتمداها النظام الوراثي في الحكم، حيث بدأ عهد الملك، وباتت الخلافة تنتقل من الأب

للابن، ورغم الكثير من التوجهات السلبية للدولة الأموية إلا أن الإسلام انتشر على مدىً واسع في ظل هذه الدولة .

إحدى الخصائص السياسية للدولة الأموية المنشأة اعتمداها النظام الوراثي في الحكم، حيث بدأ عهد الملك، وباتت الخلافة تنتقل من الأب للابن.

ب. حملات المسلمين على الروم البيزنطيين:

جهز معاوية جيشاً بريا وقوات بحريةٍ قوية، وكان يعد العدة للهجوم على الروم، وفي عام ٦٦٩ أحاط الأسطول البحري الإسلامي تحت إمرة عبد الرحمن بن عوف بالقسطنطينية (إسطنبول)، واستشهد في هذا الحصار خالد بن زيد (أبو أيوب الأنصاري ﷺ) أحد صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام، ودفن تحت أسوار قلعة هذه المدينة.

وفي عام ٦٧٤ واصلت القوات الأموية مجدداً محاصرة إسطنبول وقد استمرت محاصرتهم سبع سنوات، وكانت «النار اليونانية» أكثر ما أخافَ العرب في هذا الحصار، فبهذه المادة كان البيزنطيون يحرقون السفن الحربية أو يحولون دون وصولها إليهم. ولكن قام الأمويون في طريق عودتهم – بعد أن باء حصارهم لإسطنبول بالفشل – بفتح رودوس، ونُظِّمَت حملات ضد البيزنطيين عن طريق البر، وأنشأ معاوية نظام «الغزوة»، فوضع على طول الحدود الشمالية الشرقية خطاً محكماً وثغورا دائما لمواجهة الروم، فأقيمت الثكنات العسكرية في هذه المواقع المحصنة، وتم مواصلة الجهاد ضد البيزنطيين دونما توقف.

ج. الفتوحات تمتد نحو الشرق والغرب:

وُكِّل عقبة بن نافع أحد قادة معاوية المشهورين، بفتح أفريقية الشمالية المقسمة إلى دول هي تونس والجزائر والمغرب، وفي عام ٦٧٠ أنشأ عقبة مدينة القيروان، ومن المشهور مقولة عقبة بن نافع فاتح أفريقية الشمالية، حيث قال وهو يعيش نشوة إيصال الإسلام إلى الناس هناك سائراً على متن جواده نحو المحيط الأطلسي: « يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك ».

وقد زحف القائد الأموي مع محاربيه إلى آسيا الوسطى، حتى أنهم تجاوزوا نهر جيحون، وأتموا فتح خراسان، ونظّموا غارات على بخارى، ومن ثمّ اتجهوا نحو الغرب ودخلوا دولة أفغانستان حتى بلغوا كابول.

٢. حادثة كربلاء:

كان معاوية المتوفى سنة ٦٨٠ قد عيّن ابنه يزيد أميرا من بعده، وأثار هذا الأمر استياء الكثيرين وخاصة سيدنا الحسين ﷺ حيث كان أحد وجوه الصحابة وسيد بني هاشم، ولذلك دعا أهل الكوفة سيدنا الحسين ﷺ

للمجيء إلى الكوفة لمبايعته خليفة للمسلمين بدل يزيد، وتوجه سيدنا الحسين نحو الكوفة في أيلول أوخر سنة ٦٨٠ مع بعض أقربائه وأنصاره .

ولما بلغ خبر مسير الحسين ﵁ عبيدَ الله المعروف بقساوة قلبه، أرسل قوةً بإمرة الحرّ بن يزيد التميمي، وكان الحرّ قد أتى منطوياً على نيات خبيثة، إلا أنه لما رأى الحسين ﵁ غدا شاهداً على نيته الطيبة ونزاهته، وانضم إليه بدل مواجهته.

وبعد انضمام الحرّ إلى الطرف الثاني، أرسل عبيد الله قوة مؤلفة من ٣٠٠٠ بإمرة عمر بن سعد، وقد طلب عمر إلى سيدنا الحسين ﵁ الذي أقام مخيمه في قرية كربلاء أن يستسلم، وقام سيدنا الحسين ببيان أن ما تعرض إليه من المعاملة كان ظلماً فهو قد أتى من أجل السلم وليس لإلحاق الأذى بأي أحد، وأما عمر بن سعد فأظهر أسفه الشديد للوضع، لكن ولأنه جندي مأمور فهو مجبر على سوق سيدنا الحسين ﵁ ومن حوله، وفي حال أقسم سيدنا الحسين على التزامه بطاعة الخليفة فسيخلى سبيله ومن معه.

كان سيدنا الحسين على علم بعدم أهلية يزيد لخلافة المسلمين، فإن هو أطاعه باع شرفه وبات مستخدماً محبة وثقة الناس به في الإساءة. فقال لعمر:

«إما أن تتركوني أرجع من حيث جئت. وإما أن تخلوا بيني وبين الطريق إلى الأعاجم، أقاتل فيهم حتى أموت، وإما أن أسير إلى يزيد».

وكان عمر بن سعد يتأمّل في عرض سيدنا الحسين، ويفكر في حلٍّ للأمر، إلا أن شخصاً خبيث النية يدعى شمر بن ذي الجُوشن، وصف تصرف عمر المسالم بأنه جبن وخوف وبذلك فتح الطريق أمام توتر الأجواء.

وبدأت المعركة في ١٠ من تشرين الأول سنة ٦٨٠، وكان من مع سيدنا الحسين لا يتجاوز عددهم المائة، كان التفاوت بين الطرفين بارزاً جداً، وبالرغم من ذلك فقد قدم أقرباء سيدنا الحسين وأنصاره الشجعان مثالاً للبسالة لا مثيل له، واستشهد في الاحتدام أولاده وأولاد أخيه واحداً تلو الآخر، فوضع الحسين ﵁ أجساد أقربائه من الشهداء جانب المخيمات، وعند الظهيرة دعا بدعاء خير و ودع أهله ذاهباً إلى آخر معركة له.

حين تقدم سيدنا الحسين القتال لم يجرؤ الطرف الآخر على مبادرة القتال بالهجوم على حفيد رسول الله ﷺ، ولكن بعد إثارة شمر الحماسة بين الجند بالسخرية والإهانة، هاجموا وقد غدوا كالجسد الواحد. عندها أظهر سيدنا الحسين ﵁ مقاومة ملحمية استثنائية، إلا أنه من المستحيل تغلبه أمام هذا الجمع الغفير من الأعداء، فوقع مِن على ظهر جواده مصاباً، ودهس من قبل خيل المحاربين العراقيين ومن ثم قطع رأسه المبارك، وتم إرسال رأسه المقطوع مع من بقي من أهل بيته إلى يزيد.

بدا يزيد غير راض بهذه النتيجة التي وصل إليها الأمر، وقد بقي على قيد الحياة علي أحد أولاد سيدنا الحسين، فطلب يزيد إليه الصفح و بيّن عدم مسؤوليته عن هذه المأساة، وأنّ عبيد الله تجاوز الأوامر إلى حدٍّ

بعيدٍ، إلا أنه لم يصدقه أحد، وبهذه الحادثة أضحى من المؤكد انقسام العالم الإسلامي إلى فرقتين من أهل السنة والشيعة.

٣. عهد ازدهار الأمويين (زمن عبد الملك الأول، وزمن الوليد الأول):

أ. الاضطربات الداخلية والقضاء عليها:

لم تتفاعل منطقة الحجاز على نحو إيجابي مع خلافة يزيد، وقد اشتدت حدة التوترات بعد مأساة كربلاء.

وثمة شجاع آخر قد عارض الخلافة الأموية وهو سيدنا عبد الله بن الزبير ابن أخت السيدة عائشة وحفيد سيدنا أبي بكر ﷺ، فلما أعلن نفسه خليفة بايعته منطقة الحجاز وجنوب شبه الجزيرة العربية، إلا أن مسلم بن عقبة أحد قادة يزيد ألحق الهزيمة بقوات عبد الله بالقرب من المدينة المنورة سنة ٦٨٣، حتى إنه قوات يزيد سلبت المدينة، ومن ثم حاصرت مكة المكرمة التي تحصن بها عبد الله، حتى إنهم قصفوها بالحجارة والمنجنيق ولم يراعوا حرمة البلد الحرام .

وبوفاة معاوية الثاني ابن يزيد بعد فترة قصيرة من توليه مكان أبيه، انتقلت الخلافة إلى مروان بن الحكم عام (٦٨٣ ـ ٦٨٥). واستمر في المقاومة ضد عبد الله بن الزبير، وقمع نوعاً ما أعمال الشغب الحاصلة في العراق وسورية، وعندما توفي أخذ مكانه ابنه عبد الملك بن مروان سنة (٦٨٥ ـ ٧٠٥).

وأظهرت الدولة الأموية تقدماً وازدهاراً بعد تولي عبد الملك بن مروان الحكم، واستمر اتساع رقعة الدولة بتولي الوليد الحكم بعده عام (٧٠٥ ـ ٧١٥). وتم فتح الكثير من الأماكن، ولاقى التنظيم الداخلي للدولة اهتماماً، لكن الاضطرابات ما تزال قائمة في الدولة لم تخمد كلياً، فاتخذت شتى التدابير اللازمة وتم القيام بالأمور المطلوبة.

ب. استيلاء الأمويين على مكة:

تم تكليف الحجاج بن يوسف أحد قادة عبد الملك، باستعادة السيطرة الكاملة على العراق والحجاز التي يحكمها عبد الله بن الزبير وضمها إلى البلاد.

كان الحجاج الذي حاصر مكة شديداً جداً، وقاومه المكيون بشجاعةٍ عظيمة، وقد قاتل عبد الله بن الزبير في الاشتباكات حتى النهاية، وعلى الرغم من محاربة عبد الله وأهل مكة ببطولة فريدة، إلا أنهم انهزموا أمام قوات الحجّاج التي تفوقهم عدداً.

وبسقوط مكة سقطت سائر قلاع الحجاز، ومن ثم حُمِلَ أهل منطقة اليمن على الخضوع، وهرب من تبقى من معارضي بني أمية إلى خراسان، و واصلوا معارضتهم الأمويين سرا وجهرا .

ج. الفتوح الجارية في الأناضول والقفقاز وأفريقية الشمالية:

إن مدة حكم عبد الملك كانت زاخرة بالفتوحات، حيث كانت جيوش الإسلام المرابطة في الشمال على تعمل قدم وساق في الذود عن الحدود ضد البيزنطيين، إلا أن امبراطور البيزنطيين لم يتوان عن إرسال قواته إلى ما وراء الحدود مستفيداً من الصراعات الداخلية الجارية بين المسلمين.

ولكن مالبث المسلمون بعد استقرار الأوضاع الداخلية أن بدؤا بمرحلة الهجوم فدخلوا أراضي الأناضول فاتحين، وبالأخص في عهد الوليد الأول حيث تم فتح الكثير من المدن والمناطق في الأناضول بقيادة قادة كمسلمة بن عبد الملك.

وقام الوليد بعد هذه الانتصارات التي أحرزها مسلمة في الأناضول بتعينه والياً على الجزيرة والموصل.

وعند تولية مسلمة كانت الحدود الشمالية للموصل تتعرض للهجمات التركية، فزحف مسلمة نحو أذربيجان والقفقاز رغبة منه في الحيلولة دون ذلك، وتمكن من السيطرة على كثير من المواقع في أذربيجان والقفقاز، وفي هذه الأثناء كان ابن أخيه عمرو بن الوليد قد بلغ مشارف اسطنبول سنة (٧١٢).

وأما موسى بن نصير المعيَّن مِن قِبل الوليد بن عبد الملك والياً على أفريقية، فقد تقدم نحو المحيط الأطلسي لإخضاع البرابرة للطاعة، وبهذا تمكن من إخضاع أفريقية الشمالية كلياً بين عامي (٧٠٩ ـ ٧١٠).

وبعد فترة من الزمن أرسل موسى بن نصير قائده طارق بن زياد إلى الأندلس (إسبانيا) فاتحا حتى إنه يروى عنه بعد نزوله على شواطئ الأندلس أنه أمر بإحراق السفن ليؤكد للجنود عزمه على المضي في الفتح إلى نهاية المطاف.

وألحق المسلمون الهزيمة بقوات رودريك وباتت إسبانيا وشيكة من الفتح الشامل من أولها إلى آخرها.

د. فتوح ما وراء النهر وتركمنستان:

كان الحجاج قد أرسل أحد قادته وهو عبد الرحمن بن محمد إلى كابول التي رفض حاكمها إعطاء الجزية عدا عن ردّه الإسلام، فأتى عبد الرحمن كابول وأخضعها لحكم المسلمين .

ومن الجهة الأخرى كان تم إرسال قتيبة بن مسلم لفتح بلاد ما وراء نهر جيحون، فاستولى قتيبة على بلخ وبخارى ومن ثم سمرقند وما يجاورها، وتوجه فيها بعد ذلك إلى بلد خوارزم، وفي عام ٧١٣ سيطر على فرغانة وبهذا تكون بلاد ما وراء النهر قد فتحت تماماً.

ولما استولى قتيبة على كشغر غرب تركمنستان كان قد بلغ حدود الصين، مما أقلق أمبراطور الصين، فبعث إلى قتيبة بالرسل والهدايا العديدة وصالحه عام (٧١٥).

ومن الأعمال التي تحسب للحجاج تسييره الجيوش لفتح الهند، حيث تمكّن محمد بن القاسم المرسَل بجيش عظيمٍ إلى الهند مِن تحقيق انتصاراتٍ هامة، وتم فتح العديد من المدن، وخضعت إمارات الهند للجزية.

هـ. التحديثات الجارية في تنظيم الدولة:

حقق الخليفة عبد الملك (٦٨٥ ـ ٧٠٥) بعض التحديثات في المجال الإداري والاجتماعي والاقتصادي، ويأتي على رأس هذا ضرب النقود باسمه لأول مرة في العالم الإسلامي، إذ كان فيما سبق تستخدم نقود البلاد الأخرى، فقام عبد الملك بضرب نقودٍ جديدة من الذهب والفضة وأخرج كل النقود السابقة من التّداول.

وأما التغيير الجذريّ الآخر الذي أحدثه عبد الملك فقد كان في ميدان اللغة، حيث عرب دواوين الدولة في كل من مصر والشام والعراق، علاوة على أمره بتأسيس نظام البريد، وتنظيم النظام الضريبي.

كان الوليد بن عبد الملك حاكماً رحيماً رؤوفاً، اهتم بإقامة المنشآت العمرانية والمؤسّسات التعليمية والطبية، وبذل جهوداً كثيرة في ترسيخ سيادة القانون وتطبيق العدالة.

٤. أواخر عهد الأمويين:

بعد وفاة الوليد بن عبد الملك تولى أخوه سليمان الخلافة من بعده (٧١٥ـ٧١٧)، ولكنه لم يكن حاكما حصيفا كأخيه الوليد، فكانت مثلا إحدى أعماله غير المبررة حصار القسطنطينية الذي باء بعد جهود مضنية بالفشل، وثمت تقدم واضح في الأندلس (إسبانيا)، حيث قام واليها الحرّ بن عبد الرحمن بتجاوز جبال البرانس والدخول إلى الأراضي الفرنسية.

ويختلف عمر بن عبد العزيز الذي تولى الخلافة بين عامي ٧١٧ ـ ٧٢٠، عن سائر الخلفاء الأمويين بأمانته وإيمانه وحرصه وعدالته، وسرعان ما لاقت مختلف أعماله التي حققها ضمن الدولة إعجاب جميع المسلمين، فبعد أن شاعت عادة لَعْنِ سيدنا علي ﷺ في خطب الجمعة أزالها سيدنا عمر بن عبد العزيز، و رد الأموال المخصصة لآل بيت سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام إليهم مجدداً، كما أسقط عن غير المسلمين بعض الضرائب الزائدة التي كانوا يدفعونها، وحرص على المساواة بين الرعية، وكان زاهدا متواضعا يعيش حياة بسيطة كسائر الناس، وقد أُطلق على عمر بن عبد العزيز اسم عمر الثاني لشبهه بجده سيدنا عمر في العدالة والإدارة.

٥. سقوط الدولة الأموية:

١. إن أهم عامل في انهيار الدولة الأموية، انبعاث العصبية القبلية من جديد بعد أن حاربه الإسلام وغيبه عن ثقافة المجتمع، ثم إن الصراعاتِ القبلية إنما غذّاها استنادُ النظام العسكري على الأساس القبلي، واحتلال الخلفاء والولاة مكانهم في النزاع القبلي، والاستخدام المتبادل لهؤلاء للقبائل في سبيل الأطماع السلطوية، مؤدياً إلى تجزؤ المجتمع وانقسامه إلى شمالي وجنوبي (مضرية ويمنية).

٢. كانت الدولة الأموية دولة عربية، إذ ظهرت هذه الخاصّية في المجتمع بعد عهد معاوية، كما أنها طبقت في السنوات اللاحقة على أنها قومية متينة، إلى جانب اختلاف معاملتهم مع غير العرب من المسلمين، مما أثّر على

نمط النظرة العامة لغير العرب من المسلمين تجاه الدولة والعرب وإضمار الحقد والبغضاء، وقد لعب هؤلاء من غير العرب المسمّون ب (الموالي) دوراً رئيسياً في انهيار الدولة الأموية.

٣. انشغال بعض الخلفاء باللهو وسفاسف الأمور عن إدارة الدولة وتطويرها ومتابعة ما بدأه الخلفاء الأوائل من فتوحات وانتصارات .

٤. أضعف قوةَ الدولة تمرّد قادةٍ وأشخاص ذائعي الصيت وعلى رأسهم أتباع سيدنا علي بما في ذلك الخوارج وقادةٍ أمثال عبد الله بن الزبير وابن الأشعث والحارث بن سُريج ويزيد والمهلّب.

وقد سئل أحد أشراف بني أمية وأعلمهم بتاريخ الدولة هذا السؤال التالي عن السبب في انهيار سلطة بني أمية ؟ فأجاب أننا ظلمنا قومنا بقضاء وقتنا في اللهو والعبث والاستمتاع في حين كان الأجدر بنا التحرّي عن أحوال الناس والاهتمام بهم. فغدوا في حالةٍ من الرغبة في التخلص منا وقد قطعوا الأمل من عدالتنا، فأساؤوا معاملة موظفي الضرائب، وابتعدوا عنا، وبهذا أضحت أراضينا خراباً، وفرغت خزائننا. وضعنا ثقتنا في وزرائنا وولاتنا إلا أنهم وللأسف فضّلوا مصالحهم الشخصية على منافع الدولة، وتصرّفوا من تلقاء أنفسهم ولمصالحهم الشخصية .

٦. أحداثٌ ذات أهمية في العهد الأموي:

١. حصار القسطنطينية (اسطنبول): حيث حاصر الأمويون القسطنطينية مرتين، (٦٦٨ ـ ٦٧٤). بيد أن محاولتهم لم تثمر.

٢. حادثة كربلاء (٦٨٠): وهي حادثة مقتل سيدنا الحسين الابن الصغير لسيدنا علي ﷺ وأنصارِه ممن لم يعترفوا بخلافة يزيد، وقد أدّت هذه الحادثة المأساوية إلى انقسام العالم الإسلام إلى شيعةٍ وأهل سنّة.

٣. فتح إفريقية الشمالية: وصلت الجيوش الأموية تحت إمرة عقبة بن نافع حتى المحيط الأطلسي، بعد فتحها أفريقية الشمالية كلها.

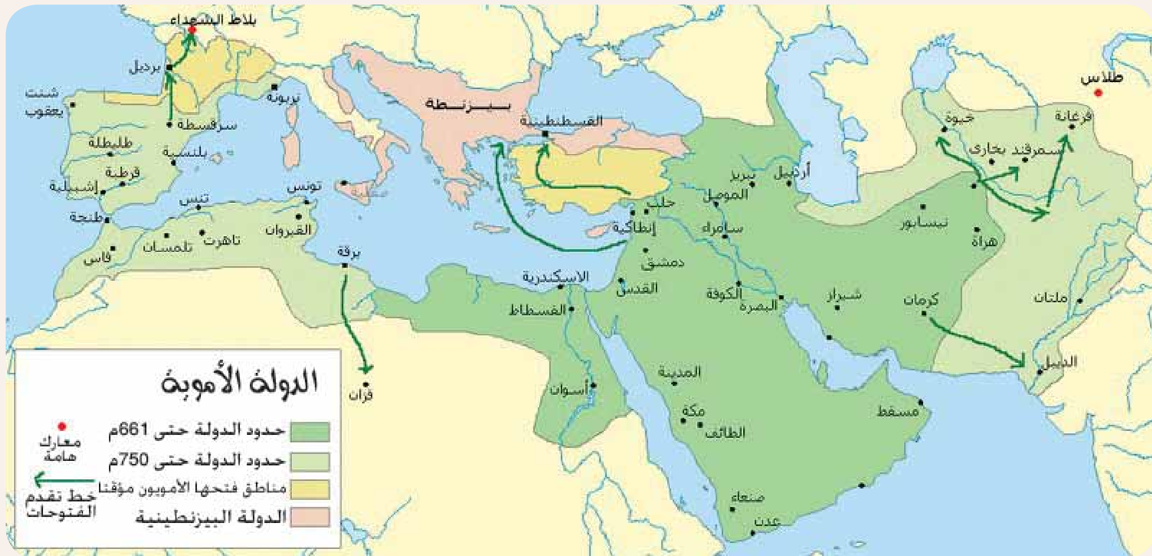
٤. معركة قاديكس : كانت القوات بقيادة طارق بن زياد قد دخلت إسبانيا باجتيازها مضيق جبل طارق سنة ٧١١ ولاقت القوط الغربيين، وحققت النصر بقتل الملك رودريك، كما تمّ فتح إسبانية في مدةٍ قصيرةٍ بمساهمةٍ من موسى بن نصير حين جاء بتعزيزات جديدة، وكان المسلمون يطلقون على إسبانية اسم « الأندلس ».

٥. معركة بواتييه : في عام ٧٣٢ انهزم الأمويون الذين دخلوا فرنسا بقيادة عبد الرحمن الغافقي باجتيازهم جبال البرنس أمام الفرنسيين تحت إمرة تشارلز مارتيل في بوتييه، وهذه الهزيمة أوقفت تقدم المسلمين في أوروبا الغربية.

٦. الحملات إلى الأناضول والقفقاز وما وراء النهر وتركستان: كان الأمويون قد استولوا على بعض المدن بفتوحاتهم في ناحية الأناضول ضد البيزنطيين، كما تمت السيطرة على بعض المناطق في القفقاز وما وراء النهر وتركستان، كما قام المسلمون بالاستيلاء على مدنٍ كبيكند وبخارى وسمرقند والفرغانة من خلال مداهمتها والإغارة عليها ومن ثمَّ تخريبها.

٧. أُعلنت اللغة العربية لغة رسمية وضربت النقود العربية الإسلامية (الدينار) لأول مرة.

٨. اتسعت الحركة التي ظهرت بعصيان وتمرد أبي مسلم الخراساني في فترة وجيزة، ووصلت الدولة الأموية إلى نهايتها بانهزام آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد ومقتله.



قطعة للمطالعة

عمر بن عبد العزيز

ثمّة حقيقة لا يكاد يجادل فيها أحد ألا وهي أنّ سيدنا عمر بن عبد العزيز المعروف بالخليفة الراشدي الخامس يعتبر الوجه المشرق في تاريخ الخلافة الأموية، حيث إنّ الأعمال التي قام بها سواءٌ في خلافته أو في وقت ولايته ساهمت كلها في ترسيخ صورته تاريخيا على هذا النحو بحق، كما أنه يلفِت الانتباه بجهوده المبذولة في سبيل القضاء على التفرقة الحاصلة في صفوف المسلمين في فترة خلافته القصيرة تلك.

لم يكن ينتقى الولاة أو أصحاب المناصب بناء على ولائهم أو صلة القرابة لنبي أمية، وينقل لنا السيوطي في هذا الصدد مشادّة كلاميّة جرت بين عمر وسادة بني أمية حول هذا الموضوع مفادها:

رد سيدنا عمر على قولهم: «وَلِّنَا» بقوله: «إن شئتم جعلت كل واحد منكم جندياً»

ولما تذمّروا أعربوا عن استيائهم قائلين: «ولِمَ تعرِض علينا ما تعرف عجزنا عن القيام به؟»

فكان يجيبهم بقوله: «أترون هذا البساط؟ إني أعلم أنه سائرٌ إلى البلى والزوال بتدنيسكم المستمر له. فكيف إذاً أسلّم ديني لكم؟ وأنّى لي أن آمنكم على عرض وشرف المسلمين؟»

ولما كانوا يلحّون عليه بقولهم: «أوَلَسنا أقرباءك؟ ولنا حقٌ في ذلك»

كان سيدنا عمر يبيّن لهم قرارَه المؤكّد بقوله: «لا فرق عندي بينكم وبين أبعد مسلم عني في هذا الشأن».

ومِن الأمور الأخرى المغلوطة التي كان الخلفاء الأمويون يفعلونها أنهم يأخذون من خزينة الدولة سواء لأنفسهم أو لعوائلهم كل ما يريدون، فجاء سيدنا عمر وغيّر الأمر كلياً، ومنع أي أحد أن يأخذ من بيت المال ليس له فيه حق.

طلب سيدنا عمر إلى مولاه مزاحم أن يشتري له منضدة للقراءة، وبعد فترة من الزمن دخل عيه ومعه المنضدة التي تُعْجِب سيدنا عمر، ولـمَّا سأله عن المكان الذي أحضرها منه، أجابه بقوله:

«يا أمير المؤمنين! عثرت في بيت المال على هذه الخشبة فصيّرتها منضدة».

وعندئذ قال سيدنا عمر: «ائت السوق حالاً وتعرّف على ثمنها ثم تعال إليّ».

فيقصدُ مزاحم السوق ويعلم أنها تقدّر بنصف دينارٍ، ولما سأل سيدنا عمر عمّا لو وضع في بيت المال ديناراً أيكون قد أبرئ ذمته من مسؤوليتها، أعاد مزاحم على مسامعه أن ثمنها نصف دينار.

فقال له سيدنا عمر: «إذاً ضع في بيت المال دينارين وارجع».

شارك سيدنا عمر بن عبد العزيز في الأنشطة الثقافية الكبرى في المجتمع الإسلامي، وحقّق فعلاً خدمة عظيمة، حيث تمّ تدوين أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام في العالم الإسلامي بأمرٍ منه، وهو أول من أصدر أوامر إلى ولاته بجمع الأحاديث التي كانت متناثرة، ولذلك فإن تاريخ الحديث مَدِينٌ له في موضوع تدوين الحديث، ثم إنه كان من الولع والشغف بأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام بحيث يعيّن مسؤولين عن تبليغ أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام وتعليمها للقاطنين في الصحراء، وبهذا ساهم في نشر الأحاديث النبوية في كل النواحي.

كان سيدنا عمر بن عبد العزيز لا يتخلى عن التعامل بالعدالة والرحمة مع من هم تحت إمرته كما هو الحال في سائر الأمور، إذ أنه يساعدهم بإرشادهم من خلال بيان أفكاره فيما يتعلق بطريقة القيام بأمر ما أراد نشره أو تعميمه مقدِّماً لهم بذلك أساليب ميّسرة وعمليّة.

ومن الناحية الأخرى فقد أبدى اهتماماً واعتناءً بالغاً في شأن تعليم العلم ونشره، مع إنه قد اضطر بعد توليه الخلافة إلى أن ينشغل عن العلم الذي كان مشتغلا به قبل الخلافة، ومع هذا فإنّ العديد من اجتهاداته قد تم تناولها وأخذها بعين الاعتبار من قبل العلماء المتواجدين في عصره والذين أتوا من بعده.

تمتعَ بحسٍّ مرهف في علاقته مع الله تعالى إلى جانب التديّن المخلص، وعمل باستمرارٍ على تحقيق ما يعتقد صوابه وإيفاء مهمة الحاكمية بوجدانه، عاش في حياته الخاصة حياة أكثر ضبطاً من سائرِ أمراء الأمويين قبل انتقاله للخلافة، وذاع صيته ببسيطرته وحاكميته على نفسه.

قال سيدنا عمر رضي الله عنه في خطبته الأولى بعدما حمد الله وأثنى عليه:

«أيها الناس من صحبَنَا فلْيصحبْنا بخمس وإلا فليفارقنا،

ـ يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها،

ـ ويعيننا على الخير بجهده،

ـ ويدلنا على الخير ما نهتدي إليه،

ـ ولا يغتابنّ عندنا أحداً،

ـ ولا يخوضنّ فيما لا يعنيه».

وما أروع دلالة عبارته التالية عليه حيث يقول:

«أحسن العفو ما كان عن قدرة».

ب. العباسيون (١٣٢-٦٥٦ هـ/ ٧٥٠ـ١٢٥٨م)

١ . تأسيس الدولة العباسية وتطورها:

استمرت الدولة العباسية المؤسّسة من أحفاد سيدنا العباس عمّ النبي عليه الصلاة والسلام زهاء خمسة قرونٍ من حين استيلاء أبي العباس السفاح على منصب الخلافة سنة (١٣٢هـ/ ٧٥٠م)، وحتى سقوطها على يد المغول سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).



إنَّ أُولى الأعمال التي مهّدت إلى تأسيس الدولة العباسية، كانت تلك التي بدأ بها سرا عليٌّ أحد أحفاد سيدنا العباس سنة (٧١٧). فحتى ذلك الحين لم يكن بنو العباس يهتمون بالسياسة غير أنهم غيروا موقفهم هذا لَمّا نفى القادة الأمويون أفرادَ الأسرة العباسية عن الشام.

يطلق المؤرخون على الفترة من قيام الدولة العباسية التي تمتد بين سنة (٧٤٩- ٨٤٧م) الفترة الزاهرة "العصر العباسي الأول" أو "العصر الذهبي"، وحكم خلاله تسعة خلفاء من أعظم رجالات المسلمين، وحسبك أن يكون من بينهم "أبو جعفر المنصور"، و"هارون الرشيد"، و"المأمون".

بدأ عليٌّ دعوته هذه في قرية حُمَيمة الواقعة على الحدود الأردنية، وأخذ يبعث الدعاة لفكرته إلى جميع أنحاء الدولة، حيث كانوا يعملون على بث فكرتهم بين الناس ليشاركوهم نضالهم من أجل الحق أمام ظلم الأموي،

وكانت الكوفة وخراسان أهم المناطق التي عملوا على نشر فكرهم فيها، ولهذا الأمر أُرسل أبا مسلم الخراساني سنة ٧٤٥ إلى خراسان.

وفي نهاية الثورة التي قام بها أبو مسلم الخراساني دمر سلطة الدولة الأموية وأعلن عبد الله أبي العباس من سلالة سيدنا العباس خليفةً.

اتّسعت رقعة الدولة في عهد الأمويين إلى أبعد الحدود، ولذلك لم يتم توسيع الحدود أكثر من ذلك في الدولة العباسية، واكتسب الأتراك نفوذاً كبيراً في الفترة الأخيرة من العهد العباسي، بل ويمكن القول بأن الفضل يعود إلى الأتراك في صمود العباسيين واستمرارهم مدة من الوقت.

عمد الخليفة العباسي الأول عبد الله أبو العباس بالقضاء على من تبقّى من العائلة الأموية كمهمة أولية، ولذا اشتهر بلقب « السفاح » أي المتعطش لسفك الدماء، ونَقلت الدولةُ عاصمتها من الشام إلى مدينة الهاشمية في شماليّ الكوفة.

ولما وافت المنية أبا العباس بعد خلافة دامت أربع سنوات استلم أخوه أبا جعفر المنصور الخلافة مكانه (٧٥٤ ـ ٧٧٥)، فبنى بغداد وجعلها مركزاً للدولة، وبقيت كذلك حتى اندثار الدولة العباسية.

ولما ازدادت شهرة أبي مسلم الخراساني – الذي كان له الفضل في إيصال العباسيين إلى الخلافة –أقلق ذلك المنصور فاحتال عليه ودعاه إليه وقتله .

وعلى الرغم من انتفاض العباسيين على الأمويين بسبب سياساتهم إلا أنهم استمروا في السياسة نفسها التي بدأها الأمويون لأول مرة في العالم الإسلامي، فقد عين أبو العباس الخليفة العباسي الأول أخاه أبا جعفر لولاية العهد قبل وفاته، وبعد هذا فقد كان الخلفاء الخمس والثلاثون الجالسون على عرش الخلافة العباسية منحدرين من سلالة أبي جعفر فحسب.

وينقسم تاريخ العباسيين من حيث فترة ما بعد تأسيس الدولة إلى قسمين، الفترة الأولى ما بين عامي ٧٥٠ ـ ٨٤٧ حيث كان حكام هذه الفترة خلفاء أقوياء كالمنصور والمهدي وهارون الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق ولذلك كانت « العصر الذهبي » ليس للعهد العباسي فحسب بل للدولة الإسلامية كلها، وأما الفترة الثانية فتمتد اعتباراً من سنة ٨٤٧ وحتى سنة ١٢٥٨ تاريخ قضاء المغول على العباسيين. ولقد خاض الصينيون المتقدمون من الشرق إلى الغرب حرباً مع العرب المتوجهين من شبه الجزيرة العربية نحو الشرق، على ساحل نهر طلاس. وعمد أتراك الكارلوك والياغما – الكارهين لدخول آسيا الوسطى تحت حكم الصين – إلى التحوّل إلى طرف العرب مما ساهم في تحقيق العرب للانتصار، ونتيجة لهذه المعركة فقد تمت الحيلولَة دون وقوع آسيا الوسطى في هيمنة الصين، وبدأ الأتراك عقب هذه المعركة بدخول الإسلام جماعاتٍ جماعات، وتعلّموا تقنية صنع الورق من الأسرى الصينين.

لقد أظهر العباسيون في الإدارة ميزة الدولة الإسلامية عوضاً عن أطروحة دولة العرب الخاصة بالأمويين، وتعاملوا مع المسلمين على أساس المساواة، وتحولت سياسة القومية العربية إلى مفهوم الأمة.

حتى إنه عُيِّن خالد بن برمك وهو من مدينة بلخ في تركستان عُيِّن من قبل الخليفة المنصور على شؤون الدولة الهامة، وقد تولّى الخلافة بعد المنصور المهدي والهادي على التوالي، ويعدّ هارون الرشيد مستلم السلطة فيما بعد الأكثر شهرة بين الخلفاء العباسيين.

أ. عهد هارون الرشيد (٧٨٦ـ ٨٠٩):

كان عهد هارون الرشيد الفترة الأكثر تألقاً في العهد العباسي، وكان يحيى بن خالد بن برمك شيخ هارون الرشيد، وقد لاقى هارون الرشيد تعليماً حسناً فترة شبابه، ولما تولى الخلافة جعل يحيى وزيراً له، وسلَّم وَلَدَيْه جعفر والفضل مهامّ في الدولة وجعلهم في مراتب عليّة، وبفضل البرامكة أديرت الدولة الإسلامية على أحسن وجهٍ، وازدهرت. وقُمِع التمرد، ووجد الناس الراحة والاستقرار أخيراً.

بلغ صيت هارون الرشيد أصقاع الأرض متجاوزاً العالم الإسلامي، ولقد بعث شارلمان (Charlamagne) امبراطور الفرنجة رسولاً إلى هارون الرشيد يطلب منه الإذن للحجاج النصارى بزيارة القدس بِحُرِّية، فصدر الإذن المُلْتَمَس من هارون الرشيد وأرسل الخليفةُ الهدايا مع الرسول إلى شارلمان، ونالت ساعة المنبّه المائية -التي كانت بين الهدايا - انبهار شالمان وحاشيته، لذا فإن هارون الرشيد قد سطّر اسمه بين الملوك العظماء في تاريخ العالم.

ومن الخطأ السياسي الفادح ما قام به هارون الرشيد إثر شبهة مِن قتلِ البرامكة الذين قدّموا لفترة طويلة خدمات كبيرة للدولة.

كان قصر هارون الرشيد علاوة على كونه من بين ألمع وأروع القصور مركزاً للعلوم والفنون أيضاً، ثم إن هارون الرشيد هو من ارتقى بالغناء والتلحين ليغدو مهنة محترمة، وهو من أنشأ المقامات في الأدب، وفي عصره انتشر المذهب الحنفي المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة عن طريق تلميذه أبي يوسف الذي كان قاضي القضاة في زمن الرشيد.

ولكن على الرغم من أن عهد هارون الرشيد كان أعظم فترة في العصر العباسي إلا أن أُولى حركات الانفصال حدثت فيه، حيث ظهرت دولة الأغالبة في تونس عام (٨٠٠) بانفصالها عن العباسيين.

ب. إفريقيا الشمالية في عهد العباسيين:

كانت إفريقيا الشمالية مسرحاً للكثير من الاضطربات المتواصلة في العهد العباسي، وعلى الرغم من الإدارة الحسنة لأغلب الذي اختير والياً على هذه المنطقة في عام ١٤٨/ ٧٦٥ حيث أدارها سنتين من الزمن، إلا أنه فقد حياته في المعركة التي خاضها مع خوارج العبادية، وقد اضطر عمر بن حفص المعيَّن بدلاً عنه إلى التعامل

مع الخوارج بعد إدارةٍ للمنطقة دامت ثلاث سنوات من الزمن، حاصر الخوارج القيروان، وفي نهاية المعركة وقعت المدينة في يد الخوارج، وعندئذ قام الجيش المرسَل من قبل المنصور بإمارة يزيد بن هيثم بن أبي الصفرة بقتل زعيم الخوارج وهزيمتهم، وفي غضون بضعة أشهر عم الأمن إفريقيا، وحكم يزيد بن هيثم المنطقة بهدوء وسكون طوال ١٥ سنة، ولكن مالبثت الاضطرابات أن عادت إلى إفريقيا ابتداءً من هذا التاريخ وحتى زمن هارون الرشيد.

أعلَمَ إبراهيم بن الأغلب الوالي الجديد المعيَّن في عهد هارون الرشيد الخليفةَ بالتجائه إليه بأنه لو سلمه إدارة إفريقيا الشمالية فسيدفع أربعين ألف دينارٍ كل سنة لخزينة الدولة العباسية بعد إقامة السلام وتوفيره.

وقد أبلغ خرشمة الخليفة هارون الرشيد بنجاعة الاقتراح، وبهذا عمد إبرهيم بن الأغلب إلى تأسيس إدارة مستقلة في إفريقيا الشمالية، ومن حين تعيين ابن الأغلب على إفريقيا الشمالية لم يجد أي من الخلفاء العباسيين أية فرصة لتأسيس سلطة حاكمة فيما وراء الحدود الغربية لمصر، وعلى الرغم من إقرار الأغالبة بالتبعية للخلافة العباسية إلا أنها كانت تبعية اسمية ليس غير، و واصل الأغالبة حكمهم في منطقة البحر الأبيض المتوسط بما في ذلك عاصمتهم القيروان التي احتلت مكان مدينة قرطاجة القديمة لفترة دامت مائة سنة (٨٠٠ ـ ٩٠٩). كانت إفريقيا الشمالية قد خرجت عن كونها دولة تتحدث اللغة اللاتينية وتدين بالنصرانية إلى دولةٍ متعلقةٍ بالإسلام واللغة العربية.

ج. حركات العلوم والفنون في زمن الدولة العباسية:

أُعطيت الأولوية في العهد العباسي لسياسة الثقافة حيث أَوْلَوا الاهتمام بها أكثر مما أولوه لسياسة الفتح، ففي عهد الخليفة المنصور أضحت بغداد بعد تأسيسها مركزَ الدولة وحاضرتها، وفي هذا العصر بدأت ترجمة آثار الفلاسفة اليونانيين إلى العربية لأول مرة، كما تمت حماية العلماء والفنانين في عهد هارون الرشيد وقُدِّم لهم الدعم، وغدت بغداد مقرّاً ومركزاً للثقافة والمعرفة، وقد نُظّمت ثلاث حملات ضد البيزنطيين في الأعوام التالية ٧٩٧ ـ ٨٠٤ ـ ٨٠٦ وفُرضت الجزية على البيزنطيين، كما أُنشئت مدن الحدود التي يطلق عليها اسم الثغور على امتداد الحدود البيزنطية، وأُقيم الأتراك فيها.

وأما في عهد المأمون فقد ترجمت جميع آثار الفلاسفة اليونانيين إلى العربية، وفتحت العديد من المدارس والمكتبات في بغداد، وأنتج العلماء على كافة الصعد والاختصاصات دراسات ثقافية وعلمية هامة، كما تعزز مذهب المعتزلة.

وتحول نشاط الجهاز الإداري للجيش والدولة في عهد المعتصم من الإيرانيين (الفرس) إلى الأتراك، فأُنشِئ جيشٌ مكوّن من الأتراك فحسب.

ولما أصبح المأمون خليفة بعد أبيه الرشيد، كانت الدولة في بداية عهد المأمون تعجّ بالعصيان والثورات، وعلى الرغم من هذا كله فقد أتاح المأمون الذي كرَّس وقته للأمور الفعالة والدائمة إنشاء العديد من المؤسسات، وأمر بجلب الكثير من العلماء والآثار العلمية من مختلف الدول وشتى المناطق، فحضّ على العلم من ناحية ومن أخرى على الفن، كما أنشأ مرصدين فلكيين أحدهما على مقربة من بغداد والآخر في الشام.

وتعتبر بيت الحكمة أول مؤسسة مشهورة في ميدان التعليم العالي خارج المساجد والتي أنشئت من قبل الخليفة المأمون في بغداد (٨١٣ ـ ٨٣٣)،حيث تم تأسيسها على غرار أكاديمية جنديسابور، فكانت إلى جانب كونها مقراً للترجمة تقدم للرعية خدماتها كأكاديمية ومكتبة عامة.

تعتبر بيت الحكمة أول مؤسسة مشهورة في ميدان التعليم العالي خارج المساجد والتي أنشئت من قبل الخليفة المأمون في بغداد (٨١٣ ـ ٨٣٣)

تعد مدرسةُ النظامية التي أنشأها الوزير السلجوقي المشهور نظام الملك في بغداد عام (١٠٦٥ ـ ١٠٦٧) أولَ مؤسسةٍ للتعليم العالي من حيث المعنى الحقيقي، وتعتبر هذه المدرسة أول جامعة منظَّمة في العالم الإسلامي، فقد كان يتم تلبية احتياجات التلميذ من طعام وشراب ومأوى في هذه المدرسة مجاناً، ثم إن هذه المدرسة غدت نموذجاً لأولى الجامعات المؤسَّسة في أوروبا، وقد أنشأ الخليفة المستنصر فيما بعد مدرسة مشهورة باسم المستنصيرية (١٢٢٦ ـ ١٢٤٢).

المدرسةُ النظامية التي أنشأها الوزير السلجوقي المشهور نظام الملك في بغداد عام (١٠٦٥ ـ ١٠٦٧) أولَ مؤسسةٍ للتعليم العالي من حيث المعنى الحقيقي، وتعتبر هذه المدرسة أول جامعة منظَّمة في العالم الإسلامي

تعد المرحلةُ الأولى من العصر العباسي فترةً بالغة الأهمية من حيث آثارها العميقة في الثقافة والحضارة الإسلامية، فقد صيغت وتكونت في هذه الفترة شتى المؤسسات والعلوم في العالم الإسلامي، وبمرور الزمن كانت المؤثر الأهم في ولادة حضارة أوروبا الحديثة من خلال تطورها،كما بدأت أول الدراسات في ميدان فقه اللغة والعلوم الدينية والاجتماعية والطبيعية من طرف الأمويين وأما في زمن الدولة العباسية فقد جُعل كل منها علماً مستقلاً بنفسه من خلال تناولها على نحوٍ منظمٍ كلٌّ على حدة.

وقد عثر مفكروا المعتزلة الذين كانوا في حماية المأمون، عثروا على فرصة لطرح شتى المعلومات والأبحاث والابتكارات المستندة على مركزية العقل في التفكير، حتى إن المأمون كان ينضم في الكثير من الأحيان إلى

المناقشات الجارية في دار الحكمة التي أمر بتأسيسها، وقد كان المعتصم الذي انتقلت الخلافة إليه بعد المأمون يسير على طريقة أخيه المأمون في رعاية العلم و تشجيع العلماء، فأنشأ لنفسه مقرّاً في سامراء الواقعة شمالي بغداد، وسرعان ما أضحى هذا المكان مزدهراً، فبُنيت الجوامع والمدارس والقصور، وغدت تضاهي بغداد من ناحية الروعة والعظمة.

كان المعتصم تركيَّ الأمِّ قد قصد المحافظات التركية وتعرّف على أخواله ومَن حوله، وكان معروفاً بمحبته وتقريبه لهم، وأما بالحديث عن السلطة فقد نظَّم قوة الحرس المتكونة من الأتراك، وبالتالي ازدادت قوة الأتراك ونفوذهم باطرادٍ، واستمرت أهمية القوات التركية في الإدارة المركزية بعد زمن المعتصم.

٢. تفكك الدولة العباسية:

وصلت الدولة إلى قمة ازدهارها بعد الواثق، فبدأ الخط البياني بالانحدار وأخذ الوهن والضعف يسري إلى مفاصل الدولة شيئا فشيئا منذ زمن الخليفة المتوكل .

ومع ضعف الدولة العباسية تأسست دويلات مختلفة في شتى بقاع الدولة منذ القرن التاسع، وهؤلاء هم بنو الإدريس في المغرب (٧٨٩ ـ ؟)، والأغالبة أتباع إبراهيم بن الأغلب في تونس والجزائر وصقلية (٨٠٠ ـ ٩٠٩)، وبنو طولون أنصار أحمد بن طولون في مصر (٨٦٨ ـ ٩٠٥)، والفاطميون من قِبل عبيد الله في تونس ومصر وصقلية وسردينيا (٩١٠ ـ ١١٧١)، والإخشيديون المنحدرون من محمد بن طغج، (٩٣٥ ـ ٩٦٩)، وبنو الطاهر المنتسبون إلى طاهر بن الحسين في إيران وخراسان (٨٢١ ـ ٨٧٥)، والصفاريون الملْحَقون بيعقوب بن الليث في إيران (٨٦٧ ـ ١٥٠٠)، والسامانيون أتباع نصر بن أحمد في خراسان وبلاد ما وراء النهر (٨٧٤ ـ ٩٩٩).

وإلى جانب هذا أطلت برأسها حركات فكرية منحرفة أخذت تفتك بالمجتمع الإسلامي داخلياً، وإضافة إلى هذا فقد أدى الانقسام السني والشيعي في العالم الإسلامي إلى زيادة الشرخ في المجتمع المسلم و إحداث البلابل والاضطرابات بين الفينة و الأخرى.

وهكذا وفي خضمّ هذه الفترة التي كان فيها العالم الإسلامي أحوج ما يكون إلى الوحدة والتضامن بدأت الحملات الصليبية، فحاول في الفترات اللاحقة لهذه الفترة قادةٌ أمثال نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي وتلميذه صلاح الدين الأيوبي حماية العالم الإسلامي ضد هجمات الحملات الصليبية هذه.

٣. الغزو المغولي وانهيار الدولة العباسية:

إن أشد الضربات الموجهة إلى العالم الإسلامي والتي هزت كيانه إنما كانت من قِبل المغول، في القرن الثالث عشر، حيث أغار هولاكو على بغداد بجيش عظيم في العاشر من شباط من سنة ١٢٥٨، حاصر المدينة لأربعين يوماً وأضرم النار فيها من جهاتها الأربع، استسلم الخليفة العباسي من غير شروط وفتك المغول بالناس،

وتتراوح أعداد القتلى حسب المصادر المتعلقة بعدد القتلى ما بين ثمانمئة ألف ومليونين، ونهبت المدينة من قبل هولاكو، وصيرت المساجد إسطبلات، وخرّبت المكتبات وأحرقت الكتب، لم تقتصر مأساوية غزو المغول التي أدت إلى توقف الحضارة الإسلامية على بغداد فحسب بل تعدتها إلى العالم الإسلامي كله، إذ أن الغزو المغولي لم يكن سببا في انهيار الخلافة العباسية بحسب بل أدى إلى جمود الحضارة الإسلامية وتراجعها.

وتعتبر الدولة العباسية التي دامت سلطتها ما بين عامي ٧٥٠ـ١٢٥٨ ثاني الأسر الحاكمة من حيث طول فترة حكمها في التاريخ الإسلامي بعد العثمانيين، لقد عاشت الحضارة الإسلامية عصرها الذهبي في زمن هذه الخلافة، وتمكّن العباسيون من الإمساك بزمام السلطة في ميدان السياسة مدة طويلة وبالقيادة الروحية للعالم الإسلامي إلى آخر لحظاته فيما عدا فترة أو فترتين، ولا ينحصر تأثير الخلافة العباسية على التاريخ الإسلامي فحسب بل يتعداه إلى التاريخ العالمي.

أشد الضربات الموجهة إلى العالم الإسلامي والتي هزت كيانه إنما كانت من قِبل المغول، في القرن الثالث عشر، حيث أغار هولاكو على بغداد بجيش عظيم في العاشر من شباط من سنة ١٢٥٨

ج. دولة الأندلس الأموية (٢٤٢-٤٢٢ هـ/ ٨٥٦ـ١٠٣١):

١. فتح الأندلس وعهد الولاة الأمراء (٩٣-١٣٨هـ/ ٧١١ـ٧٥٥):

وُكِّل طارق بن زياد الذي كان عبداً أعتقه موسى بن نصير، وُكِّل في زمن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بفتح إفريقيا، ولما رأى موسى بن نصير في طارق بن زياد الشخصية المتينة والبطولة والعزم والإرادة والرؤية الثاقبة والحديث الحسن المؤثر والبلاغة التي تؤثر في السامعين تأثيرات عميقة، أوكل إليه مهمة فتح الأندلس (إسبانيا)، فتوجه طارق بأسطول بحري مؤلف من أربعة سفن وسبعة آلاف جندي تحت إمرته إلى الأندلس عام ٧١١، فهبط الجنود من جنوب الأندلس، وأمر طارق بن زياد بإحراق جميع السفن للحيلولة دون فرار الجند، ومن ثَمَّ خاطب جنوده بكلمات شديدة الوقع زادت من حماستهم للهجوم على العدو في أسرع وقت ممكن، وأخيراً تصادم الجيشان وجهاً لوجه، وكان جيش العدو زهاء ١٠٠.٠٠٠. قام طارق بن زياد بتقديم عرضٍ بإرساله الرسل، قائلاً:

«ندعوك وجنودك إلى الإسلام، إن أسلمتم فإنا إخوانكم، وإلا فالجزية، وإن رفضتموها فسيكون السيف بيننا وبينكم».

فردَّ ملك الأندلس هذا العرض معتداً بكثرة قواته، وبدأت معركة عظيمة، و وصل طارق بن زياد إلى ملك الأندلس بعد مقاومة مستميتة، وقتل الملكَ بضربة سريعة مباغتة من سيفه، ولما رأى جنودُ العدو مقتل ملكهم



لاذوا بالفرار وتشتت قواتهم وبدأ المسلمون رحلة الفتوحات الجليلة في الأندلس، حتى ولدت في نهاية المطاف «الحضارة الإسلامية في الأندلس».

لا يمكن تحديد التعرف على جذر كلمة الأندلس المستخدمة من قِبل العرب لإسبانيا بصيغتها الدقيقة والتي كانت قد ترجمت إلى اللغة الإسبانية بشكلٍ (Andalucia) بعد إخراج المسلمين منها كلياً، والتي كانت أيضاً تأتي فيما سبق بمعنى «مسلمي إسبانيا».

استخدم المسلمون مبدئياً اسم الأندلس فترةً من الزمن لجميع الأراضي التي جعلوها تحت حاكميتهم بما فيها منطقة سبتة الواقعة جنوب فرنسا. ولقد تم إدارة الأندلس من قبل الأمويين منذ فتحها من قبل المسلمين عام ٧١١ وحتى عام ٧٥٠ ومن هذا التاريخ أضحت تحت سلطة العباسيين حتى ٧٥٦، ويطلق على المدة الزمنية المؤسسة عام ٧٥٦ قبل تأسيس أندلس الأمويين «بعصر الولاة». وفي هذه الفترة عمل المسلمون الفاتحون على الاستفادة من الأندلس باستخدامها مقراً لفتح أوروبا، حتى أن الجيوش الإسلامية كانت على مقربة شديدة من باريس الحالية، غير أن النزاعات القبلية فيما بين المسلمين كانت قد قضت على الوحدة والتضامن، وبالتالي لم تكتمل حركات الفتح تلك.

ويشكّل فتح شبه جزيرة أيبيريا في الأندلس الحلقة الأخيرة في الفتوحات الإسلامية الأولى، حيث إن حركة فتح الأندلس بدأت بإرسال موسى بن نصير والي إفريقيا الشمالية بالإذن الذي تلقاه من الخليفة الوليد

بن عبد الملك وحدةً مؤلفة من ٥٠٠ جندياً تحت إمرة طريف بن مالك في ربيع سنة ٧٥٠ بهدف الاستطلاع إلى السواحل الجنوبية للأندلس، وفي هذه الأثناء كان القوط الغربيون الحاكمون في الأندلس على وشك فقدانهم للمملكة بسبب النزاعات على العرش، والصراعات الاجتماعية والدينية، فمرّ الجيش الأسلامي إلى الأندلس بسهولة، ومن المعروف هنا مدى تأثير مساعدة جالينوس والي سبتة. استولى الجيش المخيِّم في جبل طارق أو جبل الفتح (Gilbraltar، Calpe) المتمركز في الطرف الجنوبي لإسبانيا، استولى على الجزيرة الخضراء (Algeciras) في حملته الأولى، وبعد فترةٍ قصيرةٍ تغلّب على جيش القوط الغربيين بقيادة الملك رودريك في المعركة الحاصلة على ساحل نهر وادي لكّة/ بكّة (ريو بارباتي، Rio Barbate، Guadalbeca)، المتواجد في سهل فرونتيرا (Frontera)، الواقع بين مدينتي جيريز (Xeres، Jerez) وسيدونيا (Sidonia) (٩٣هـ/ ٧١١م)، ولم يعد يُعيق طريق الفتح أيَّ عقبة خطيرة.

ولما كان القادة الموكلون بالفتح في مختلف البلدان قد استولوا على مالقة (مالاغا) وإلفيرا (Elvira) وقرطبة (Cordova، Cordoba)، بمساعدة من الشعوب غير المتنّة من القوط الغربيين القائمين عليها في نهاية الانتصار، كان طارق قد فتح إستجة (Ecija)، ومن ثمَّ طُليطلة عاصمة القوط.وبهذا كان طارق الذي بدأ مسيرة الفتح هذه في شهور موسم ربيع سنة ٧١١ كقائدٍ للجيش، أنهاها في أواخر أشهر موسم الصيف كفاتحٍ استولى على نصف الأندلس وفتحها للمسلمين، وفي عام ٧١٢ انتقل موسى بن نصير إلى إسبانيا (الأندلس) بجيشٍ غالبيته من العرب يبلغ ١٨،٠٠٠، وبعد الفراغ من فتح إشبيلية و(Sevilla) وكارمونا (Carmona) و نيبلة (Leble) وميريدا (Merida)، التقى مع طارق في طليطلة، وفي نهاية مطاف الحركة العسكرية المتجهة نحو شمال البلاد عام ٧١٣ تم فتح منطقة ليون (Leon) وغاليسيا (Galicia)، ومدن لريدا (Lerida) وبرشلونة (Barcelona) وسرقسطة (Zaragoza Saragossa). حتى أنه اُجتيزت جبال البرنس ودُخِل في الأراضي الفرنسية.

وفي عام ٧١٤ ولَّى موسى راجعاً إلى دمشق بصحبة طارق بأمر من الخليفة الوليد مخلّفاً وراءه في إدارة الأندلس ولدَه، وبهذا يكون قد اكتمل فتح شبه جزيرة إيبيريا في مدةٍ قصيرة لا تتعدى ثلاث سنوات وبدأ عصر الولاة في الأندلس، وبحلول عام ٧٥٦ وفي هذه الفترة التي حكم فيها ٢١ والٍ نُقلت حركات الفتح إلى داخل أوروبا.

وفي عام ٧٣٢ غدا المسلمون الذين انهزموا أمام الفرنجة في معركة (بلاط الشهداء) تورز أو بواتييه بعد ذلك في تعاملٍ أكثر مع الحروب الداخلية ومعالجة الاضطرابات، بعدما اجتازوا أقاليم مرسية (Murcia، Tüdmîr، Teodomiro) وقرمونة (ناربون) وباتوا قريبين من باريس، وأما الإسبانيون العالقون في الشمال خلال الفترة نفسها فقد بدأوا رغم ذلك بالتجمع تحت قيادة بيلايو في منحدرات كوبادونجا الواقعة في مملكة أستورياس.

٢. أمويّو الأندلس (٧٥٦ ـ ١٠٣١):

أ. فترة الإمارات:

عمد عبد الرحمن بن معاوية آخر أمراء بني أمية والذي بقي على قيد الحياة بعد القضاء على دولته إلى عبور فلسطين ومصر متوجهاً إلى إفريقيا الشمالية ومنها إلى الأندلس عام ٧٥٥، حيث أعلن استقلاله في قرطبة عام ٧٥٦ رغم كل العراقيل التي وضعها والي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وأسس أسرة أموية حاكمة ستستمر ٢٧٥ سنة من عام ١٥٦ ولغاية عام ١٠٣١. وتنقسم فترة حكم دولة الأندلس الأموية إلى عهدين عهد «إمارة» مابين ٧٥٦ ـ ٩٢٩، وعهد «خلافة» ما بين ٩٢٩ ـ ١٠٣١ .

كانت الفترة الأولى التي حكم فيها عبد الرحمن الأول سنة (٧٥٦ ـ ٧٧٨)، هشام الأول (٧٨٨ ـ ٧٩٦)، الحكم الأول (٧٩٦ ـ ٨٢٢)، وعبد الرحمن الثاني (٨٢٢ ـ ٨٥٢)، سنوات تأسيس الدولة وترسيخها، حيث ألجأت الضرورة في هذه الفترة إلى التعامل مع أعمال الشغب وحركات العصيان الداخلية التي حرّض عليها العباسيون والفرنجة، والتصدي من الناحية الأخرى ضد الجيوش المرسلة إلى الأندلس من قِبل الفرنجة وممالك الأندلس المسيحية.

وقد شهدت هذه الفترة تطوّراً ملحوظاً وهامّاً على الصّعيد الاقتصادي في الأندلس، وبدأ تفعيل المعادن، كما تمّ تحديث الطرق والجسور، إضافة إلى البدء بتطبيق التقنيات الحديثة المجلوبة من الشرق في ميدان الزراعة، وقد ازداد أيضاً حجم التجارة الخارجية عن طريق تطوّر الإنتاج والصناعة، كما حصل تقدمٌ على الصعيد المعماري بالتزامن مع التطور الاقتصادي، وفي هذه الفترة الأولى بدأ الإسلام بالانتشار السريع بين الإسبان المحليين، حيث اعتنق قرابة ٥ . ٣ مليون من الأهالي المحليين هذا الدين الجديد دون تعرضٍ لأيّ إكراهٍ، وتنفّس غير المسلمين الصعداء وشعروا بالراحة نتيجة تسامح القادة المسلمين.

كانت سنوات تولّي محمد (٨٥٢ ـ ٨٥٦) والمنذر (٨٨٦ ـ ٨٨٨) وعبد الله (٨٨٨ ـ ٩١٢) زمام السلطة فترة أزمة، وقد أصبحت السلطة في هذه الفترة الممتدة حوالي ٦٠ سنة أصبحت بين يدي عديمي الكفاءة والخبرة، وقد ظهر الأعداء القبليون والعرقيون، وتم جرّ إسبانيا إلى النزاعات الداخلية من خلال التحريش بين القبائل والعناصر العرقية (العرب والبرابرة والمْولّدون والمستعربون) من قبل الإسبان، وأدى عدم الاستقرار إلى تضييق الخناق على الاقتصاد، وفرغت خزينة الدولة لعدم جمع الضرائب.

ب. فترة الخلافة (٩٢٩ ـ ١٠٣١):

استلم عبد الرحمن الثالث الذي يعد المؤسس الثاني للدولة الأموية زمام السلطة في الوقت الذي كانت فيه الدولة مفككة من قبل المتمردين المنتمين إلى مختلف الأمم ومدعي الاستقلال، ودويلاتٍ متعرضة لغارات من الممالك المسيحية في الشمال.

عمد عبد الرحمن الثالث أقوى حكّام دولة الأندلس الأموية إلى القضاء على البلبلة الداخلية أولاً، ومن ثمَّ عمل على معالجة المسائل الخارجية بعدما وفَّر السلام داخل مملكته، وأوقف هجمات مملكة ليون المسيحية، كما قام عبد الرحمن الثالث المهتم بإعمار دولته بإنشاء مدينة جديدة سميت «مدينة الزهراء» بالمقربة من مدينة قرطبة التي كانت عاصمة منذ عهد عبد الرحمن الأول، وشُيِّد هنا قصر مشهور.

كانت الحياة الزراعية والتجارية متقدمة في زمن عبد الرحمن الثالث، كما ارتفع مستوى رفاهية الناس بشكل ملحوظٍ، وفي الوقت نفسه استخدم هذا الحاكم لقب الخليفة (٩٢٩)، ثم إنه جعل الدولة عظيمة مرفهة منظمة مسالمة يشملها الأمن بعدما قضى على كل هذه الغايات في زمنه، بدأ عبد الرحمن الثالث بمجادلة الفاطميين والممالك الإسبانية في الشمال عقب تأسيسه الوحدة والسلام في الدولة، وفي نهاية المطاف دخلت مدينتي ليون وبامبلونا (Benblûne) في حمايته بقبولها دفع الجزية.

ارتفع مستوى رفاهية الناس بشكل ملحوظٍ في عهد عبد الرحمن الثالث

قام أيضاً لمواجهة الفاطميين بتوسيع رقعة نفوذه من خلال تحالفه مع بعض القبائل البربرية في أفريقيا الشمالية، وأقام علاقات سياسية مع الامبراطوريتين البيزنطية والألمانية، وعمد عبد الرحمن الثالث إلى فتح أبواب الدولة أمام كل الطبقات والفئات بإزالة التنافس الذي كان دائما يلعب دوراً هامّاً في الانقسامات الداخلية بين قبائل العرب، وأشاد في قرطبة الآثار المعمارية الرائعة، وبلغت إيرادات بيت المال حدّاً لم يُشهَد له مثيلٌ من قبل.

ثم ولي الحَكَمُ الثاني مكان عبد الرحمن الثالث بعد وفاته سنة ٩٦١، وفي هذه الفترة (٩٦١ـ٩٧٦) تمّ صون الاستقرار الموفر سابقاً، كما تمت المحافظة أيضاً على الأفضلية التي تميّز بها الأمويون على الإسبانيين، وأما عن المستجدّات الرئيسية في زمن الحَكَم الثاني في ميدان العلم والفن، فقد أضحت الأندلس في هذه الفترة أنشط مراكز حضارة الإسلام، وفتحت ٢٧ مدرسة داخلية للطلاب الفقراء في قرطبة وحدها، إضافة إلى إنشائه أضخم مكتبة في العالم حيث تحتوي ٤٠٠,٠٠٠ كتاباً.

وهكذا نمت وتسارعت حركة العلم والفن، ونشأ العديد من مفكري الإسلام في المدارس الأندلسية، وغدوا وسيلة لنقل الأفكار النيّرة إلى بلادهم بالاستفادة من الدراسات العلمية، وبعد وفاة الحكم الثاني قام الحاجب بن أبي عامر وابنيه باستخدام الصلاحيات العائدة للخليفة مستفيدين من جلوس هشام الثاني على العرش وهو لا يزال صغير السنّ (٩٧٦ـ١٠٠٩، ١٠١٠ـ١٠١٣).

وواصل هؤلاء سلطتهم السياسية على الأندلس ثلاثين سنة، إلا أن الاستقرار الذي كان قد ساهم فيه عبد الرحمن الثاني في الأندلس إنما فسد بعد بانتقال عبد الرحمن أحد ولدَي الحاجب بعد أخيه عبد الملك. وكان لطموحات عبد الرحمن النصيب الأكبر في هذا، وفي ١٠١٦ استولى شيعة الحمودية – الذين ادّعوا انحدارهم من سلالة سيدنا علي – على قرطبة والعرش مستفيدين من ضعف وعجز السلطة الأموية، وعلى الرغم من الهدوء المسيطر على الأجواء في البداية إلا أنهم لم يساهموا في حل أيٍّ من الأمور وفي ١٠٢٢ نُفوا عن قرطبة من قبل أهلها.

وأما السنوات السبع التالية فقد انقضت بتصارع سلالة الأسرة الأموية الحاكمة من أجل العرش، فعمد أشراف قرطبة وأهلها إلى نفي المنتمين إلى السلالة الأموية عن المدينة بإلغائهم للخلافة، وبهذا وفي تاريخ ٧٥٦ انهارت دولة الأندلس الأموية المؤسسة على اعتبارها إمارة مستقلة.

٣. الأندلس ما بعد الأمويين (ملوك الطوائف) (١٠٣١ ـ ١٤٩٢):

ظهرت الممالك المستقلة في كل مقاطعة ومحافظة منذ ضعف الدولة الأموية ووقوعها فريسة للاضطرابات الداخلية، كما أعلنت عدد من المدن استقلالها عن قرطبة، وكانت إحدى أهمّ الأحداث السياسية في الأندلس في هذه الفترة تلك المعارك التي نشبت بين «ملوك الطوائف» واستمرت حتى بلغت حدا أضعف الجميع، وكانت طموحات وغايات الولاة والوزراء والقادة هي السببَ في بلوغ الأمور هذا الحد المزري، فكانوا في غفلة عما يستفيد منه المسيحيون من الطموح المتنامي بالفرقة والعداوة الكائنة بينهم غير واضعين في الحسبان ما سيصيبهم، ولا آخذين بعين الاعتبار المصالحَ العامة بسبب الخلافات والمشاحنات فيما بينهم، ثم إن هذا الوضع أدى إلى تدهور حال المسلمين ووهنهم أكثر فأكثر، ومنح الممالك المسيحية فرصة لتحقيق ما يسمى ب «حروب الاسترداد»، وأما الولاة فلا يجتمعون أبداً، ولا يتحدون في مواجهة العدو الخارجي، يتهجمون على بعضهم البعض، ويواصلون تهديدهم فيما بينهم.

كانت المملكتان المؤسستان في إشبيلية وطليطلة هما الوحيدتين الأكثر محاولة أثناء فترة انهيار أمويّي الأندلس لإحياء الخلافة، غير أن استيلاء ملك قشتالة ألفونسو السادس على طليطلة أكبر مدن الأندلس بعد قرطبة في ١٠٨٥ كان أقوى ضربة تعرّض لها المسلمون من قبل النصارى حتى ذلك اليوم، مما أجبر بعض الأمراء الذين استشعروا اقتراب هذا الخطر بطلب يد المساعدة من المرابطين السائد حكمهم في إفريقيا الشمالية، وذلك نزولاً عند تشجيع العلماء والعامة.

أ. عهد المرابطين (١٠١٩ ـ ١١٤٧):

انتقل يوسف بن تاشفين ملك المرابطين بدعوة من الأمير المعتمد ابن عباد بجيش عظيم إلى الأندلس وذلك بعد مضيّ سنةٍ على الاستيلاء على طليطلة (Toledo)، فألحق هزيمة نكراء بألفونسو السادس في معركة « زلاقة « وكان ألفونسو قد هدّد بطليوس (Badacoz)، وبمعركة الزلاقة توقفت حركة المسيحية المنتشرة باتجاه

الجنوب مدة من الزمن، ثم ما لبث يوسف بن تاشفين أن رجع إلى المغرب بعدما أوصى الأندلسيين بالتوحد ضد الأعداء، غير أن النصارى الذين رأوا في تخاصم الأندلسيين فرصة سانحة لهم أعادوا الكرّة وهجموا عليهم، ولذا عاد يوسف بن تاشفين إلى الأندلس مرة ثانية، وفي قدومه هذه المرة غدا حاكماً على الأندلس بدعم وحضّ من بعض الأمراء والعلماء، وصيرها مقاطعة مرتبطة بالمرابطين، واستمر حكم المرابطين في الأندلس زهاء ستين سنة، ومن ثم عاودت الاضطرابات ظهورها في السنوات اللاحقة، وهنا انخفض الدعم المقدّم للمرابطين بسبب تقليل الأمراء الأندلسيين مساندتهم، وإغراق الأهالي بالضرائب.

وفسدت وحدة الأندلس السياسية مجدداً إثر انهيار المرابطين عام (١١٤٧)، فنظم ملك قشتالة – مستغلا هذه الفرقة – جيشاً صليبياً ألّفه من أراغونيين (أراغون) وبيزاويين (بيزا) وجنويين (جنوى) واستولى على ميريدا (١١٤٧) ومقاطعة كتالونيا و Turtûşe(١١٤٨) ولاريدا (١١٤٩)، وهرع الموحّدون لنجدة الأندلس في هذه الفترة التي بدأت فيها بالتفكك وتكالبت المـالك النصرانية عليها للحصول على أراضيها.

ب. عهد الموحدين (١١٤٧ ـ ١٢٢٩):

انتقلوا إلى الأندلس تحت رغبة بعض أصدقائهم من الأمراء في مساعدتهم بحمايتهم من خصومهم، ففرض الموحدون ابتداءاً سيطرتهم على مدن كبلنسية وإشبيلية وشلب، واستولوا على بلنسية وقرمونة وبيّاسة وغرناطة، إلا أن المسيحيين انتقلوا إلى الحركة مجدداً بعد عودة الموّحدين إلى إفريقيا الشمالية، وهذه المرة انتقل أبو يوسف المنصور مجدداً إلى الأندلس، لعرقلة تقدّم المسيحيين وحقق نصراً مؤزّراً في سنة ١١٩٥ أمام قوات قشتالة في الموقع المسمى «الأرك» الواقع شمالي قرطبة، كما حاصر طليطلة بيد أن محاولته لم تثمر، وفي وقت لاحق ألحق ملك قشتالة هزيمة نكراء بجيش الموحّدين في معركة « العقاب » المشهورة بجيشه العظيم المكوّن من قواتٍ برتغالية وفرنسية، وهذه الهزيمة أدت إلى ضعف سلطة الموحّدين في إفريقيا الشمالية والأندلس، ودخلت «حروب الاسترداد » التي كانت متوقّفة جزئياً إثر انتقال المرابطين والموحّدين إلى الأندلس في فترة سريعةٍ مجدداً.

ج. إمارة بني الأحمر في غرناطة (١٢٣٨ ـ ١٤٩٢):

لم ينجح في التخلّص من حملات الاستيلاء التي تخوضها المـالك المسيحية بصورة سريعةٍ، إلا دولة بني الأحمر المؤسّسة في غرناطة، والحاكمة في القطاع الساحليّ الضيّق الممتد من إلبيرا (İlbire) إلى روندا الواقعتين جنوب الأندلس.

ثم إنهم ورغم الظروف بالغة الصعوبة تمكنوا من الخروج على مسرح التاريخ لأكثر من عقدين ونصف، وهذه الدولة تحتل مكانة متميزة من حيث اعتبارها آخر ممثّلي الحكم الإسلامي في الأندلس، ومن جهة كونها تمثّل فترة تظهر أروع نماذج العمارة الإسلامية كقصر الحمراء.

اعتمد أغلب أمراء غرناطة عدم اتباع سلوكٍ سياسي مرنٍ في علاقاتهم الخارجية مع الممالك المسيحية، وأقاموا علاقاتٍ مع المرينيين في إفريقيا الشمالية متوخّين بذلك اتّقاء أن يبقوا لوحدهم أمام أي خطر قد يواجهونه من هذه الممالك، فقضوا فترةً جيدة نسبياً حتى سنة ١٤٦٢، حيث عمد الإسبانيون بعد سنة ١٤٦٢ مستفيدين من الاضطربات الداخلية التي ظهرت، إلى تحقيق «حروب الاسترداد» فسيطروا على جبل طارق الممر الوحيد لعبور المسلمين من إفريقيا إلى الأندلس الشمالية، وفي عام ١٤٦٩ سرّع زواج إيزابيلا ملكة قشتالة بملك أراجون فرناندو الثاني انتشار المسيحية من خلال تحقيق التحالف الإسباني، وسقطت كل المدن ما عدا عاصمة إمارة غرناطة، وحين جاء دور غرناطة دافع عنها المسلمون بأقصى جهدهم، إلاّ أنهم استسلموا في تاريخ (١٩٤٢) بسبب التدمير الناجم عن الحصار الخانق، وبعد هذا التاريخ ساءت أحوال المسلمين الباقين في إسبانيا فإما أجبروا على قبول الديني المسيحي مكرَهين، أو غدوا عرضة للتهجير أو محاكم التفتيش أو القتل، حتى الذين رضوا بالتنصّر تعرضوا للشدائد وألوان التعذيب، وفي النهاية تمّ كلياً إخراج ما تبقّى من المسلمين في الأندلس في عام ١٦٠٩، ومنذ ذلك الحين أصبح لفقدان الأندلس آثاراً عميقة على المسلمين، وبات أحد الموضوعات الشائعة في مختلف فروع الأدب الإسلامي.

ويعد قصر الحمراء أروع الآثار التي شيدت في الأندلس أيام هذه الدولة، حيث تم بناؤها في السهل الواقع على الهضبة المطلة على غرناطة، على أنها قلعة دفاعية وقصراً في الوقت نفسه، ولذا تبدو من الخارج مرهقة بعض الشيء، غير أنك وراء جدران القلعة المرهقة تجد نفسك وجهاً لوجهٍ مع قصرٍ فريد الجمال، وقد سميت بالحمراء لاستخدام الطوب الأحمر في جدرانها والقرميد الأحمر في سطحها.

عمد بنو الأحمر إلى توسيع القلعة بالمباني الجديدة، وبهذا أضحت الحمراء مجموعة مكونة من قصر و أواوين، ثم إن باحات القصور من الروعة بقدر أقسامها الداخلية، وأبهرها بهو البركة وهي الباحة المزينة ببركة طويلة تتوسطها، وبهو Meksuar ذات الأرضية الرخامية و بهو الأُسُود.

تم إنشاء بهو السباع من قبل محمد الخامس الذي حكم بين سنوات ١٣٥٤ ـ ١٣٥٩، ويتوسّط البهو ١٢ أسداً يدعمون قاع حوضٍ ثقيل مستدير، وأما المياه المتدفقة من النافورة الموجودة وسط الحوض، فإنها تنسكب بطيّاتٍ مماثلة لأقواس الأروقة المحيطة بها، كما أنّ القاعات المحيطة ببهويّ السباع والبركة المتقابلين، تتفرّد في روعتها. يبلغ طول الباحة الأولى ٣٦ متراً، ويتم العبور إلى القاعات الجانبية من الأبواب المفتوحة المتقابلة المتواجدة على الناحيتين الرئيسيتين لهذه الباحة، إضافة إلى أن زخرفات الأروقة ذات الأقواس السبعة المتواجدة على شمالي وجنوبي البهو تبهر العيون وتخطف الأبصار، كما يمكن المرور من الباب الموضوع على الجانب الشمالي للفناء إلى رُدهةٍ ومنها إلى جناح السفراء، وتقدّر أبعاد هذا الجناح ب (١٨ × ١١م)، ١١ متراً في العرض و١٨ في الطول، وأما سماكة جدرانه فتبلغ ٣ أمتار، وبسبب هذه السماكة تبدو النوافذ وكأنها غرفاً.

إن قصر الحمراء بزخارفه الأنيقة والغنية، وحدائقه الغنّاء وحياضه أشبه بسحر، إلا أن شارل كوينت (Şarlken) لما استولى على الأندلس هدم قسماً من القصر وأراد بناء قصر بطراز عصر النهضة، كما ولحق الخراب بالقصر أيضاً جرّاء زلزال ضربه عام ١٥٢٢، وانفجار حدث عام ١٥٩٠. لكنه ومنذ أواسط القرن التاسع عشر جعل تحت الحماية وبقي كذلك حتى يومنا هذا.

د. نهاية عهد الإسلام في الأندلس (١٤٩٢):

بعد تأسيس دولة بني الأحمر التجأ إليها المسلمون المضطهدون على يد المسيحية في المدن الأندلسية الأخرى، وأُوْلِيَ كلٌّ من العلم والفن والتجارة خصوصا اهتماماً من قبل دولة بني الأحمر التي اتبعت سياسة سلمية، غير أن مسيحي أوروبا لم يستطيعوا تقبّل وجود مسلمين في الأندلس مطلقاً، وكانوا يتحيّنون الفرص للقضاء عليهم.

وحين تزوّج فرناندو ملك الأراجون بإيزابيلّا ملكة قشتالة، برزت دولة مسيحية قوية في إسبانيا، وضمّت القوات المسيحية الأخرى إليها وعمدت إلى مهاجمة دولة بني الأحمر في جنوب إسبانيا، ثم إنَّ المسيحيين الذين احتلوا غرناطة في تاريخ ١٤٩٢ قتلوا كل من ظهر أمامهم من مسلمي المدينة بوحشية وهمجية، وإلى جانب ذلك فإنهم دمروا وخربوا ما أوجده المسلمون من نتاج الحضارة طوال مائة سنة، وأُحرق عددٌ لا يحصى من الكتب، وهدمت المكتبات والمدارس والجوامع والقصور وسوّيت مع الأرض.

هـ. مكانة الأندلس في الثقافة والحضارة الإسلامية:

برزت في الأندلس نتائج بالغة الأهمية للفكر والثقافة والفنّ الإسلامي على الرّغم من الاضطرابات الداخلية المتنوعة، والضغوطات المسيحية الخارجية، وقد قام الحَكَم الثاني بحماية وتطوير المناخ العلمي الذي أرسى أسسه أبوه عبد الرحمن الثالث، حيث تحولت كل المدن الإسلامية وبلداتها وعلى رأسها المدينة الزهراء وإشبيلية وغرناطة أماكنَ مزدهرةً ذاتَ حضارة ورخاء.

وأنتجت الأندلس أعلاما كبارا في العلوم و الفنون مازالت أسماؤهم تتردد على أسماعنا حتى الآن، وما ابن باجة وابن طفيل وابن رشد والإدريسي وابن عربي وابن حزم وابن حلبون وغيرهم كثير إلا نماذج لمن قطن الأندلس أو نشأ فيها .

وهكذا فقد غدت الأندلس مشعلاً لأفكار وآراء هؤلاء العلماء الذين قدموا آثاراً هامة في العديد من الفروع كالعلوم الإسلامية والفلسفة والطب وعلم النبات والجغرافيا والتاريخ لسائر الدول الإسلامية بل وحتى أوروبا.

أنتجت الأندلس أعلاما كبارا في العلوم و الفنون مازالت أسماؤهم تتردد على أسماعنا حتى الآن، وما ابن باجة وابن طفيل وابن رشد والإدريسي وابن عربي وابن حزم وابن حلبون وغيرهم.

و. المُدَجَّنُون (الموريسكوس) (**Morikoslar**):

قام الإسبانيون الذين قضوا على كل ما يخصّ المسلمين الذين عاشوا لفترة أيضاً في مدن الأندلس التي استُرِدَت من قبل الإسبانيين، قاموا فيما بعد بالنظر في أمر من بقي من المسلمين في البلد، حيث عَرضوا على المسلمين الذين أطلق عليهم اسم الموريسكيون إما أن يعتنقوا الدين المسيحي أو يلقوا حتفهم في أقبية محاكم التفتيش.

فأظهر بعض المسلمين التنصّرَ تحت الضغط، لكنهم استمروا يعيشون خفية كمسلمين في بيوتهم، وفي عام ١٥٠١ نشر قرارٌ ملكيٌ يخير بموجبه المسلمون المقيمون في قشتالة وليون بين التنصر وبين مغادررة إسبانيا، وفي عام ١٥٥٦ أصدر فيليب الثاني مرسوماً يوجب على المسلمين القاطنين في إسبانيا التخلي عن لغتهم ومؤسستهم الدينية ونمط حياتهم على الفور، وعُمد إلى وضع المسلمين في أماكن مغلقة ورشّهم بماء المعمودية وأخيراً إعلان تنصّرهم، كما جُمعت الكتب العربية، وأفرغت المكتبات، ومنعت الملابس التقليدية، وحُظر على المسلمين المنَصَّرين تعليم أولادهم اللغة العربية، وحولت المساجد كنائس، ومن خالف سيق إلى محاكم التفتيش، ومحاكم التفتيش وفقاً لبعض المصادر الإسبانية قامت بإصدار أكثر من ثلاثة آلاف قرار حكم بالموت على المسلمين، تعرض فيها المسلمون لأبشع أنواع التعذيب وصور القتل، ورغم هذا تمكن كثير من المسلمين من مواصلة حياتهم الدينية في السرّ والخفاء.

وأخيراً نُشر مرسوم من قبل فيليب الثالث عام ١٦٠٩ تم بموجبه إخراج جميع المسلمين من إسبانيا، وبهذا فإن أكثر من ٣ ملايين من المسلمين إما أبيدوا أن هجروا أو نُصِّروا، وذهب قسم منهم إلى إفريقيا الشمالية، وقسم آخر أرسل إلى منطقة الأناضول بحملهم في السفن مع اليهود.

قطعة للمطالعة

إحراق السفن

كان القائد ذائع الصيت طارق بن زياد الذي كانت له اليد الطولى في الفتح الإسلامي لإسبانيا قد اجتاز الجبل – الذي أطلق فيما بعد عليه اسم جبل طارق بن زياد – بجيشٍ يبلغ سبعة آلاف جندي سنة ٧١١، وبعد عبوره إلى الضفة الأخرى أمر بحرق سفنه التي نقلت الجند، وتوجه إلى جنده يخاطبهم قبل المعركة قائلاً:

«أيها الناس، أين المَفَرُّ؟ البحرُ من ورائكم، والعدوُّ من أمامَكم، وليس لكم واللهِ إلا الصدقُ والصَبْرُ.

واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أَضْيَعُ من الأيتام في مَأْدُبَةِ اللِّئام، وقد اسْتَقْبَلَكم عدوّكم بِجَيْشِهِ وأَسْلِحَتِهِ، وأَقْواتُه موفورةٌ، وأنتم لا وَزَرَ لكم إلا سيوفُكم ولا أقواتَ إلا ما تَسْتَخْلِصُونَه من أيدِي عدوِّكم.

وإن امْتَدَّتْ بكم الأيامُ على افتقارِكم ولم تُنْجِزوا لكم أمراً ذهبتْ رِيحُكم، وتَعَوّضَتِ القلوبُ من رُعْبِها منكم الجَرَاءَةَ عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خُذْلانَ هذه العاقبة من أمركم بِمُنَاجَزَةِ هذا الطاغية (يقصد لزريق).

فقد ألقت به إليكم مدينتُه الحصينة، وإنّ انتهاز الفرصة فيه لممكن، إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطةٍ أرخصُ متاعٍ فيها النفوسُ إلا وأنا أبدأ بنفسي.

واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً، استمتعتم بالأرْفَه الألّذ طويلاً، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فما حظكم فيه بأوفى من حظي.

وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عرباناً، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً، ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجادلة الأبطال والفرسان، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة، وليكون مغنماً خالصة لكم من دونه، ومن دون المؤمنين سواكم، والله تعالى وليّ أنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين.

واعلموا أنني مجيبٌ لما دعوتكم إليه، وأني عند ملتقى الجمعين حاملٌ نفسي على طاغية القوم لذريق فقاتلُه، فاحملوا معي فإن هلكتُ بعدَه، فقد كفيتُكم أمره، ولم يعوزكم بطلب عبد تسندون أموركم إليه، وإن هلكتُ قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا الهمّ من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يُخذَلون».

ووَعَدَ جندُ المسلمين الذين زادت ثقتهم بأنفسهم وارتفعت روحهم المعنوية بعد هذا الخطاب، وعدوا قائدهم بأداء دورهم بأفضل طريقةٍ، وخاضوا الحرب، حتى كان النصر حليف المسلمين بفضل الله تعالى.

أسئلة الوحدة الثانية

ماذا تعلمت ؟

١. من معاوية؟ وماذا تعرفون عن طبيعة الدولة التي أنشأها؟

٢. كان لحملات المسلمين ضد البيزنطيين في زمن معاوية نتائج مهمة، اذكر بعضها.

٣. ماذا تعرف عن حادثة كربلاء؟

٤. ماذا أراد عبد الملك بن مروان من وراء تعريب دواوين الدولة؟

٥. ما هي الخصائص التي تميز عمر بن عبد العزيز عن سائر الخلفاء الأمويين؟

٦. اشرحوا بإيجاز مقولة عمر بن عبد العزيز «أحسن العفو ما كان عن قدرة».

٧. ماذا تعرف عن فتح الأندلس ومعركة بوتييه؟

٨. من أبو مسلم؟ وما هي أهم الفتوحات التي حققها؟

٩. ما تقييمكم النهائي للدولة الأموية وما قدمته للإسلام خلال فترة حكمها؟

١٠. كيف تأسست الدولة العباسية؟

١١. من الامبراطور الأوروبي الذي أقام معه هارون الرشيد علاقات دبلوماسية؟

١٢. تطورت حركة العلم والفن في عهدي المأمون والمعتصم، لماذا؟

١٣. ما الأدوار التي لعبها الأتراك في الإدارة العباسية في عهد المعتصم؟

١٤. ما هي الأسباب المؤثرة في تفكك الدولة العباسية؟

١٥. ما هي الإسهامات التي أضافها العباسيون إلى الثقافة والحضارة الإسلامية؟

١٦. ماذا تعرفون عن تأسيس دولة الأندلس الأموية؟

١٧. كيف كانت حالة دولة الأندلس الأموية بعد تفككها؟

١٨. ارتكب مسيحيون الأندلس مجازر رهيبة في حق من تبقى فيها من المسلمين، كيف ولماذا تم ذلك؟

١٩. كان للأندلس دور بارز في مسيرة الحضارة الإسلامية وتطورها، بين ذلك.

اختر الإجابة الصحيحة

١. أي الخصائص التالية ليست مما تميزت به الدولة الأموية؟

أ. كونها تتبنى فكرة أفضلية العرب.

ب. تبني المساواة بين المسلمين.

ج. انتقال السلطة من الأب إلى الابن.

د. كونها مؤسَّسة من قبل معاوية والي الشام.

٢. ما المكان الذي تم حصاره في الحملة ضد البيزنطيين، ومن الصحابي الذي استشهد في الحملة؟

أ. اسطنبول ـ أبو أيوب الأنصاري.

ب. اسطنبول ـ عمرو بن العاص.

ج. رودوس ـ أبو أيوب الأنصاي.

د. رودوس ـ عمرو بن العاص.

٣. من القائد الذي فتح إفريقيا الشمالية؟

أ. معاوية. ب. يزيد.

ج. عمر بن سعد. د. عقبة بن نافع.

٤. في عهد أي خليفة بدأت الدولة الأموية بالازدهار؟

أ. عبد الملك.

ب. مروان بن الحكم.

ج. معاوية بن يزيد .

د. الوليد بن عبد الملك.

٥. من الخليفة الذي ضرب النقود باسمه لأول مرة في العالم الإسلامي؟

أ. معاوية بن أبي سفيان.

ب. الوليد بن عبد الملك.

ج. مروان بن الحكم.

د. عبد الملك بن مروان.

٦. أي الخلفاء الأمويين التالية أسماؤهم يمتاز عن غيره بسياسة العدل والرحمة؟

أ. عبد الملك بن مروان.

ب. الوليد بن عبد الملك.

ج. عمر بن عبد العزيز.

د. مروان بن الحكم.

٧. أي العوامل التالية كانت من بين الأسباب التي أدت إلى سقوط الدولة الأموية؟

١. انتهاج الدولة الأموية سياسة التعريب.

٢. تبني الأمويين مفهوم القبلية.

٣. الفتوحات الحاصلة في عهد الأمويين.

٤. إضعاف معارضة الأشراف والقادة قوة الدولة.

أ. كلها. ب. ١، ٢، ٣، ٤.

ج. ٢، ٤، ٥. د. ١، ٢، ٤، ٥.

٨. **أي الأحداث التالية حاصل في العهد الأموي؟**

١. حادثة كربلاء.

٢. فتح إسبانيا (الأندلس).

٣. فتح إفريقيا الشمالية.

٤. حصار اسطنبول.

٥. أول ضرب للنقود الإسلامية العربية.

أ. ١، ٣، ٤، ٥.

ب. كله.

ج. ١، ٢، ٣، ٤.

د. ١، ٣، ٥.

٩. **أي المدن التالية كانت مركزاً للدولة في العهد العباسي لفترة طويلة؟**

أ. مدينة الهاشمية.

ب. الشام.

ج. الكوفة.

د. بغداد.

١٠. **أي المعلومات التالية مغلوطة عن العباسيين؟**

أ. كان أبو العباس قد نقل مركز الدولة من الشام إلى مدينة الهاشمية.

ب. واصل العباسيون طريقة الإدارة عينها.

ج. تحقق تأسيس الثقافة الإسلامية بمعناه الواسع في العهد العباسي.

د. يعد عمر بن عبد العزيز أعدل خلفاء العباسيين.

١١. **أي الأجوبة التالية ليس من نتائج معركة طلاس؟**

أ. جرت بين العرب والأتراك.

ب. بدأ الأتراك يدخلون بصورة جماعية في الدين الإسلامي.

ج. تم منع آسيا الوسطى من الدخول في حكم الصين.

د. تم تعلم تقنية صنع الورق من الصين.

١٢. **أي المعلومات التالية صحيحة بالنسبة للعباسيين؟**

١. تأمين المساواة بين المسلمين.

٢. كثفوا اهتمامهم بسياسة الثقافة أكثر من سياسة الفتح.

٣. فتحت الأندلس في هذه الفترة.

٤. تحققت معركة طلاس في هذه الفترة.

٥. أُسِّسَت مدرسة النظامية أول جامعة منظَّمة.

أ. كلها ب. ١، ٢، ٤، ٥

ج. ١، ٢، ٣، ٤ د. ٢، ٤، ٥

١٣. **أي الإجابات التالية ليس من الأنشطة الثقافية والتحديثات الجارية في العهد العباسي؟**

أ. ترجمت الآثار اليونانية إلى العربية.

ب. فتح العديد من المدارس والمكتبات في بغداد.

ج. جرت معركة طلاس.

د. أنشئ بيت الحكمة.

١٤. **أي الخيارات التالية تجتمع فيها الكلمات المناسبة لملء الفراغات في هذه الجملة؟** «أول مؤسسة مشهورة في ميدان التعليم العالي هي .... المنشأة في .... من قبل الوزير ....».

أ. المأمون ـ بغداد ـ بيت الحكمة.

ب. مدرسة النظامية ـ بغداد ـ نظام الملك.

ج. مدرسة بيت الحكمة ـ الشام ـ المأمون.

د. المدرسة النظامية ـ الشام ـ نظام الملك.

١٥. **أي الإجابات التالية هي أول مدرسة منظّمة في العالم الإسلامي؟**

أ. الجوامع.

ب. بيت الحكمة.

ج. القصور.

د. مدرسة النظامية.

١٦. **أي المعلومات التالية المتعلقة بالمدرسة النظامية خاطئة؟**

أ. أول جامعة منظمة في العالم الإسلامي.

ب. أسست من قِبل الخليفة المأمون.

ج. يتم تأمين احتياجات الطلبة في المدرسة من طعام وشراب ومأوى مجاناً.

د. غدت مثالاً للجامعات المنشأة في أوروبا.

١٧. **أي الخيارات التالية أدى إلى انهيار الدولة العباسية وركود الثقافة الإسلامية وتراجعها؟**

أ. سيطرة المغول.

ب. سيطرة البيزنطيين.

ج. سيطرة الفاطميين.

د. سيطرة الإخشيديين.

١٨. **تحت إمرة أي قائد دخل المسلمون الأندلس؟**

أ. موسى بن نصير.

ب. طريف بن مالك.

ج. طارق بن زياد.

د. الوليد بن عبد الملك.

١٩. **أيّ حكام دولة الأندلس الأموية استخدم لقب «الخليفة» وكان سبباً في ارتفاع مستوى رخاء الرعية؟**

أ. عبد الرحمن الأول.

ب. هشام الأول.

ج. الحكم الأول.

د. عبد الرحمن الثالث.

٢٠. **أيّ الأسماء التالية ليس من الذين عاشوا في الأندلس أو أتوا إليها ونشأوا فيها؟**

أ. أبو حنيفة. ب. ابن حزم.

ج. ابن خلدون. د. ابن رشد.

؟ املأ الفراغات

املأ الفراغات التالية بما هو مناسب من الكلمات التي بين القوسين:

(عمر بن عبد العزيز، المساواة، طلاس ـ الصين، استيلاء المغول على العالم الإسلامي، طارق بن زياد، سيدنا الحسين، عبد الملك بن مروان، بيت الحكمة، مدرسة النظامية، نظام الملك ، الأمويين ـ الدولة العباسية)

١. استشهد .... في حادثة كربلاء.

٢. أظهرت الدولة الأموية توسعاً وتقدماً بتولّي ....

٣. أطلق على .... لقب « عمر الثاني»، لشبهه في العدالة والإدارة بسيدنا عمر.

٤. عامل العباسيون المسلمين ب ....

٥. منعت معركة .... من دخول آسيا الوسطى تحت سلطة ....

٦. يعد .... أول مؤسسة مشهورة في ميدان التعليم العالي والمنشأة من قبل الخليفة المأمون.

٧. تعد .... التي أسسها .... أول مؤسسة تعليم عالٍ بالمعنى الحقيقي.

٨. بدأت أول الدراسات التي حصلت في العالم الإسلامي في ميدان فقه اللغة والعلوم الاجتماعية والطبيعية في عهد ....، وأما تناولها بشكل منظم فقد تمّ في عهد ....

٩. أدى .... إلى ركود الحضارة الإسلامية.

١٠. القائد الذي فتح إسبانيا هو ....

اختبر معلوماتك ؟

ضع حرف «ص» على المعلومات الصحيحة وحرف«خ» على المعلومات الخاطئة فيما يلي:

١	تعتبر الشام عاصمة الدولة الأموية بإدارة معاوية بن أبي سفيان.	
٢	عامل الأمويون الناسَ كلهم بالتساوي.	
٣	عبد الملك بن مروان كان أول خليفة يضرب النقود باسمه في العالم الإسلامي.	
٤	من أسباب سقوط الدولة الأموية وَلَعُ الخلفاء الأمويين بوسائل الترفيه.	
٥	فتحت إفريقيا الشمالية في عهد العباسيين.	
٦	تشكلت الحضارة الإسلامية بمعناها الكبير في زمن العباسيين.	
٧	دخل الأتراك بصورة جماعية في الدين الإسلامي عقب معركة طلاس.	
٨	تم تأسيس بيت الحكمة من قبل الخليفة المعتصم.	
٩	أدى الغزو المغولي إلى انهيار العباسيين.	
١٠	بدأ مستوى رفاهية ورخاء الناس في زمن عبد الرحمن الثالث بالانخفاض.	
١١	يعدّ كلٌّ من ابن رشد وابن حزم من العلماء الذين أضاؤوا الطريق أمام أوروبا.	



الوحدة الثالثة

الإسلام في إفريقيا

موضوعات الوحدة

- الإسلام في إفريقيا: تاريخ وواقع –المقدمة.
- الفصل الأول : الإسلام وحضارته في شرق إفريقيا.
- الفصل الثاني: الإسلام وحضارته في وسط إفريقيا.
- الفصل الثالث: تاريخ الإسلام وواقعه في غرب إفريقيا

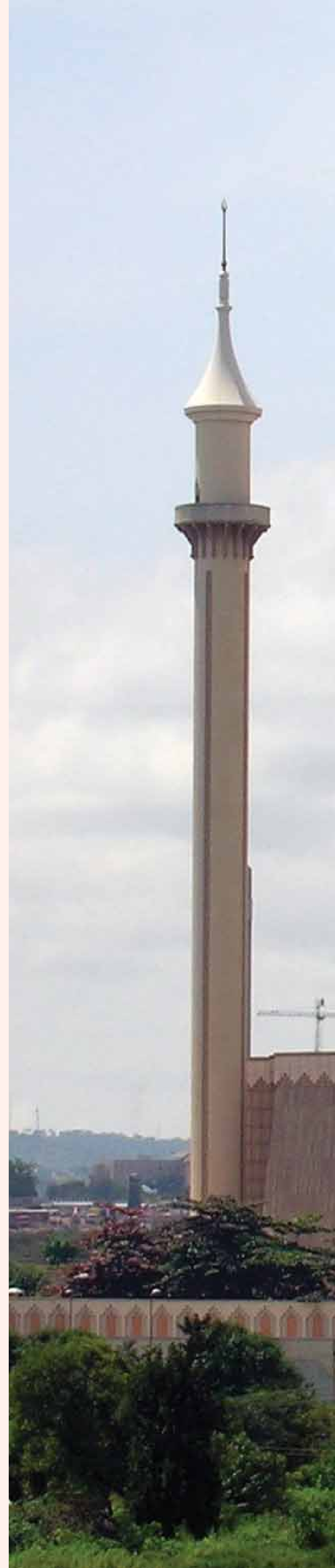
تمهيد

١. ما رأيك عندما نتحدث عن الإسلام في أفريقيا؟

٢. استشهد بشخصيات مهمة كانت سببا في نشر الإسلام في أفريقيا.

٣. ابحث في تأثير إسلام أفريقيا على تطور الإسلام وانتشاره في العالم؟

٤. أي تأثير للاستعمار على الإسلام في أفريقيا.



الإسلام في إفريقيا: تاريخ وواقع

مُقَدِّمَة

ظهرت الدّعوة الإسلامية في الجزيرة العربية منذ بداية القرن السّابع الميلادي في فترة كانت الإنسانية فيها بأمس الحاجة إلى رسالة إلهية تنقذ المجتمعات من الانهيار وتصفي قلوب البشرية من شوائب الشّرك، وتوجّه العقول نحو عقيدة الوحدانية، فأرسل الله نبيّه الكريم محمداً ﷺ رحمة للعالمين ليُخرجَ النّاس من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والهدى. وكانت المناطقُ الإفريقيةُ بعيدةً كلَّ البعد عن الحركة الدينية الجديدة، اللّهم إلاّ ما كان من هجرة الصّحابة الكرام رضوان الله عليهم إلى الحبشة (إثيوبيا) بإيعاز من النّبيّ ﷺ حين قال لهم:

«لو خرجتم إلى الحبشة فإنّ بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه». وقام بذلك بعض الصحابة ﷺ بهجرتين إلى الحبشة، غيرَ أنّ الإسلامَ لم يعرف انتشاراً واسعاً في القارة الإفريقيّة إلاّ بعد الهجرة النّبويّة إلى المدينة المنوّرة، و خاصة بدايةً من عهد الخلفاء الراشدين . على أنّ الإسلام اختار خلال تغلغله في القارة الإفريقية مسلكين اثنين:

أولهما مائي: وهو طريق باب المندب المحاذي لساحل شرق إفريقيا، حيث كان المسلمون يعبرون البحر الأحمر للتوجه نحو الصومال والحبشة وزنجبار ومقديشو وغيرها.



وثانيهما بريّ: اتّخذه الإسلام للدخول في شمال القارة ووسطها وغربها، وهو معبر سيناء الذي اختاره عمرو بن العاصﷺ لفتح مصر. ثم تواصلت الفتوحات الإسلامية ففتح المسلمون برقة فتونس فالجزائر ثم المغرب، ومن هذه المناطق اتّجه الإسلام إلى إفريقيا جنوب الصحراء أو إفريقيا السوداء، هذه المنطقة التي عُرفتْ لدى كُتَّاب العرب المسلمين ببلاد السودان، وقسّموها إلى السودان الشّرقي والسّودان الأوسط والسّودان الغربي. وقامت في بلاد السودان ممالك إسلامية في الفترة ما بين القرنين العاشر والثامن عشر الميلاديين، أهمّها غانا ومالي و سونغاي وسوكوتو في الغرب وكانم برنو في الوسط و هرر وباتا و مديشو في الشرق.

الإسلام اختار خلال تغلغله في القارة الإفريقية مسلكين اثنين:

- مائي: وهو طريق باب المندب المحاذي لساحل شرق إفريقيا.
- بريّ : وهو معبر سيناء، اتّخذه الإسلام للدخول في شمال القارة ووسطها وغربها.

وتتناول هذه الدراسة تاريخ انتشار الإسلام وحضارته في إفريقيا السوداء، وقد قسمناها إلى ثلاثة فصول رئيسية:

- الفصل الأول: الإسلام وحضارته في شرق إفريقيا .
- الفصل الثاني: الإسلام وحضارته في وسط إفريقيا.
- الفصل الثالث: تاريخ الإسلام وواقعه في غرب إفريقيا

وقد ركّز حديثنا عن الإسلام في المنطقة الأخيرة.

الفصل الأول: الإسلام وحضارته في شرق إفريقيا

ارتبطت منطقة شرق إفريقياً ارتباطاً وثيقاً بالجزيرة العربية قبل الإسلام . وتعتبر الهجرة إلى الحبشة أول هجرة تخرج فيها جموع من أصحاب رسول الله ﷺ إلى شرق إفريقيا لما رأى الرسول ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمّه أبي طالب، و أنّه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم:

«لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإنّ بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله فرجاً مما أنتم فيه»، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم فكانت أولى هجرة في الإسلام .

على أنّ أقدم الهجرات السياسية في العصور الإسلامية إلى شرق إفريقيا كانت في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ) على إثر اتباعه سياسة البطش والتنكيل بالمناوئين لسياسة الدولة الأموية،

فخرجت هجرات عربية إسلامية بأعداد ضخمة إلى ساحل إفريقيا الشرقي، وانضموا إلى من سبقهم من المهاجرين المسلمين العرب ليدعموا تأسيس ممالك إسلامية هناك. وقد حملت هذه الممالك الإسلامَ إلى كثير من الدول الواقعة في الساحل الإفريقي منها:: جمهورية السودان و إريتريا و جيبوتي و إثيوبيا و الصومال و أوغندا وكينيا ورواندا و بروندي وتنزانيا وكونغو الديمقراطية وزمبيا و ملاويا و موزمبيكا والجزر القمر و مدغسكار. ويصل عدد المسلمين في هذه المنطقة أكثر من ١٠٠ مليون نسمة.

قيام الإمارات والسلطنات الإسلامية في منطقة شرق إفريقيا:

تُعرفُ هذه المناطق قديماً بالسودان الشرقي وتشمل البلاد الواقعة في القرن الإفريقي، منها: الصومال وإثيوبيا وإريتريا وجمهورية السودان . وقد سبقت قيام الإمارات والسلطنات الإسلامية في شرق إفريقيا انتشاراً واسعاً للإسلام منذ القرن الهجري الأول، فتكوّنت هناك مراكز ومعاهد ومساجد ومدارس تحفيظ القرآن الكريم يفد إليها طلبة العلم للتزود بالعلوم الإسلامية النافعة. ويتكون السكان الأصليون لهذه المنطقة من قبائل الصومال والجالا والأعفار ويسمون أيضا بالزيالعة، ولكل من هذه القبائل أصولها ولغاتها ولهجاتها المحلية إلى جانب الإطار الواسع الذي يجمعها، وهو إطار الإسلام والثقافة العربية الإسلامية. ولم يكن يجمع هؤلاء الزيالعة مملكة واحدة في العصور الوسطى، بل توزعوا بين عدة ممالك وسلطنات إسلامية لم تكن متحدة أو متعاونة في معظم الأحيان، وعلى رأس كل مملكة ملك مستقل. ومن أهم الإمارات والسلطنات الإسلامية التي قامت في شرق إفريقيا إمارة باتا، وسلطنة مقديشو، وسلطنة كلوة، وسلطنة هرر:

١ _ إمارة باتا (PATE) (٦٥ هـ / ٦٨٤م):

أسس المسلمون هذه الإمارة في فترة حكم الخليفة عبد الملك بن مروان، الذي شهد عهده تأسيس المسلمين لعدة مدن على الساحل الشرقي لإفريقيا مثل: زنجبار وكلوة وماليندي وغيرها. وعندما سقطت الدولة الأموية اعتمد هارون الرشيد على ما كان عليه الأمويون من الممتلكات في شرق إفريقيا فعزم على تدعيمها، ومن أجل ذلك شجع الكثير من العناصر وخاصة الفرس على الإقامة في تلك الإمارات. وكانت إمارة باتا عظيمة، نشطت فيها الحركة التجارية وتوافد عليها التجار من أماكن كثيرة وسارت قوافل المسلمين حتى وصلت إلى بحيرة فكتوريا وغرب إفريقيا. وقد استطاعت هذه الإمارة أن تحقق انتعاشاً كبيراً في شرق إفريقيا مما كان له أثر كبير في نشر الإسلام بين الشعوب.

٢ _ سلطنة مقديشو:

أسس هذه السلطنة مجموعة من قبيلة بني الحارث، الذين نزلوا ساحل الصومال في أواخر القرن الثالث الهجري. وصف الرحالة هذه الإمارة بأنّها مدينة الإسلام

وفي عهد أسرة بني الحارث نمت مقديشو وازدهرت وأصبحت بمثابة عاصمة لجميع البلدان المجاورة. وكان الناس يردون على مقديشو في مواعيد معينة من السنة فيجتمعون في مساجدها الكبيرة ويقيمون بها صلاة الجمعة ممّا كان يزيد من عظمة الإسلام في نفوس الأفارقة. وعندما زارها الرحالة المغربي ابن بطوطة سنة ٧٣١هـ وجدها قد بلغت درجة عظيمة من الحضارة والرخاء، وأنّها حققت قدراً كبيراً من التقدم السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وأنّ أهلها على خلق ودين.

٣ _ سلطنة كلوة (٣٦٥ هـ/ ٩٧٥م):

أسسها السيرازيون بقيادة علي بن الحسن الشيرازي وأبنائه فجعلوها قاعدة ومركزاً تنشر الإسلام والثقافة الإسلامية بين القبائل الإفريقية في الساحل وداخله. يقول ابن بطوطة: « ومدينة كلوة من أشهر المدن وأتقنها عمارة ... والأمطار فيها كثيرة... والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعية المذهب ...

وكان سلطانها في عهد دخولي إليها أبو المظفر حسن ويكنى أيضا أبا المواهب لكثرة مواهبه ومكارمه، وكان كثير الغزو إلى أرض الزنوج يغير عليهم ويأخذ الغنائم فيخرج خمسها فيصرفه في مصارفه المعينة في كتاب الله تعالى. ويجعل نصيب ذوي القربى في خزانة لوحده، وكان الشرفاء يقصدونه من العراق والحجاز وسواها، ورأيت عنده من شرفاء الحجاز جماعة، وهذا السلطان له تواضع شديد ويجلس مع الفقراء ويأكل معهم ويعظم أهل الدين والشرف. سقطت هذه السلطنة على يد البرتغاليين سنة ١٤٩٨م.

٤ _ سلطنة هرر (٩٢٧هـ/ ١٥٢٦ م):

تقع هذه الإمارة على ساحل البحر الأحمر، وتمتد إلى الجنوب الشرقي من بلاد الحبشة وإلى الغرب من ميناء زيلع الصومالي. ومن أشهر ملوكها الإمام أحمد جران(حكم بين سنتي ١٥٢٦ _ ١٥٤٣م) الذي طبق الشريعة الإسلامية في فترة حكمه وخاصة في توزيع أموال الزكاة على مستحقيها، وكان السلاطين قبله يجمعونها لأنفسهم ولبطانتهم. وكذلك بالنسبة لأموال الغنائم والفيء، فكان يُخرج الخمس ويوزع الباقي على الجند. وبذلك كسب حبّ الفقهاء والعلماء و الشيوخ، كما كسب أيضا محبّة الشعب، فقد كان يجلس مع الفقراء ويلطف بالمساكين ويرحم الصغير ويوقر الكبير ويعطف على الأرملة واليتيم، وينصف المظلوم من الظالم حتى يردّ الحقّ إلى مكانه، ولا تأخذه في الله لومة لائم. كما قضى على قطّاع الطرق فأمنت البلاد لذا أحبّه شعبه، فقالوا: «لا تسموه السلطان ولا الأمير، ولكن سموه إمام المسلمين أو إمام آخر الزمان وأنّه هو الذي يصلح الله تعالى به بلاد الحبشة». ولذلك اشتهر بلقب «الإمام» دون غيره من الألقاب ولم يتسم باسم السلطان أو الأمير. ويعتبر هذا الإمام أشهر الملوك المسلمين في شرق إفريقيا جميعاً، وهو الذي أعاد لحكام المنطقة سيرة الحكم الإسلامي الراشد وأدخل الكثير من الأحباش المسيحيين والوثنيين في الإسلام. وعلى الرغم من انشغاله بردّ عدوان الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال على مسلمي المنطقة إلا أنّه اهتم كذلك بالإصلاح الديني والاجتماعي

والسياسي والاقتصادي. وهذا الذي جعل حكمه فريدا بين حكم الملوك السابقين، وجعله أشهرهم وأقواهم وأعدلهم على الإطلاق.

ولولا تدخل البرتغاليين ومساعدتهم للأحباش ضد جيش هذا الإمام لأصبحت الحبشة وشرق إفريقيا جميعها مسلمة إلى يومنا هذا. فقد تمكن البرتغال من قتل هذا الإمام سنة ١٥٤٣م، فانهار جيشه ومحاربوه وأخذ مجد الممالك الإسلامية يضعف ويتراجع في شرق إفريقيا. ولئن تمكن الإسبان من القضاء على بلاد الأندلس دينياً وسياسياً وعادت إسبانيا إلى النصرانية من جديد، فإنّ الأحباش المسحيين وحلفاءهم البرتغال لم يتمكنوا من القضاء على الإسلام في شرق إفريقيا وظلّ المسلمون على دينهم حتى الآن.

الآثار الحضارية والإنسانية للإسلام في شرق إفريقيا

خلال دراستنا للإمارات والسلطنات الإسلامية في منطقة شرق إفريقيا تبيّن لنا أنّ المنطقة كان لها أثر كبير في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية، لكن الحقيقة المؤلمة أنّ القوى الإسلامية الأخرى لم يكن لها أثر أو خدمة في نصرة إخوانهم في المنطقة، كما أنّ عدم الوحدة السياسية بل والتنافس الحاصل أحياناً بين الملوك المسلمين كان عاملاً في ترجيح كفة أعدائهم وتضعيف القوى الإسلامية. وعلى كل حال فإنّ هناك آثاراً حضارية وإنسانية تركتها هذه الممالك في المنطقة، منها:

١ ـ في مظاهر الحضارة:

انتقلت مظاهر الحضارة العربية الإسلامية إلى المنطقة، فاهتم السكان على اختلاف عناصرهم بالعلوم الإسلامية والعربية حتى أصبحت أكثر مدنها تجذب الطلاب إليها من مختلف الأنحاء.

٢ـ في فنّ العمارة:

تجلّت مظاهر الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا في فنّ العمارة وتخطيط المدن وزخارف الأبواب والشبابيك. كما أدخل المسلمون فنّ النقش والحفر والنحت والفسيفساء مع الرخام الملوّن، وظهر ذلك بوضوح في القصور والمساجد.

٣ـ في النشاط التجاري:

اهتم المسلمون في هذه المنطقة بالتجارة ونقل المحاصيل عن طريق البحر. ومن أشهر السلع التي كانوا يتاجرون بها: العاج والذهب وريش النعام والعسل والموز واللؤلؤ والصُمغ واللبان . وقد ظهرت هذه السلع في الأسواق العربية في الشام والعراق، وكانت أكبر مدن شرق إفريقيا مثل زنجبار وغيرها تشبه في أهميتها التجارية المدن الفينيقية مثل صور في شرق البحر الأبيض المتوسط.

٤ ـ في الصناعة:

كان المسلمون يقومون باستخراج المعادن كالذهب والفضة والنّحاس والحديد من هذه المناطق ويرسلونها إلى الدولة الإسلامية في الجزيرة العربية وفي الشام.

٥ ـ مجال الثروة الحيوانية:

تمكن المسلمون من إدخال تربية الحيوانات إلى شرق إفريقيا، واعتنوا أكثر بتربية الإبل والأغنام وصارت الجلود من أهم صادرات المنطقة.

٦ ـ قيام مدن إسلامية خالصة:

كانت أغلب المدن في شرق إفريقيا مدناً إسلامية صرفة من الشمال إلى الجنوب أهمها: مقديشو وباتا وزنجبار وهرر.

٧ ـ في الاندماج الاجتماعي:

بفضل تعاليم الإسلام التي تساوي بين الناس على اختلاف ألوانهم وأجناسهم تزاوج العرب القادمون والمهاجرون مع السكان المحليين بمرور الزمن فنتج عن ذلك شعب خليط من العرب وغيرهم في اندماج اجتماعي منقطع النظير في إطار من وحدة الثقافة والدين.

الفصل الثاني: الإسلام وحضارته في وسط إفريقيا

تُسمّى هذه المنطقة في كتب الرّحالة العرب بالسودان الأوسط وتحتوي على تشاد والكامرون وجزءاً من دارفور في جمهورية السودان الحالية. ومن أهم الممالك الإسلامية التي قامت في السودان الأوسط: مملكة كانم ـبرنو و مملكة باقرمي و مملكة وداي.

١ ـ مملكة كانم ـ برنو:

تعتبر مملكة كانمـبرنو من أعظم الممالك الإسلامية التي قامت في وسط إفريقيا، وقد نشأت حول بحيرة تشاد وشملت أراضي واسعة في المنطقة ما بين النيل ومنطقة فزان شمالاً، وامتدت في الشرق حتى بحر الغزال. وهي الآن مجزأة بين نيجيريا والنيجر وتشاد والكامرون وأجزاء في السودان وإفريقيا الوسطى وجزء في ليبيا. وكان قيام هذه المملكة على يد الأسرة السيفية، نسبة إلى سيف بن ذي يزن الذين هاجروا منذ القرن التاسع الميلادي، من الشمال إلى الجنوب، وبالتحديد إلى منطقة «كانم»، التي تقع في الشمال الشرقي من بحيرة تشاد، وأسسوا مملكة عُرفت بمملكة «كانم-برنو»، والتي تعتبر من أقدم الممالك الإسلامية التي تأسست في وسط إفريقيا.

وقد بدأ الإسلام يظهر فيها مبكراً، لينتشر في القرن الحادي عشر. وخاصة بعد أن اعتنق أغلب ملوكها الإسلام. وفي عهد ملكها «دوناما داباليمي» (١٢٢١م- ١٢٥٩م)، اتسعت المملكة حتى شملت أغلب أراضي «تشاد» و«فزان». كما توسعت حتى وصلت حدودها في فترة من الفترات، من النيجر غربا إلى واداي شرقا. ثم ضعفت مع حلول القرن الرابع عشر بسبب النزاعات الداخلية والأطماع الخارجية. وبذلك استطاعت قبائل من البولالا في عام ١٣٩٦م تقريباً، أن تطرد آل «سيف» وتستولي على مدينة «جنة» عاصمة «كانم».

هرب آل «سيف» إثر هزيمتهم أمام «البولالا»، واستقروا في منطقة «البورنو»، التي تقع غرب بحيرة تشاد (شمالي شرقي لنيجيريا حاليا)، وطردوا منها قبائل «الصاو»، وأسسوا فيها مملكة عُرفت بمملكة «البرنو». وبعد تأسيس مملكة «البورنو»، قرر آل «سيف» استرداد «كانم»، فأعلنوا الحرب على قبائل «البولالا»، مرة أخرى، وتمّ لهم النصر، في عهد علي دوناما (١٤٧٢-١٥٠٤م)، واستردوا «كانم»، وضموها إلى مملكة «البرنو»، وأسسوا مملكة جديدة عُرفت بمملكة «كانم- برنو»، وقد تمّ ذلك في أوائل القرن السادس عشر.

بلغت مملكة «كانم- برنو» أوج مجدها، في عهد «إدريس الونة»، الذي كان يُعرف باسم إدريس الثالث(١٥٧١-١٦٠٣م)، والذي وسع من دائرة اتصالاته بالعالم الإسلامي، وخاصة بدول شمال إفريقيا، ووطد علاقاته مع «طرابلس» والدولة «العثمانية»، فتقدمت المملكة في عهده علمياً واقتصادياً وعسكرياً، كما عمّ فيها الأمن والأمان والسلام.

وفي بداية القرن السابع عشر بدأ التدهور والانحطاط يدب في المملكة، وواجهت خطراً جديداً، هو خطر الفولانيين بزعامة الشيخ عثمان دان فودي، غير أن ظهور الشيخ محمد الأمين الكانمي في الساحة أنقذ المملكة من السقوط في أيدي الفولانيين، غير أنّ مقاليد السلطة انفلتت من الأسرة السيفية إلى الشيخ محمد الأمين الكانمي وأحفاده من بعده، وأصبح يطلق على ملوك كانم - برنو منذ ذلك الوقت صفة (شيخ) بدلا عن صفة (ماي) التي كانت تطلق عليهم سابقا.

وفي نهاية القرن التاسع عشر بدأت طلائع الاستعمار الأوروبي تطرق المنطقة، وتزامن ذلك مع حركة الأمير رابح بن فضل الله الذي قدم من السودان الشرقي وبدأ في تكوين نفوذ خاصٍ به في المنطقة، فغزا مملكة كانو - برنو عام ١٨٩٣م مما دفع سلطانها إلى عقد تحالفات عسكرية مع القوى الاستعمارية الغازية. وفي عام ١٨٨٤م انتهى الأمر إلى تقسيم مملكة كانم - برنو بين فرنسا وإنجلترا وألمانيا بعد عمر دام حوالي قرناً من الزمن.

٢- مملكة باقرمي:

تقع مملكة باقرمي في الجنوب الشرقي من بحيرة تشاد، وكانت عاصمتها مدينة (ماسينا) التي أنشأها السلطان (برني بيسي) حوالي عام ١٥١٣ م وهو أول سلطان عرف لهذه المملكة وكان وثنيا ويعد السلطان عبد الله بن مالو (١٥٦١ - ١٦٠٢م) أول سلطان مسلم، الذي كان له دور كبير في انتشار الإسلام في المملكة. و قامت المملكة على قبائل (العرب) و(الفلاتة) و(الكانوري) بالإضافة إلى السكان الأصليين. وبحكم موقعها

بين مملكة كانم –برنو ومملكة وادي لم تعرف هذه المملكة طوال تاريخها استقراراً وأمناً، إذ تعرضت للغزو من جيرانها مرّات عديدة .

و كانت نهاية هذه المملكة شبيهة بالنهاية التي تعرضت لها مملكة كانم – برنو حيث غزاها الأمير رابح بن فضل الله عام ١٨٩٢م، وأخل بأمنها الداخلي واستولى عليها، فاضطرت إلى طلب الحماية من القوات الاستعمارية الفرنسية التي قدمت وضمتها إلى محمياتها.

٣- مملكة وداي:

قامت مملكة وداي في المناطق التي تكوّن الأقاليم الشرقية لتشاد الحالية، وكان يحكم هذه المنطقة أسرة تسمى بـ« التنجر» حتى أوائل القرن السابع عشر، حيث تمكن أحد العلماء يُدعى عبد الكريم بن جامع (مجدد الإسلام) من انتزاع الحكم. و قدم للمنطقة من السودان الشرقي و ينتسب إلى العباسيين .

بدأ عبد الكريم بالدعوة إلى الإسلام وعندما علا شأنه وتزايد عدد أتباعه تمكن من هزيمة أسرة التنجر، وأقام مملكة إسلامية بمساعدة القبائل العربية التي كانت مستوطنة في المنطقة من عرب المحاميد والمهرية والنوايبة والعريقات وبني هلبة، كما ساعدته في إنجاز مهمته التحالفات التي عقدها مع العشائر الإفريقية من أهل المنطقة. وقد شجّع هذا الانتصار هجرة بعض القبائل العربية إلى البلاد. وبعد هذا الانتصار اتّخذ عبد الكريم (وعرة) عاصمة لمملكته، والتي حرفت إلى (وارا)، و ظلّ يدفع ضرائب لمملكة دارفور طيلة فترة حكمه (١٦٣٥- ١٦٥٥م) جرياً على عادة أسرة التنجر، غير أنّ السلطان يعقوب عروس(١٦٨١- ١٧٠٧م) تمكّن من إسقاط تلك الضرائب في فترة حكمه . وفي عهد السلطان عبد الكريم صابون (١٨٠٥-١٨١٣م) غزت مملكة وداي مملكة باقيرمي، وتكرر غزوها لها مرة أخرى في عهد السلطان علي بن محمد الشريف عام ١٨٧١م، ولم تتمكن من القضاء عليها. ويعد السلطان محمد الشريف (١٨٣٥- ١٨٥٨م) من أشهر سلاطين مملكة وداي، وقد هاجم مملكة كانم – برنو في عهد شيخها الشيخ (عمر بن محمد الأمين الكانمي) وبسط حمايته عليها ثم عقد صلحا مع الشيخ عمر، خرج بموجبه من برنو مقابل دفع ضريبة سنوية. وفي عهد السلطان محمد الشريف تمّ نقل عاصمة المملكة عام ١٨٥٠م من (وارا) إلى مدينة «أبشه» بسبب وعورة المكان. وقد تمكنت مملكة وداي من صد هجمات الأمير رابح بن فضل الله الذي غزاها عام ١٨٩٢ وبالتالي دفعته بعيدا عنها، إلا أنّها وقعت تحت ضربات القوات الاستعمارية الفرنسية، التي تمكنت في النهاية من احتلال مدينة أبشه عاصمة المملكة في ٢ يونيو ١٩٠٩م.

الآثار الثقافية والحضارية للإسلام في الممالك الإسلامية في وسط إفريقيا:

كانت الممالك الإسلامية في شرق إفريقيا في حالة تفاعل وتأثير وتأثر مع أقطار العالم الإسلامي في المجال الثقافي والاجتماعي والحضاري، ومن آثار تلك العلاقات نذكر ما يلي:

١ـ اتخاذ هذه الممالك الشريعة الإسلامية مصدراً لقوانينها وتشريعاتها ومحاكمها، ومرجعاً لضبط شؤونها.

٢ ــ جعل اللغة العربية اللغة الرسمية في كل مملكة، واستخدامها في الدواوين والمراسلات والتعليم.

٣ــ أصبحت اللغة العربية اللغة العامة والشائعة التي يستخدمها أفراد الشعب في اللقاءات العامة وفي الأسواق، ومن أبرز العوامل التي ساعدت على انتشار هذه اللغة في المنطقة:

العامل الأول: هجرة القبائل العربية إليها، ومن هذه القبائل مجموعة الحساونة، ومجموعة جهينة، التي هاجرت إليها خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.

العامل الثاني: الإسلام: اتّخذت هذه الممالك كلها الإسلام شرعة ومنهاجاً، ومن المعلوم أنّ اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ولغة الرسول الأمين، ولغة التراث العلمي والثقافي للأمة الإسلامية، كان هذا من أقوى العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية وشيوعها في المنطقة، حيث أصبح تدريس علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وأدب يحظى بنفس الاهتمام والعناية اللتين تحظى بهما العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه، فأصبح المجالان يدرسان جنباً إلى جنب، بل إنّ علماء المنطقة أصبحوا يطلقون على علوم اللغة العربية اسم علوم الآلة، باعتبار أنّها شرط لفهم العلوم الدينية، كما نجد أنّ كثيراً من شعائر الإسلام تؤدى باللغة العربية، ممّا جعل أهل المنطقة يعتبرون أنّ معرفة اللغة العربية من الصفات التي تميّز المسلم عن غيره، فأقبلت شعوب المنطقة على تعلّمها. وبذلك استطاعت اللغة العربية أن تكون لغة الدواوين الرسمية، ولغة التعليم والثقافة، ولغة الاتصال والتفاهم والتبادل الثقافي والحضاري؛ استخدمتها هذه الممالك في مراسلاتها الخارجية لتوطيد علاقاتها السياسية والثقافية مع الممالك والأقطار العربية والإسلامية، فقد كان لمملكة كانم علاقة وطيدة بالحفصيين في تونس والليبيين في طرابلس والمصريين في القاهرة، وكذلك بملوك مملكة مالي في غرب إفريقيا . كما حرص ملوك الممالك الإسلامية في وسط إفريقيا على تدعيم علاقاتهم الثقافية بالدول الإسلامية العربية، من خلال بناء المدارس والمساجد والأروقة، التي كان ينزل فيها الطلاب المهاجرون من تلك الممالك لطلب العلم في تلك البلاد، يقول القلقشندي:

«إنّ أهل كانم بنوا مدرسة للمالكية بالفسطاط ينزل بها وفودهم».

وقد بنى السلطان دونامة بن دابالامي (ت ١٢٥٩) سلطان كانم مدرسة ابن رشيق في القاهرة، كما بنى فيها رواقاً لطلبة العلم من بلاده وللحجاج ينزلون فيه طيلة وجودهم في القاهرة. كما بنى السلطان جودة (١٧٤٧ – ١٧٩٥) كذلك منازلَ في مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس و رواقاً في مصر) أوقفها في سبيل الله.

أبرز العوامل التي ساعدت على انتشار هذه اللغة العربية في المنطقة:
- هجرة القبائل العربية إليها.
- الإسلام: اتّخذت هذه الممالك كلها الإسلام شرعة ومنهاجاً.

الفصل الثالث: تاريخ الإسلام وواقعه في غرب إفريقيا

عندما نتحدث عن غرب إفريقيا فنحن في الواقع نتحدث عن منطقة واسعة تشغل مساحة شاسعة من الأرض؛ إذ تشتمل على خمسَ عشرةَ دولة، هي: السنغال، غامبيا، غابون، غينيا بيساو، غينيا (كوناكري)، سيراليون، ليبيريا، ساحل العاج (كوت ديفوار)، غانا، توغو، بنين، نيجيريا، بوركينا فاسو، مالي، موريتانيا.

وكانت الوثنية هي عقيدة سكان غرب إفريقيا قبل أن يصل إليها الإسلام. ويحتل الدين الإسلامي المرتبة الأولى في هذه البلدان في وقتنا الحاضر ولولا ضغط الاستعمار، ووقوفه في وجه الإسلام، وإفساحه المجال للإرساليات التنصيرية؛ لتُشرفَ على التعليم، وتسعى للحد من انتشار الإسلام عن طريق تقديم المساعدات والإغراء، لولا ذلك لعَمَّ الإسلام المنطقة كاملة.

ويرجع الفضل في انتشار الإسلام في منطقة غرب إفريقيا إلى جهود الفاتحين منذ القرن الأول الهجري. على أنّ أول هؤلاء الفاتحين هو عقبة بن نافع، الذي ولاَّه عمرو بن العاص ﷺ(والي عمر بن الخطاب في مصر) على شمال إفريقيا، ففتحها وأسس بها مدينة القيروان في تونس، وجعلها مركزًا لانطلاق دعوته، وترك بها جالية عربية إسلامية، ثمّ رجع إلى مصر. ولم تتَّسع فتوحاته هذه المرَّة إلى الأرجاء المجاورة، ولما تولَّى مرَّة ثانية في عهد يزيد بن معاوية واصل فتوحاته صوب الغرب، حتى وصل بلاد السوس في المغرب الأقصى، حيث أسلمت قبائل المصامدة، ثم استمرَّ حتى انتهى إلى البحر المحيط، فنزل بفرسه فيه حتى بلغ الماء نحره، وقال قولته المشهورة:

(اللهم إني أشهدك أن لا مجاز، ولو وجدت مجازًا لجزت).

ثم انصرف راجعًا، وسار نحو الجنوب حتى صادف قبائل صنهاجة، فأسلموا على يديه، ودخل طنجة، ثم سار جنوبًا، واستمر في أطراف بلاد السودان، وأسلمت على يديه بعض القبائل الأمازيغية، ويُعَدُّ أول قائد إسلامي استُشْهِد في القارة الإفريقية.

ووُلِّيَ موسى بن نُصَيْر على إفريقيا خلفًا لعقبة بن نافع، فأعاد إلى الإسلام القبائلَ الأمازيغيةَ المرتدَّة، حتى حَسُن إسلامها، وشاركت في فتح إفريقيا والأندلس.

ثم تولَّى على إفريقيا في عهد عبد الملك بن مروان زُهَيْر بن قيس، وتوسَّع في فتوحاته حتى استُشهد بها، وخلفه عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة، فغزا بلاد السوس، وحفر سلسلة من الآبار في الصحراء، واستطاع أن يربط شمال إفريقيا بجنوب الصحراء بصلة قويَّة. على أنّ أهم المراكز التجارية في شمال إفريقيا التي انطلق منها المسلمون لنشر الإسلام في غرب إفريقيا ما يأتي ذكره:

١ ــ **برقة بليبيا**: كانت قوافل المسلمين تغادر برقة محملة بالبضائع، وتتوجه صوب بيلما حتى تصل منطقة بحيرة تشاد، وقد تصل القوافل نفسها بلاد كانم ــ برنو.

٢ ـ القيروان بتونس: كان ينطلق منها التّجار المسلمون بجمالهم المحملة بمنتجات « أفريقية » (تونس سابقا) إلى تكدة حيث مناجم النّحاس، ومنها إلى كانو في بلاد الهوسا بنيجيريا.

٣ ـ تلمسان بالجزائر: كانت قوافل التجار المسلمين تنطلق منها إلى ثنية نهر النيجر حيث تقع مدينتا تمبكتو وغاو الشهيرتان في تاريخ مملكة مالي الإسلامية.

٤ ـ طريق لمتونة: وهي الآتية من المغرب الأقصى على امتداد ساحل المحيط الأطلسي إلى حوض نهر السنغال.

وهكذا وصل الإسلام إلى منطقة غرب إفريقيا منذ تلك الفترة من تاريخ الإسلام، وظهرت فيها ممالك وإمبراطوريات إسلامية اهتم ملوكها بالعلماء والعلوم الإسلامية وساد فيها مذهب الإمام مالك ﷺ، ومن أهمّ هذه الممالك: مملكة غانا ومملكة مالي ومملكة سونغاي ومملكة سوكوتو حسب التّرتيب الزّمني.

قيام الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا:

١ ـ مملكة غانا الإسلامية:

تعتبر غانا أوّل مملكة إسلامية قامت في غرب إفريقيا على الإطلاق. ويرى بعض المؤرخين أنّ الإسلام دخل في عاصمة المملكة «كومبي صالح» منذ القرن الأوّل الهجري، وبالتّحديد سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م . وازدادت علاقات غانا ببلاد العالم الإسلامي في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، ولا سيما بعد أن اتّصل ملوك غانا المسلمون بالخلافة العباسية وربطوا بها وحكموا في بلادهم كممثلين للخلفاء العباسيين. كما أنّ صلة غانا بمصر استمرت إلى وقت طويل جدا.

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام في هذه المملكة في وقت مبكر دور العلاقات التجارية التي كانت بين هذه المملكة والعالم الإسلامي آنذاك، كما أنّ التسامح الديني الذي كان به ملوك غانا ساعد على تغلغل العقيدة الإسلامية بين الأهالي سلمياً؛ وبلغ الأمر أنّ أفراداً من الجالية الإسلامية تولّوا مناصبَ عُليا في القصر الملكي؛ وساعد المسلمين في ذلك معرفتهم بالكتابة والقراءة، واستطاعوا مع مرور الزمن أن يؤسسوا لأنفسهم مدينة خاصة بهم كان فيها في مطلع القرن الحادي عشر اثنا عشر مسجداً.

يقول البكري أبو عبيد:

«ومدينة غانا مدينتان سهليتان، إحداهما المدينة الإسلاميّة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً، أحدها يجمعون فيه – أي يؤدّون فيه صلاة الجمعة– ولها الأئمة والمؤذنون وفيها فقهاء وحملة علم».

وأكثر من هذا أنّه كان في قصر الملك مسجد يؤدي فيه المسلمون الوافدون عليه شعائر دينهم. وعلى هذا يقول البكري: « وفي مدينة الملك مسجد يصلّي فيه من يفد من المسلمين على مقربة من مجلس الملك».

وظلّت غانا محتفظة باستقلالها السياسي إلى أن نجح قائد جيش المرابطين أبو بكر بن عمر اللمتوني في الاستيلاء على عاصمة غانا «كومبي صالح» سنة ١٠٧٦م. ومنذ أن فتحها المرابطون أصبحت هذه المملكة مملكة إسلامية. والملاحظ أن سيطرة المرابطين على غانا لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما قامت انتفاضات وثورات، ليست ضدّ الإسلام الذي جاء به المرابطون، وإنّما كانت تستهدف تحقيق إدارة محلية. وفي هذه الثورات المحلية قتل أبوبكر بن عمر، وبوفاته اضمحلت سلطة المرابطين السياسية، في الوقت الذي كان يحقق ابن عمه يوسف بن تاشفين انتصارات باهرة في المغرب والأندلس. ورغم جهود المرابطين ومسلمي غانا بقي الإسلام محصورًا في رقعة جغرافية صغيرة إلى أن برزت مملكة مالي في الساحة السياسية في المنطقة، والتي حملت الدين الإسلامي إلى مناطق كثيرة من دول غرب أفريقيا.

٢ _ مملكة مالي الإسلاميّة:

امتدّ حكم مملكة مالي على جمهورية مالي الحاليّة، و السنغال الشّرقي، وشمال غينيا (كوناكيري)، و بوركينا فاسو، و بنين، و الجنوب الأقصى من موريتانيا. وترى جلّ المصادر أنّ مملكة مالي في أوج قوّتها كانت أكثر الإمبراطوريات اتّساعا في غرب إفريقيا. وكانت لهذه المملكة مساهمة بارزة في نشر الإسلام في منطقة غرب إفريقيا، بفضل نشاطاتها التّجاريّة، لا سيما عندما مدّت الطرق التّجاريّة جنوبا في البحث عن مصادر جديدة وغنيّة بالذّهب الذي كانت تسيطر عليه مملكة غانة.

وتعتبر الفترة ما بين سنتي (١٢٢٥ ـ ١٤٥٥) فترة الازدهار والقوّة، اتّخذ فيها الملوك لقب منسا لأوّل مرّة، و اتّخذوا نياني Niani عاصمة لهم. كما شجّعوا على بناء المدارس القرآنية و قربّوا إليهم العلماء.

و من أشهر هؤلاء الملوك نذكر:

_ **منسا ولي (١٢٢٥ ـ ١٢٧٠)**: و هو ثاني من حجّ من ملوك المنطقة بعد «برمندانة» (حج سنة ١٠٥٠). يقول ابن خلدون: «وكان منسا ولي هذا من أعاظم ملوكهم، و حجّ أيام الظاهر بيبرس»

_ **منسا موسى(١٣٠٧ ـ ١٣٣٢)**: زار مصر أثناء مروره بها إلى الحجّ سنة ١٣٢٤. وصف المؤرخون قافلة حجّه بأنّها تعتبر من أروع مظاهر الثّراء. رافقه في هذه الرّحلة حشد كبير من العلماء، قدر عددهم بحوالي اثني عشر ألف شخصٍ. وفي أيامه انتعشت التّجارة و ازدهر التّعليم الإسلاميّ في تمبكتو.

فقد قام « منسا موسى» هذا برحلة لأداء فريضة الحجّ سنة ١٣٢٤م فتركت في العالم كلّه صدىً كبيراً لما تميزت به من أبهة؛ ولما قيل عن ثروة هذا الملك الأفريقي، ومما زاد في صدى هذه الرّحلة أنّ منسا موسى اصطحب معه ستمائة رقيق كانوا يحملون على ظهورهم الذهب والتبر الخالص، وأنه أنفق أموالاً طائلة على المساكين والمعوزين بمكة والمدينة. ولم تقتصر هذه الرحلة التّاريخية على جانب أداء المناسك؛ بل إلى جانب ذلك كانت رحلة تبادل ثقافي في نطاق واسع؛ أولى»منسا موسى» خلالها عناية خاصة بالعلماء، فاتّصل بنخبة منهم بالقاهرة التي عرج عليها، فتباحث

معهم حول قضايا مختلفة تهم العالم الإسلامي، كما انتهز فرصة وجوده في تلك الديار المعروفة بالعلم لاقتناء كمية وافرة من كتب فقه المالكية، وأبدى اهتماماً خاصاً بالفن المعماري الإسلامي الأصيل، فاتّصل خلال تنقلاته في المغرب والمشرق الإسلاميين بمهندسين معماريين للاستفادة منهم والأخذ عنهم. وقد نجح فعلاً في إبرام عقد عمل مع أحد المهندسين المعماريين من عرب الأندلس، هو الشاعر أبو إسحاق الساحلي الأندلسي، الذي قبل أن يصحب «منسا موسى» إلى مملكته حيث أشرف على تشييد مبانٍ عمومية عديدة في كل من (نيامي)، عاصمة مالي يومذاك، وفي مدن أخرى هامة من تلك البلاد.

ـ **منسا سليمان (١٣٥٢ ـ ١٣٥٩)**: اشتهر هذا الملك بتشييد المساجد و المدارس الإسلاميّة، و جلب الفقهاء من العالم العربيّ والإسلاميّ. في عهده زار الرحالة المغربي ابن بطوطة (توفي سنة ١٣٧٧) مالي و تنقل بين مدنها الكبرى، وقابل السلطان والتقى بطائفة من العلماء و التّجار. و يمد حديثه عن تلك البلاد بوصف أحوالها المختلفة وخاصّة فيما يتعلق بحفظ القرآن و صلاة الجمعة و العيدين. ويتحدث عن أفعال أهل المنطقة الحسنة قائلا:

«ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم، وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقّهم التّقصير في حفظه، فلا تفكّ عنهم حتّى يحفظوه. ولقد دخلت على القاضي (قاضي مالي) يوم العيد و أولاده مقيّدون فقلت له: ألا تسرّحهم؟ فقال: لا أفعل حتّى يحفظوا القرآن. و مررتُ يومًا بشاب منهم حسن الصورة، عليه ثياب فاخرة و في رجله قيد ثقيل، فقلت لمن كان معي: ما فعل هذا ؟ أقتل ؟ ففهم منّي الشّاب و ضحك، وقيل لي: إنّما قيّد حتّى يحفظ القرآن».

٣ ـ مملكة سونغاي الإسلاميّة:

كانت مملكة سونغاي تشمل في أيّام عزّها بعض أراضي موريتانيا ومالي والنيجر ونيجيريا وبوركينا فاسو. يقول بعلراف:

«ثم ظهرت على مسرح الأحداث إمبراطورية سونغاي التي أكملت ما قامت به مملكة مالي والتي قام بتأسيسها الملك سني علي بن ضياء، وقد بنى مملكة شاسعة شملت ثلث موريتانيا ومالي والنيجر، وبوركينا فاسو وثلث نيجيريا».

يبدأ تاريخ سونغاي في الوضوح منذ القرن ٧ الميلادي، وذلك مع أسرة الأزواء (La dysnastie des ZA)، وعرفت المملكة اتّساعا في عهد سني علي بير، الذي حكم بين سنتي (١٤٦٥ ـ ١٤٩٢).

وكانت دولة أسكيا محمّد الكبير (١٤٩٣ ـ ١٥٢٨) الذي أنهى حكم آل سني أكثر اتّساعا. تولى هذا الملك الحكمَ إثر ثورة قام بها على سني بارو الذي حكم سنة فقط (١٤٩٢ ـ ١٤٩٣)، وعمد إلى تنظيم المملكة، فقسّمها إلى ولايات، وعهد بكلّ ولاية منها إلى والٍ يُعين من العاصمة (غاو) مباشرة، كما أوجد المناصب

القارّة لأوّل مرّة في سونغاي. و لمّا استتبّ الأمن في دولته قررّ السّفر إلى المشرق لأداء فريضة الحج، والاطلاع على أحوال ممالك المشرق وطرق تسييرها. و أخذ معه إلى الحجّ جمعاً كبيراً من العلماء و الأعيان.

وتشير المصادر إلى أنّه أنفق في هذه الرّحلة ثلاثمائة ألف قطعة من الذّهب الخالص، أنفق منها مائة ألف لتكاليف سفره، و مائة ألف أخرى صدقة لفقراء مكّة والمدينة، كما اشترى منها قطعة أرض و مبنى يأوي إليه حجاج بلاد غرب إفريقيا. أمّا المائة الباقية فقد أنفقها في شراء حاجات و هدايا من أسواق مكّة والقاهرة . و استقبل في القاهرة استقبالاً رسميًّا حافلاً، أمّا في مكّة فقد نظَّم على شرفه استقبال خاص تسلم خلاله لقب الخليفة على بلاد غرب إفريقيا.

و بعد عودته من الحجّ، وجّه عدّة حملات قويّة على المناطق المجاورة لمملكته منها مملكة موسي Mossi الإحيائة في بوركينا فاسو، التي هاجمها في الفترة ما بين سنتي (١٤٩٧ _ ١٤٩٨)؛ والتي ساهمت في نشر الإسلام في المنطقة.

فأول ما قام به أسكيا الحاج محمد هو تنظيم الدولة تنظيماً محكماً لم يسبق له مثيل في السودان الغربي إدارياً وعسكرياً وثقافياً. وأقام الدولة على سنن الشريعة الإسلامية وقواعدها، معتمداً على العلماء والفقهاء في إدارتها، وأنشأ أول مرة ما يمكن تسميته «الهيئات التشريعية والتنفيذية والقضائية لتحقيق الأمن والعدل بين رعاياه».

وقد أكد السعدي هذا الأمر بقوله:

«واجتهد بإقامة ملة الإسلام وإصلاح أمور الأنام، وصاحب العلماء، واستفتاهم فيما يلزمه من أمر الحل والعقد».

أما محمود كعت، وهو معاصر أسكيا محمد ومستشاره فقد نوّه بحكم أسكيا وشخصيته فقال:

«وله من المناقب وحسن السياسة والرفق بالرعية والتلطف بالمساكين ما لا يحصى. ولا يوجد له مثيل لا قبله ولا بعده، و حبّ العلماء والصالحين والطلبة وكثرة الصدقات وأداء الفرض والنوافل. وكان من عقلاء النّاس ودهائهم، والتواضع للعلماء، وبذل النفس والأموال لهم مع القيام بمصالح المسلمين وإعانتهم على طاعة الله وعبادته، وأبطل جميع ما عليه شى (سنى علي بير) من البدع والمناكر والظلم وسفك الدماء، وأقام الدين أتم قيام... وجدّد الدين وأقام القضاة والأئمة... ونصب في تمبكت قاضياً... وفي كل بلد يستحق القاضي من بلاده».

وقد وصلت الدولة في عهده قمة في الاتساع والقوة والثراء والازدهار، والتقدم سياسياً واقتصادياً وثقافياً وعسكرياً؛ فسيطرت بذلك على جلّ مناطق السودان الغربي. ومع اتّساع رقعة مملكته فإنّه استطاع أن يسيّرها بحكمة وحزم وعدل؛ مما جعل الخير يعمُّ البلادَ. وقد أكد السعدي هذا الأمر بقوله:

«إنّ السودان يومئذ من أعظم أرض الله تعالى نعمةً ورفاهيةً وعافيةً في كلّ جهة ومكان ببركة ولاية الأسعد المبارك أمير المؤمنين أسكيا محمد ابن أبي بكر من عدله وشدّة حكمه الشّامل...».

وبالإضافة إلى عدله وحسن سياسته، اشتهر بمحبة العلم وأهله والسير على السنّة؛ ولذا كانت له علاقة وطيدة مع علماء عصره مثل عبد الكريم المغيلي، الذي طلب منه أسكيا أن يكتب له كتابا في السياسة الشرعية. فكتب له كتيبا يسمى: «أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي»، كما كانت له علاقة طيبة مع جلال الدين السيوطي الذي استفتاه أسكيا في مسائل كثيرة لما التقى به في مصر أثناء رجوعه من الحجّ. مكث أسكيا محمد في الحكم نيفا وثلاثين سنة حتى كف بصره في نهاية عمره. فتجرأ أحد أبنائه على عزله عن الحكم، وبقي مكفوف البصر إلى أن توفي سنة ٩٤٤ هجرية بعدما عاش قرابة ٩٧ سنة.

وبعد انتهاء عهد أسكيا محمد الكبير بدأ عهد جديد في تاريخ سنغاي اتسم بالتنافس والصراع المرير بين الأمراء على السلطة؛ فسادت بينهم المؤامرات والفتن الأمر الذي أجهض كل ما بذله أسكيا محمد الكبير من الجهود في تثبيت أركان الدولة ونشر العدل فيها إلى أن وصل أسكيا داود إلى الحكم.

– أسكيا داود بن أسكيا الحاج محمد(٩٥٦ ـ ٩٩١ هـ/ ١٥٤٩ ـ ١٥٨٢م)

عرف أسكيا داوود بحنكته السياسية ورجاحة عقله وحبّه للعلم والعلماء والتواضع لهم، ولذا يعدّ من أهمّ ملوك سنغاي بعد أبيه الحاج محمد، الذين حكموا البلاد بحكمة، وشجّعوا الحركة العلمية؛ فطفرت طفرة مهمة إلى الأمام وازدهرت أيّما ازدهار.

وقد ساعده على تحقيق ذلك، أنّ الذين سبقوه مهدوا له الطّريق، يقول محمود كعت في تاريخ الفتاش:

«ساعدته الدنيا فنال ما شاء من دولة ورياسة وحصل له الدنيا عريضة، وقد تعب أبوه محمد وإخوته فزرعوا له وجاء فحصد، ومهدوا له الأرض، وأتى فنام عليها».

إذَنْ يعتبر عهده مرحلة الازدهار والنضج في مملكة سنغاي سياسياً وعلمياً، واقتصادياً، فبدأ علماء السودان ينتجون في الثقافة الإسلامية، إذْ ظهرت مؤلفاتهم في الفقه المالكي وغيره من العلوم الشرعية. وقد اهتم هذا الملك كثيراً بالحركة العلمية، وبنى مرافق علمية كثيرة في مختلف أرجاء المملكة، واستقطب العلماء من كل مكان، وأغدق عليهم كثيراً. ويظهر أن اهتمامه بالحركة العلمية يعود إلى معرفته لقيمة العلم وأهله، حيث اشتهر بأنّه كان حافظاً للقرآن، وكان له شيخ يدرّسه في بيته. وصفه كعت بأنه:

«كان سلطاناً مهيباً فصيحاً خليقاً للرئاسة، كريماً، جواداً مبسوطاً... وسّع الله عليه في دنياه وهو أوّل من اتّخذ خزائن المال، حتى خزائن الكتب، وله نسّاخ ينسخون له كتباً، وربّما يهادي به العلماء».

ولشدّة حبّه للعلم اشترى لأحد العلماء قاموساً في أسواق تمبكتو بثمانين مثقالاً.

ويتجلّى حبّه للعلم في قوله:«لولا العلماء لكنّا من الهالكين»، إضافة إلى إحسانه لطلبة العلم واحترامهم. وفي عهده ولد الشيخ أحمد بابا التمبكتي. وتجدر الإشارة إلى أن أسكيا داود كانت له علاقة طيبة مع مولاي الأعراج، سلطان المغرب، وكانا يتبادلان الهدايا فيما بينهما. مكث في الحكم ما يناهز أربعاً وثلاثين سنة وبضعة أشهر، توفي سنة ٩٩١ هـ.

٤ ـ المملكة الفولانيّة الإسلامية:

شملت المملكة الفولانيّة معظم جمهورية نيجيريا الحاليّة، وبنين، وجزءاً من النيجر والكامرون وتوغو وبوركينا فاسو. وترجع أهمّيتها إلى أنّ شعبها جعل واجبه الأوّل الدعوة إلى الإسلام و نشر علومه، و بهذا تمكّن علماء هذه المملكة من إثراء المكتبة العربيّة بكثير من المصنّفات الدينيّة والأدبية.

ولئن عُرفت هذه المملكة في القرن التاسع الميلادي مع عثمان دان فوديو(١٨١٧م)، فإنّ المنطقة عرفت منذ القرن الرابع عشر حضور علماء و فقهاء هاجروا إليها من مدينتي جني وتمبكتو، واستقرّ عدد منهم في كانو وكاتسينا، وأخذوا يعلّمون النّاس دينهم الإسلاميّ، و أصبح منهم مدرّسون وقضاة وأئمة و دعاة. و لمّا ازداد نفوذ هؤلاء العلماء خاصّة في إمارة غوبير، تصدى لهم حاكمها واتّخذ من السُّبل ما يراه كفيلاً لقمع أيّ عمل إصلاحي في إمارته. دعا هذا الأمر أحد أبناء الفولاني، و هو الشيخ عثمان دان فوديو إلى إعلان حربٍ ضدّ إمارات الهوسا و كان ذلك عام (١٨٠٤) عندما أصدر ما عُرف بوثيقـة أهل السّودان.

وهكـذا تحوّل الشيـخ عثمـان مـن زعيـم روحي إلى قائـد حربي، و دارت الحرب واستمرت على مدى أربعة أعـوام، إلى أن استولت قوات الشيخ عثمان عام (١٨٠٨) على مدينة الكالاوا عاصمة غـوبر، فدانت البلاد كلّها لنفـوذه، وكان ذلك إعلاناً لقيام المملكة الفولانيّة الإسلاميّة التي اتّخذت «سوكوتو» عاصمة لها. وزّع عثمان دان فوديو المسؤوليات على ابنه محمّد بللو وأخيه عبد الله بن فودي، و كرّس بقيّة عمره للدراسة والتأليف.

وتعتبر الفترة مابين (١٨١٧ ـ ١٨٥٩) مرحلة البناء والتوسّع للمملكة، اتّسمت بتدعيم كيان المملكة وتأمين حدودها، وكذلك القضاء على الاضطـرابات الداخليّة التي كانت تشنّهـا بعض العناصر التي لـم تقبل حكـم الفولانيين. وفي هذه المرحلة تمّ اختيار محمّد بلّو(١٨١٧ـ ١٨٣٧) خليفة لوالده الشيخ عثمان دان فودي .

وتميّزت الفترة مابين سنتي (١٨٥٩ _ ١٨٨١) بالاستقرار والأمن، قلّت فيها الحملات العسكريّة بالإضافة إلى تراجع حدّة التمرّد. و إذا كانت الفترة الأولى اتّسمت بطـول فترة الحكام، فإن الفترة الثانية تميّزت بقصر مدة حكم معظمهم، ورغم ذلك فقد اتّسمت بالاستقرار. بينما تميّزت الفترة ما بين سنتي (١٨٨١ _ ١٩٠٣) بالتمرّد والاضطراب، كما اتّسمت بالتوغّـل البريطاني في المملكة، إلى أن قضى عليها سنة ١٩٠٣ .

وكانت آخر مملكة إسلامية قامت في منطقة غرب إفريقيا. ولكن الاستعمار لم يتمكن من القضاء على الإسلام الذي بقي يتغلغل إلى أعماق القارة حتى في الفترة الاستعمارية.

واقع الإسلام في غرب إفريقيا منذ الاستعمار إلى اليوم

١ - الإسلام والاستعمار في غرب إفريقيا

منذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي أخذت أساطيل الفرنسيين والإنجليز تجوب البحار باحثة عن بلاد ضعيفة، لكي تتغلب على أهلها وتستغلّ خيراتها. وهكذا تمكّنت تلك القوى الأوروبية من احتلال إفريقيا الغربيّة بعد عقد مؤتمر برلين (١٨٨٤ - ١٨٨٥) .

غير أنّ هذه القوى التي كانت تحمل في طيّاتها الديانة المسيحيّة واجهت في غرب إفريقيا عائقاً تمثّل في الإسلام، الذي أخذ ينتشر بصفة موسّعة . فكان لابدّ أن تتّخذ موقفا تجاه الإسلام والمسلمين. ففيم يتمثل ذلك الموقف؟

نظر الاستعمار الأوروبي إلى الإسلام في إفريقيا في الفترة الاستعمارية من وجهتين: الوجهة الأولى تتمثل في أنّ الإسلام عائق أمام السيطرة الاستعمارية، والوجهة الثانية تفيد أنّ الدين الإسلاميّ يعتبر حضارة منافسة للمسيحية.

أي أنّ الإسلام يمثل عائقاً أمام الزحف الفرنسي في المنطقة، وعائقاً أمام الحركة التبشيرية. لكن ما العمل وقد تجذّر الإسلام؟

مرّت سياسة الاستعمار في غرب إفريقيا، في الفترة بين سنتي ١٨٩٥ و ١٩٢٠ بمرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى: تمتدّ من سنة ١٨٩٥ إلى سنة ١٩١١، تظاهرت فيها الإدارة الاستعمارية بأنّها مهتمّة بالإسلام ومتحمسة له، لأنّها رأت الإسلام الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدفها، وهو توحيد المنطقة وبالتالي السيطرة عليها ومحو اللغة العربيّة التي تمثل عنصرا هامّاً بالنسبة إلى الدين الإسلاميّ. فبدأت بمراقبة أتباع محمّد ﷺ، الذين ما انفك عددهم يزداد يوما بعد يوم. وتمكّنت بهذه السّياسة من القضاء على بعض التجمعات الإسلاميّة.

واضطر الاستعمار إلى تنظيم التّعليم الإسلاميّ، لأنه رأى أن مراكز الثقافة الإسلاميّة كانت تنتشر بصفة سريعة في مقابل المدارس اللائكية أو اللادينية التي كان يشجّعها؛ فأدخل تعليم اللغة العربيّة في برامج مدارسه المنتشرة ببعض بلدان المنطقة وكان ذلك تحت ضغط المسلمين، كما وقع مثلاً في شمال نيجيريا. كما اعتنى بالعلماء المسلمين واتخذهم وسطاء بينه و بين المجتمع، خوفا منهم لا حبّا في التّعليم الإسلاميّ أو في المسلمين. و قد أسّس لهذا الغرض مدارسَ تتمّ الدراسة فيها بالعربيّة و لغة المستعمر ترغيباً منه للأهالي في إلحاق أبنائهم بالتّعليم العام .

و من أشهر تلك المدارس أذكر: مدرسة سان لويس (Saint Louis) في السنغال التي تمّ تأسيسها سنة ١٩٠٧، و مدرسة ساي في النيجر التي أنشأتها الإدارة الفرنسية عام ١٩٥٧ قبيل مغادرتها البلاد. و لم تكن هذه المدارس خاصّة بأبناء المسلمين فحسب، بل كان يتردد عليها حتى أبناء المسيحيين.

وبهذه الطريقة، تمكّن الاستعمار شيئاً فشيئاً من أن يعوّض اللغة العربيّة في بعض المدارس بلغته، بل أصبحت لغة المستعمر اللغة الرسمية إلى الآن. وهذا لا يعني أنّ الكتاتيب (المدارس القرآنية) تراجعت، بل كانت تتكاثر في الأرياف، لكن الإدارة كانت تراقبها. يقول ميغا هارون المهدي:«كان من أبرز أهدافه (الاستعمار) مقاومة اللغة العربيّة و محوها من التّعليم، و قد تحقق له الكثير بإقصائها ـــ إلى حين ـــ من الدوائر و المدارس الحكوميّة، لكنها بقيت صامدة لدى المسلمين، يتعلمونها و يتعلّمون بها علوم الدين الإسلاميّ في حلقات المساجد و في كتاتيب تحفيظ القرآن».

المرحلة الثانية: انطلقت هذه المرحلة الثانية منذ مطلع القرن العشرين، وبالتحديد سنة ١٩١١: وخلالها كثفت الإدارة الفرنسية مراقبة نشاطات المسلمين وحرّضت القوى المحليّة (الإحيائية) ضدّ التجمّعات الإسلاميّة التي كانت لها علاقات ثقافيّة بالعالم العربيّ الإسلاميّ. ومن هذه التجمعات أذكر: فولبي، وسراكولي، وتكولور. يقول أحد ممثلي الإدارة الفرنسية في غرب إفريقيا: « لكي نصل إلى أهدافنا فلا بدّ من تحريض تجمع إحيائي قويّ ضدّ الإسلام ». وعلاوة على ذلك فإنّ تعاليم الإحيائية كانت تدرّس في بعض المدارس الفرنسية لفائدة أبناء زعماء الإحيائية. وفي هذه الفترة ذاتها كوّنت الإدارة الاستعمارية لجنة تتكوّن من المسلمين المتعاونين معها لمراقبة النشاطات الإسلاميّة. ومن المهام التي كلّفت بها هذه اللجنة القيام بعملية إحصائية للمسلمين ومراقبة حركاتهم ومنعهم من اقتناء آلات حربيّة، وفتح قائمة للمسلمين المشبوه فيهم. ففي الفترة ما بين سنتي ١٩١١ و١٩١٣ عمدت الإدارة الفرنسية بداكار (عاصمة السنغال) إلى طرد بعض العلماء والدعاة والمتسوّلين من الحدود السنغالية. فمراقبة الإسلام تعني في الدرجة الأولى مراقبة الشخصيات الإسلاميّة.

ولم تكتف الإدارة الاستعمارية بهذا وإنّما طلبت من السلطة المصرية في تلك الفترة أن تراقب الكتب الدينيّة التي كانت تمر بالقاهرة عن طريق حجاج المنطقة، وخاصّة كتب الدّعوة الإسلاميّة. غير أنّ تلك المراقبة لم تمنع من تقوية علاقة مسلمي المنطقة بالعالم العربي والإسلامي، فقد ربطت دول غرب إفريقيا علاقات وطيدة مع الدول العربية و الإسلامية، ممّا ساعد على انتشار الإسلام بصفة واسعة في المنطقة.

٢- دور الدول العربية والإسلامية في توسيع دائرة الإسلام في غرب إفريقيا

تمكّن أبناء غرب إفريقيا الذين تثقفوا بالثقافة الإسلاميّة، سنة ١٩٥٣، من تأسيس اتحاد إسلامي يشمل كامل المنطقة، واختاروا لاتحادهم اسم «الاتحاد الثقافي الإسلاميّ» وكان مقرّه في دكار (عاصمة السنغال). حاول هذا الاتحاد تحسين أوضاع المسلمين في المنطقة، فاهتمّ أساساً بالدين والتّعليم العربيّ الإسلاميّ، كما طالب بإدخال اللغة العربيّة في المدارس الحكوميّة في المنطقة. وقد تفرعت منه الجمعيات الإسلامية الأخرى فيما بعد. ومنذ تلك الفترة نشطت العلاقات العربية الإفريقية وخاصة بعد استقلال جلّ بلدان غرب إفريقيا سنة ١٩٦٠، حيث تمّ هناك اتفاقيات سياسية بين هذه الدول والعالم العربي الإسلامي في المجال السياسي

والاقتصادي والثقافي، وذلك حينما بدأت هذه الدول تعتني بالقضايا العربية والإسلامية، وخاصة القضية الفلسطينية.

ومن الدول العربية التي كانت لها علاقات بدول غرب إفريقيا بعد الاستقلال مباشرة نذكر على سبيل المثال: ليبيا ومصر و الجزائر والمملكة العربية السعودية والكويت.

فبالنّسبة إلى ليبيا فإنّ علاقتها بهذه الدول ترجع إلى سنة ١٩٧٠، حيث حاولت ليبيا منذ تلك السنة ربط علاقات سياسيّة واقتصاديّة وثقافيّة مع عديد من الدول الإفريقيّة الواقعة جنوب الصّحراء الكبرى. وفي سنة ١٩٧٧ أرسلت سفراء إلى بعض من هذه الدول، وكان من ضمنها بوركينا فاسو. كما ساهمت ليبيا في بناء مدارس عربيّة إسلاميّة وأسّست مراكز ثقافية في كثير من مدن غرب إفريقيا فيها قسم للتعليم يتعلم فيها جميع الفئات الاجتماعيّة بمختلف أعمارهم وفي الأوقات التي تناسبهم، على أنّ هذه الدروس تقدّم مجاناً، كما نجد فيها قسماً للتكوين المهنيّ خاصّة للبنات، وقسماً ثالث للمكتبة.

وخلال السنوات الأخيرة أنشأت جمعيّة الدّعوة الإسلاميّة بليبيا مكاتب في جلّ عواصم غرب إفريقيا دورها الإشراف على التّعليم العربيّ الإسلاميّ، حيث وقع انتداب عدد كبير من المتعلمين باللغة العربية وخاصة في مجال الدعوة والتعليم. علاوة على ذلك فإنّ كلّية الدّعوة الإسلاميّة تستقبل أبناء إفريقيا في رحابها وتوظفهم في مجال التّعليم إثر تخرّجهم منها. ويستمر هذا العمل الخيري حتى بعد سقوط حكومة معمر القذافي سنة ٢٠١١ .

وفيما يتعلق بمصر فإنّها أرسلت سفارات إلى هذه الدول بعد استقلالها مباشرة، ومنذ تلك الفترة إلى الآن ما انفكت مصر تُرسل أساتذة أجلاء من الأزهر الشريف إلى المدارس العربية والإسلامية في كثير من هذه الدول الإفريقية، وهم أساتذة في اللغة العربية والعلوم الإسلامية. كما تستقطب مصر عدداً كبيراً من الطلبة الأفارقة في كل سنة إلى يومنا هذا وجلّهم في الأزهر الشريف.

أمّا فيما يتعلق بالمملكة العربيّة السعودية فكانت علاقتها بالدول الإفريقية تركّز أساساً على الحجّ وإرسال منح دراسية لأبناء المسلمين الذين يواصلون دراساتهم الإسلاميّة في المملكة. وأغلب هؤلاء الطلبة يلتحقون بالجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة وجامعة أمّ القرى بمكّة المكرمة وعدد قليل في جامعة آل بن سعود بالرياض. وفي الآونة الأخيرة بعثت السعودية سفارات إلى جلّ دول غرب إفريقيا ممّا يسهل العلاقات الثقافية والدينية. على أنّ جامعات السعودية بدأت تستقبل كلّ سنة عدداً هائلاً من الطلبة الأفارقة في رحاب جامعاتها الجديدة. كما يشجّع بعض فاعلي الخير من السعوديين على فتح كليات إسلامية في إفريقيا الغربية.

وأمّا فيما يتعلّق بالكويت فقد ربطت علاقاتها ببلدان غرب إفريقيا منذ سنة ١٩٧٣ وتتميّز الكويت في علاقاتها بهذه البلدان عن بقيّة الدول العربية، بالتركيز على المجال الاجتماعي والإنساني أكثر من المجال الثقافي

والدينيّ. فلها الفضل في حفر عدد كبير من الآبار في مختلف ولايات الدول الإفريقية لفائدة الشّعب. كما لها عدد كبير جداً من المراكز تكفل الأيتام.

وإذا كانت بقيّة الدول السابقة الذّكر ترى أنّ الوسيلة الوحيدة لنشر الثقافة الإسلاميّة ومنع انتشار الحركة التبشيرية في إفريقيا، هي الابتعاد عن لغة التبشير التي أصبحت بعد الاستقلال اللغة الرّسميّة لهذه الدول، الشيء الذي كلّف الإسلام والمسلمين كثيراً،

فإنّ دولة الكويت رأتْ أنّ الوسيلة هي جعل أبناء المسلمين يشاركون – على الأقل – في تعليم اللغة الرسمية للبلاد وإن كانت لغة التبشير والتنصير، لذلك بدأت تؤسّس مدارس عربيّة فرنسيّة تتساوى فيها حصص اللغة العربيّة باللغة الفرنسية. كما تُدرس في هذه المدارس المناهج الحكومية الرسمية.

وهذا لا يعني أنّ الكويت أهملت الجانب الدينيّ في هذه الدول، فلها مؤسّسة تقوم بالدّعوة في إفريقيا. وهي « لجنة مسلمي إفريقيا » التي تقوم بانتداب دعاة موزعين بين المدن والقرى والأرياف لمهمّة الدعوة إلى الإسلام. وإلى جانب ما ذكرناه سلفاً فإنّ الدول العربية والإسلامية تقوم بمساعدة الدول الإفريقية في بناء المساجد والمدارس، ممّا ساهم في تطوير التعليم الإسلامي في المنطقة، فتطوّر من الكتاب أو الدهاليز إلى مدارس نظامية والتي تطوّرت بدورها إلى كليات وجامعات في كثير من دول المنطقة.

٣ – تطوّر التّعليم العربيّ الإسلاميّ في غرب إفريقيا

كان التّعليم العربيّ الإسلاميّ، منذ دخول الإسلام في إفريقيا الغربيّة، يركّز على الكتّاب أو المدارس القرآنية؛ ومع منتصف القرن العشرين عرفت دول غرب إفريقيا نظاماً آخر من التّعليم الإسلاميّ.

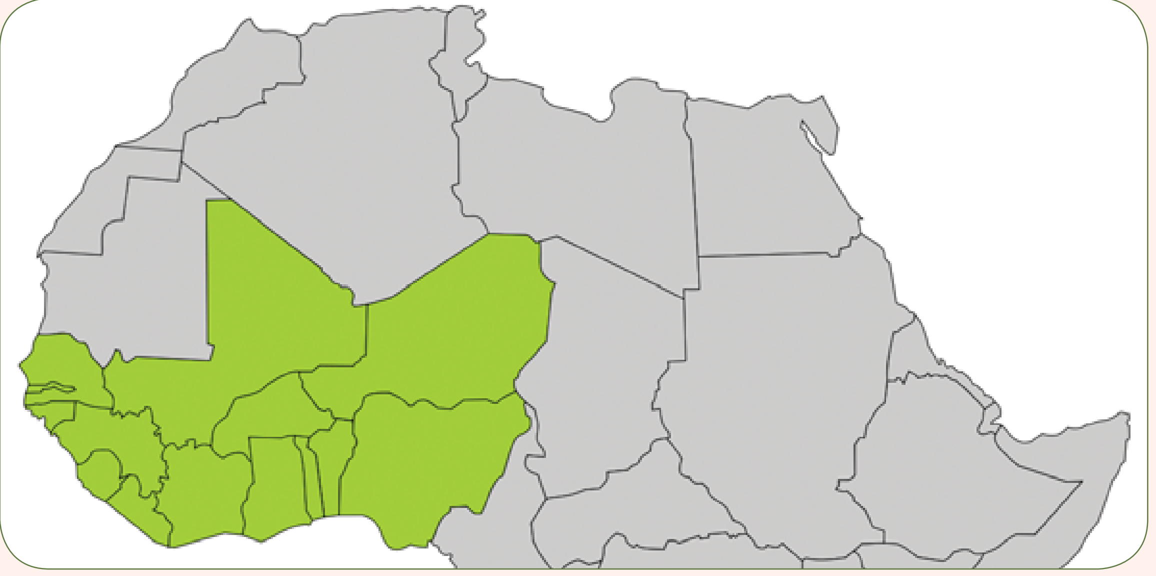
وهذا النّظام الجديد يتمثل في المدارس العربيّة النظامية. وتنقسم هذه المدارس إلى مدارس عربيّة إسلاميّة بحتة و مدارس عربيّة فرنسيّة أو عربيّة إنجليزيّة.

أ_ التّعليم في الكتّاب أو المدارس القرآنية:

ينقسم التّعليم في الكتاب في غرب إفريقيا إلى مرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى: التّعليم الأساسي أو الابتدائي

تُعرف هذه المرحلة بالمدرسة القرآنية أو الكُتَّابِ، و اختصاصها الأساسي تحفيظ القرآن الكريم و تعليم مبادئ الإسلام كالوضوء والصّلاة ومبادئ العربيّة. كما يتعلّم الصبيّ في هذه المرحلة مبادئ القراءة والكتابة، وبعض الفرائض والسنن والمستحبات التي تمكّنه من أداء الصّلاة، و في هذا يقول محمّد الغربي: « و يبدأ دروسه (الصبي) بتعلّم الحروف وحفظ الآيات القرآنية، ثم ينتقل الصبيّ إلى القراءات أو تجويد القرآن، ثم يبدأ في دراسة المتن على شيخه». وتكون أبواب الكتاب مفتوحة لكلّ الأعمار. و من الوسائل المستخدمة



للتحفيظ، اللوح الخشبي والمصحف، حيث يكتب على اللوح بالمواد المحليّة التي تزال كتابتها بالماء لتعاد من جديد، والقلم الذي يكون من القصب أو جريد النخيل.

ويكون المعلّم عادة ممّن يحفظ القرآن الكريم ويجيد كتابته بالرّسم العثماني وبالخط الكوفيّ أو المغربيّ، و غالباً ما يكون ملمّاً بمبادئ الفقه والتّوحيد وحافظاً لبعض الأناشيد والمدائح النّبوية.

المرحلة الثانية: التّعليم الثّانوي

يُقبلُ في هذه المرحلة التلاميذ الذّين أنهوا تعليمهم الأولي. يبدأها التلاميذ بعد معرفة المبادئ الأساسيّة في التّعليم الأساسيّ واستيعاب مجموعة من الدّروس التي تعلّموها. في هذه المرحلة يتصدّى التّلميذ لدراسة متون الكتب المعروفة في المذهب المالكي وغيرها من الكتب اللغويّة والحديثيّة. يقول محمّد الغربيّ:

«وكانت مواد التّدريس أكثر تعقيداً من السّابق».

على أنّ تجاوز أية مرحلة لا يتوقف على سنّ معيّنة، و إنّما ذلك يرتبط باجتهاد الطّالب و ذكائه و نجابته و سرعة إدراكه. و لا يفترض في المعلّم أن يكون عالماً كبيراً، بل يكفي أن يعرف بالحفظ و التفقّه في الكتب التي يدرسها. و قد يباشر المعلّم أو الشيخ التّدريس في ساعات الصّباح الأولى، ثم يتحوّل بعد الغروب إلى حلقة علميّة يحضر فيها درس أحد كبار العلماء. وكانت تحوّلت بعض الكتّاب في تمبكتو إلى جامعات إسلامية يفد إليها طلبة العلم من كل مكان.

وعرفت الكتّاب تراجعاً كبيراً مع الاستعمار الأوروبيّ في غرب إفريقيا، الذي ضيّق فرص التّعليم الإسلاميّ وسدّ أبواب المستقبل أمامه، ممّا نفّر النّاس منه. يقول ميغا هارون المهدي:

«كان من أبرز أهدافه (الاستعمار) مقاومة اللغة العربيّة ومحوها من التّعليم، وقد تحقّق له الكثير بإقصائها إلى حين من الدوائر والمدارس الحكوميّة، لكنّها بقيت صامدة لدى المسلمين يتعلمونها ويتعلمون بها علوم الدّين الإسلاميّ في حلقات المساجد و في كتاتيب تحفيظ القرآن».

ورغم صعوبة الوضع الذي عايشه التّعليم الإسلاميّ في ظلّ الحكم الاستعماري في المنطقة فقد ظلّ ينتشر انتشارا ذاتيّا على كاهل المسلمين، فظهرت بذلك مدارس عربية إسلامية نظامية، وخاصة بعد استقلال هذه البلدان.

ب- المدارس العربيّة الإسلامية النظّامية

يرجع تاريخ تأسيس المدارس العربية الإسلامية النّظامية في غرب إفريقيا إلى فترة تكوين الاتحاد الثقافي الإسلامي في دكار سنة ١٩٥٣، هذا الذي ناضل حتى وُجدتْ أقسام في وزارات التربيّة والتّعليم في المنطقة للإشراف على تعليم العربيّة والإسلامية. ومنذ تلك الفترة عرفت المنطقة نوعين من المدارس:

أحدهما: المدارس الفرنسية العربيّة (Les écoles franco-arabes) أو الإنجليزية العربيّة (English-Arabic School)، ويُقصد بها المدارس التي تجمع في الدراسة بين المنهجين العربيّ بما فيه اللغة العربيّة والمواد الدينيّة، وبين المنهج الحكومي في الفرنسية أو الإنجليزية.

أمّا النّوع الثّاني فهو المدارس الحكوميّة التي تتمّ الدّراسة فيها إمّا باللغة الفرنسية أو الإنجليزية، بينما تكون اللّغة العربيّة اختياريّة. على أنّ التّعليم التّقليدي (الكتّاب) لم يختف بظهور هذه المدارس النظامية، وإنّما بدأ يتقهقر تدريجياً.

وأخذت المدارس العربيّة الإسلامية في غرب إفريقيا تتطوّر منذ بداية الثّمانينات من القرن العشرين، وأصبح الإقبال عليها اليوم يتزايد.

أما من حيث شهادات هذه المدارس فإنّ الحكومات لا تعترف بجلّها. هذا إذا استثنينا بعض الدول كالنيجر ونيجيريا ومالي، حيث تنظم الحكومات امتحانات خاصة لدارسي اللغة العربية والعلوم الإسلامية فيلتحق الناجح منها بالكليات العربية الملحقة بالجامعات المحلية أو يسافر البعض منهم إلى الدول العربية للدراسات الجامعية بنسبة ضئيلة جداً. أمّا مجال توظيف هؤلاء فهو مجال ضيّق جداً، حيث يوظفون في تدريس اللغة العربية في بعض المعاهد الحكومية، أو في بعض مجالات الترجمة في السفارات العربية، وحتى هذا نادر جداً. وعلى الرغم من ذلك فإنّ المسلمين الأفارقة ما انفكوا يفتحون كليات وجامعات عربية إسلامية محليّة بإمكاناتهم الذاتية أو بمساعدة بعض المؤسسات الخيرية في الدول العربية و الإسلامية.

ففي نيجيريا مثلاً نجد جامعات وكليات إسلامية كثيرة محليّة، وفي السنغال وبينين فرع كلية الدعوة الإسلامية بليبيا، وفي مالي إلى جانب قسم اللغة العربية في جامعة باماكو، هناك جامعة طوبى وجامعة السّاحل، وفي بوركينا فاسو جامعة الهدى وكلية التربية والعلوم بواغا ٢٠٠٠، وكلية الشريعة في مدينة بوبو جلاسو.

كما أنّ المؤتمر الإسلامي أسّس في النيجر جامعة إسلامية وهي «الجامعة الإسلامية بالسّاي» يستقطب كافة أبناء دول غرب إفريقيا كل سنة، وذلك بعد إجراء امتحانات خاصة للطلاب الراغبين في الالتحاق بها. هذا بالإضافة إلى الجامعات العربية والإسلامية في الدول العربية والإسلامية التي يدرس فيها الكثير والكثير من أبناء المنطقة.

غير أنّ عدم اعتراف الحكومات المحليّة بشهادات جلّ هذه الجامعات والكليات الإسلامية يشكل مشكلة كبرى لدارسي اللغة العربية والعلوم الإسلامية في غرب إفريقيا، فالخريج من هذه الجامعات يجد نفسه في هامش المجتمع.

يقول هارون المهدي: «تحتلّ مشكلة عدم التوظيف التي يقابلها متعلمو العربيّة مكان الصدارة أمام المشكلات الأخرى، وهي نتيجة للسّياسات الرّسميّة الهادفة إلى تهميش اللغة العربيّة للتقليل من إقبال الناس على تعلّمها، بدعوى أنّ أولئك لا يجيدون اللّغة الفرنسيّة بالشّكل المطلوب».

وهذا ما يسمّى بتجويع حاملي الشّهادات من الجامعات والمعاهد الإسلاميّة. إلاّ أنّ بعضهم بدأ يطالب بحقوقه في ظلّ دساتير تدعو إلى محو الأميّة بأيّ لغة ممّا يقتضي تعدّد الثقافات مع الالتحام الاجتماعيّ، فوصلت أصواتهم إلى حكوماتهم كما حصل في السنغال و نيجيريا وغينيا وغيرهما.

الخلاصة

قد حاولنا في هذه الدراسة أن نقدم للقارئ لمحة عن تاريخ الإسلام في إفريقيا السمراء بصفة عامة، فتحدثنا في **النّقطة الأولى** عن تاريخ انتشار الإسلام في شرق إفريقيا وقيام الممالك الإسلامية فيها. هذه الممالك التي حملت الإسلام إلى كثير من الدول الواقعة في السّاحل الإفريقي، أهمّها:

جمهورية السودان وإريتريا وجيبوتي وإثيوبيا والصومال وأوغندا وكينيا ورواندا وبروندي وتنزانيا وكونغو الديمقراطية وزمبيا وملاويا وموزمبيكا والجزر القمر ومدغسكار.

وحسب إحصائيات ٢٠٠٣ وصل عدد المسلمين في هذه المنطقة الشرقية لإفريقيا إلى مائة (١٠٠) مليون نسمة تقريبا، بنسب متفاوتة. فتقدر نسبة المسلمين في السودان ٨٠٪، وفي إريتريا ٥٠٪، وفي جيبوتي ٩٤٪، وفي إثيوبيا ٤٥٪، وفي الصومال ١٠٠٪، وفي كينيا ١٠٪، وفي أوغندا ١٦٪، وفي رواندا ١٠٪، وفي بروندي ١٪، وفي تنزانيا ٣٥٪، وفي كونغو الديمقراطية ١٠،٤٪ وفي ملاويا ٢٠٪، وفي موزمبيكا ١٨٪ وفي الجزر القمر ٩٩٪ وأخيرا في مدغسكار ٧٪ .

وفي **النقطة الثانية** تناولنا كذلك تاريخ الإسلام وحضارته في منطقة وسط إفريقيا، وقيام الممالك الإسلامية فيها. وتعتبر تشاد أهمّ دولة ورثت هذا التراث الإسلامي في وسط إفريقيا، هذه المنطقة التي كانت همزة وصل بين شمال إفريقيا وغربها. على أنّ نسبة المسلمين في تشاد تصل إلى ٨٥٪ تقريباً، بل إنّها تعتبر كدولة عربية لانتشار الثقافة العربية فيها، واتخذ سكانها اللغة العربية لغة ثقافة وتفاهم، وأكثر من ذلك فإنّ جلّ القبائل التّشادية تعتبر قبائل عربية بحتة. وإلى جانب تشاد فإنّه يمكن اعتبار الكامرون من دول وسط إفريقيا التي تصل نسبة المسلمين فيها إلى ٤٢٪ حسب بعض الإحصائيات.

أمّا في **النقطة الثالثة** والأخيرة، فقد ركّز كلامنا على الإسلام في غرب إفريقيا تاريخاً وواقعاً. فتكلمنا عن ظهور أهمّ الممالك الإسلامية فيها واهتمام ملوكها بالثقافة العربية والإسلامية، فظهرت بذلك مراكز ثقافية هامّة كتمبكتو وجني وغاو، التي لا تزال إلى يومنا هذا منارات للعلوم الإسلامية في المنطقة . كما تحدثنا عن علاقة الإسلام بالاستعمار الأوروبي المسيحي، الذي حاول _ وما يزال _ طمس اللغة العربية والعلوم الإسلامية، لكنّ المسلمين أبوا إلاّ أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، فأنشأوا بذلك مدارس عربية إسلامية، بل أسسوا كليات وجامعات محليّة، معتمدين على إمكاناتهم الذاتية أو بمساعدات المؤسسات الخيرية الخارجية.

و عدد المسلمين في غرب إفريقيا أكثر من ١٩٠ مليون نسمة، فهم ٩٥٪ في كلّ من السنغال ومالي والنيجر، و ٩٠٪ في غامبيا و ٨٥٪ في غينيا كوناكيري، و ٧٥٪ في نيجيريا و ٧٠٪ في سيراليون و٦٥٪ في بوركينا فاسو وبنين، و٪٦٠ في كلّ من كوت ديفوار وتوغو وليبيريا، و ٥٥٪ في غانا و٤٠٪ في غينيا بيساو. وتعتبر هذه النسب تقريبية، لاختلاف الإحصائيات في التعداد.

أسئلة الوحدة الثالثة

ماذا تعلمت ؟

١. لماذا يعد حكم الملك أحمد جران لسلطنة هرر حكماً فريداً بين حكم الملوك السابقين ؟
٢. ما هي أهم المراكز التجارية في شمال إفريقيا التي انطلق منها المسلمون لنشر الإسلام في غرب إفريقيا؟
٣. بماذا اتسمت المملكة الفولانيّة في الفترة الواقعة ما بين (١٨١٧ - ١٨٥٩ م)؟
٤. ما هي أهم مظاهر العمارة الإسلامية في شرق إفريقيا؟
٥. يعدّ أسكيا داود بن أسكيا الحاج محمد من أهمّ ملوك سنغاي بعد أبيه الحاج محمد، بين سبب ذلك؟
٦. لماذا أمر النبي ﷺ الصحابة بالهجرة إلى الحبشة؟
٧. لمن تنسب الأسرة السيفية التي كان لها السبب الرئيس في قيام ممكلة كانم - برنو؟
٨. ما هي أهم الإمارات والسلطنات الإسلامية التي قامت في شرق إفريقيا؟
٩. ما هي أبرز العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في منطقة وسط إفريقيا؟
١٠. بين المسالك التي اختارها الإسلام خلال تغلغله في القارة الإفريقية؟
١١. تتميّز الكويت في علاقاتها ببلدان غرب أفريقيا عن بقيّة الدول العربية، وضح سبب ذلك؟
١٢. ما هي أهم الآثار الثقافية والحضارية للإسلام في الممالك الإسلامية في وسط إفريقيا؟
١٣. تركت رحلة منسا موسى لأداء فريضة الحج صدىً كبيراً في العالم كله، بين سبب ذلك؟
١٤. وضح أهم الأعمال التي قام بها عبد الرحمن بن حبيب في إفريقيا؟

اختر الإجابة الصحيحة ؟

١. مدينة الإسلام هي:
أ. سلطنة هرر .
ب. سلطنة مقديشو.
ج. سلطنة كلوة .
د. إمارة باتا .

٢. قامت في بلاد السودان ممالك إسلامية في الفترة ما بين القرنين:
أ. السابع والثامن عشر الميلاديين .
ب. العاشر والثامن عشر الميلاديين .
ج. السادس والسابع الميلاديين .
د. الثامن والتاسع عشر الميلاديين .

٣. تمّ نقل عاصمة مملكة الوادي عام ١٨٥٠م من (وارا) إلى مدينة « أبشه» في عهد الملك:
أ. عبد الكريم بن جامع .
ب. عبد الكريم صابون.
ج. يعقوب عروس .
د. علي محمد بن شريف .

٤. باني مدرسة ابن رشيق في القاهرة هو:
أ. السلطان جودة .
ب. الملك يعقوب عروس .
ج. السلطان دونامة ابن دابالامي.
د. الملك علي محمد بن شريف .

٥. «اللهم إني أشهدك أن لا مجاز، ولو وجدت مجازًا لجزت» قائل هذه المقولة هو:
أ. عقبة بن نافع .
ب. يزيد بن معاوية .
ج. معاوية بن أبي سفيان.
د. خالد بن الوليد.

٦. دخل الإسلام في عاصمة مملكة غانا «كومبي صالح» منذ القرن:
أ. الثاني للهجرة.
ب. الأول للهجرة وتحديداً سنة ٧٠ هـ .
ج. الثالث للهجرة .
د. الأول للهجرة وتحديداً ٦٠هـ .

٧. عقيدة سكان غرب إفريقيا قبل أن يصل إليها الإسلام:
أ. النصرانية.
ب. الوثنية.
ج. اليهودية.
د. المجوسية.

٨. غزا الأمير رابح بن فضل الله مملكة باقرمي عام:
أ. ١٨٩٠ م.
ب. ١٨٨٨ م.
ج. ١٨٩٢ م.
د. ١٨٩٥ م.

٩. ساد في منطقة غرب إفريقيا مذهب الإمام:

أ. علي بن أبي طالب ﷺ .

ب. عبد الله بن عمر ﷺ .

ج. عبد الله بن عباس ﷺ .

د. الإمام مالك ﷺ .

١٠. أول مملكة إسلامية قامت في غرب إفريقيا هي:

أ. مملكة مالي الإسلامية .

ب. مملكة غانا الإسلامية .

ج. مملكة سونغاي الإسلامية .

د. مملكة الفولانيّة الإسلامية

١١. تقدر نسبة المسلمين في السودان بــــــــ:

أ. ٧٠٪ .

ب. ٦٠٪ .

ج. ٥٥٪ .

د. ٨٠٪.

١٢. غزت مملكة وداي مملكة باقيرمي للمرة الأولى في عهد الملك:

أ. عبد الكريم بن جامع.

ب. يعقوب عروس.

ج. علي محمد بن شريف.

د. عبد الكريم صابون.

١٣. تقع مدرسة سان لويس في:

أ. السنغال.

ب. النيجر.

ج. غانا.

د. فاسو.

١٤. الذي خلف عقبة بن نافع في ولاية إفريقيا هو:

أ. عبد الرحمن بن عفيف.

ب. زُهير بن قيس.

ج. موسى بن نُصير.

د. عمرو بن العاص.

١٥. أقدم الممالك الإسلامية التي تأسست في وسط إفريقيا هي:

أ. باقرمي.

ب. كانم ـ برنو.

ج. وداي.

د. مقديشو.

١٦. ثاني من حجّ من ملوك مملكة مالي هو:

أ. منسا ولي.

ب. منسا سليمان.

ج. منسا موسى.

د. برمندانة.

١٧. انتشر الإسلام في مملكة كانم ـــ برنو في القرن:

أ. الحادي عشر.

ب. الثاني عشر.

ج. الثالث عشر.

د. الرابع عشر.

١٨. آخر مملكة إسلامية قامت في منطقة غرب إفريقيا هي:

أ. مملكة سونغاي الإسلاميّة.

ب. مملكة غانا الإسلامية.

ج. مملكة مالي الإسلاميّة.

د. مملكة الفولانيّة الإسلامية.

؟ املأ الفراغات

املأ الفراغات التالية بما هو مناسب من الكلمات التي بين القوسين:

(البرتغال، بلاد السودان، المصحف، عبد الملك بن مروان، سلطنة كيلوة، الكانوري، أحمد جران، التجارة، الفلاتة، إدريس الونة، معبر سينا، عبد الله بن مالو، مؤتمر برلين، عقبة بن نافع، سني علي بن ضياء، الآلة، عمر بن محمد الأمين الكانمي، اللوح الخشبي، البحر، عبد الكريم المغيلي، دكار (عاصمة السنغال)، العرب، عبد الكريم بن جامع)

١. أول سلطان مسلم لمملكة باقرمي هو: ....

٢. أسس السيرازيون ـــ علي بن الحسن الشيرازي وأبناؤه ـــ سلطنة ....

٣. من أشهر ملوك سلطنة هرر .... و اشتهر بلقب الإمام، وقد تمكن.................... من قتله في سنة ١٥٤٣ م.

٤. أول الفاتحين لمنطقة غرب إفريقيا هو ....

٥. مجدد الإسلام هو العالم: .... الذي انتزع الحكم من أسرة التنجر في مملكة الوداي.

٦. المعبر البري الذي اختاره عمرو بن العاص ﷺ لفتح مصر هو ....

٧. السلطان محمد الشريف من أشهر سلاطين مملكة وداي، وقد هاجم مملكة كانم - برنو في عهد شيخها الشيخ: ....

٨. مؤلف كتاب أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي هو العالم ....

٩. إفريقيا جنوب الصحراء أو إفريقيا السوداء، هذه المنطقة عُرفتْ لدى كُتَّاب العرب المسلمين بِـ ....

١٠. بلغت مملكة «كانم- بورنو»، أوج مجدها في عهد..............................

١١. قامت مملكة باقرمي على قبائل .... و.............................. و..............................

١٢. أطلق العلماء على علوم اللغة العربية في منطقة وسط أفريقيا علوم ....

١٣. أسس المسلمون إمارة باتا في فترة حكم الخليفة ....

١٤. مقرّ الاتحاد الثقافي الإسلاميّ هو..............................

١٥. اهتم المسلمون في منطقة شرق إفريقيا بِـ .... ونقل المحاصيل عن طريق ....

١٦. قام الملك .... بتأسيس مملكة سونغاي الإسلامية.

١٧. تمكّنت القوى الأوروبية من احتلال إفريقيا الغربيّة بعد عقد:..............................

١٨. من الوسائل المستخدمة في التعليم في الكتاتيب في غرب إفريقيا: ....و....................

؟ اختبر معلوماتك

ضع حرف «ص» على المعلومات الصحيحة وحرف«خ» على المعلومات الخاطئة فيما يلي:

١	تعتبر الهجرة إلى الحبشة أول هجرة تخرج فيها جموع من أصحاب رسول الله إلى شرق إفريقيا .	
٢	أسست مجموعة من قبيلة بني الحارث سلطنة مقديشو .	
٣	الإسلام لم يعرف انتشارا واسعا في القارة الإفريقيّة إلاّ بعد الهجرة النّبويّة إلى المدينة المنوّرة .	
٤	بدأ تاريخ سونغاي في الوضوح منذ القرن الثامن الميلادي، وذلك مع أسرة الأزواء .	
٥	بنى أهل كانم مدرسة للشافعية بالفسطاط ينزل بها وفودهم .	
٦	التّعليم التّقليدي (الكتّاب) لم يختف بظهور المدارس النظامية .	
٧	كانت أغلب المدن في شرق إفريقيا مدنا إسلامية صرفة .	
٨	مراقبة الإسلام تعني في الدرجة الأولى مراقبة الشخصيات الإسلاميّة.	
٩	يحتل الدين الإسلامي المرتبة الثالثة في منطقة غرب إفريقيا في وقتنا الحاضر.	
١٠	سقطت سلطنة كلوة على يد البرتغاليين سنة ١٤٩٩م .	



الوحدة الرابعة

الأتراك والإسلام



موضوعات الوحدة

- العلاقات التركية العربية.
- اعتناق الأتراك الإسلام.
- خدمات الأتراك في العالم الإسلامي.
- دولة السلاجقة العظمى.
- الحملات الصليبية.

تمهيد

١. نجمع معلومات بخصوص الولايات التركية بعد وصول دين الإسلام.
٢. نجمع معلومات عن كيفية مواجهة الأتراك للإسلام.
٣. ماذا تعرفون عن «الحملات الصليبية»؟ .
٤. نتذاكر مع بعض الخدمات التي قدمها الأتراك للإسلام.

أ. العلاقات التركية العربية:

إن اعتناق الأتراك للإسلام بقدر ما يعد حدثاً كبيراً في التاريخ التركي والإسلامي فإنه كذلك أيضاً حدث مهم في التاريخ العالمي.

لقد قَبِل الأتراك الإسلام بعد فترة تعرفٌ طويلة، حيث إنّ أولى الاتصالات بين المسلمين والأتراك إنما حصلت بعد الانتهاء من فتح خراسان في أعقاب معركة نهاوند سنة ٦٤٢، وقد واجه المسلمون الأتراكَ في خراسان وبالأخص بلاد ما وراء النهر والقفقاز، ونتيجة الفتوحات المتلاحقة عمد عبيد الله بن زياد والي معاوية بن أبي سفيان على خراسان إلى محاصرة بخارى إحدى مدن بلاد ما وراء النهر في سنة ٥٤/ ٦٧٤ بعدما اجتاز نهر جيحون الذي يشكّل حدوداً بين إيران وطورون، وقد فتحت منطقة ما وراء النهر التي تحكمها الإمارات التركية المستقلة بشكل جزئي خلال ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان ما بين (٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٥م).

إن الصدامات التي بدأت في عهد عبد الملك بن مروان بين الأتراك والعرب أدت إلى انهيار الأمويين وتأسيس الدولة العباسية مكانها، كما وتسبّب بدخول الأتراك الإسلام عن رضاً ورغبة منهم بعيداً عن حدّ السيف، إن إنقاذ آل الرسول وآل سلجوق وبما في ذلك آل عثمان للحضارة الإسلامية ونهوضهم بها وإحيائهم لها يشكل محور ولادة الحضارة الأوروبية والسياسة العالمية، مع استمرار تأثيرها الوطني إلى وقتنا الحاضر في تاريخ العالم.

لقد زاد تعامل الأمويين غير العادل لغير العرب من المسلمين من حدّة الاضطراب، مما أسفر في نهاية المطاف عن نجاح المعارضين في القضاء على الدولة الأموية، وتأسيس الخلافة العباسية عوضاً عنها (٧٥٠)، واعتمد الأتراك على الدولة العباسية أكثر، وأبدوا الترحيب بالإدارة الجديدة.

طلب بعض أمراء الأتراك من الصينيين العون ضد العدو في الفترة التي كانت تتواصل فيها الحروب بين العرب والأتراك، فسارت الصين نحو الغرب بجيش عظيم في ١٢٩/ ٧٤٧ مغتنمة الفرصة لفرض هيمنتها على تركستان إلا أن الكارلوكيين بعثوا إلى والي خراسان أبا مسلم يطلبون المساعدة، بسبب موقف الصينين الصارم وخاصةً بشأن قتل حاكم طشقند باغاتور طودون (Bagatur Tudun)، فأرسل أبو مسلم إلى المنطقة أحد قادته زياد بن صالح، فالتقى جيش العرب وجيش الصين بقيادة الوالي العام للمنطقة الغربية بطول ساحل نهر طلاس، فلحق الصينين هزيمةٌ نكراء نتيجة هجوم الأتراك إلى جانب جيش الإسلام (٧٥١).

ساهمت معركة طلاس في تعرّف المسلمين والأتراك على بعضهم البعض من قريب، وإنشاء علاقات حميمية وُدِّية فيما بينهم، ولذا تعد معركة طلاس نقطة تحول للأتراك والمسلمين في آنٍ واحد، كما وبدأ الإسلام

بالانتشار السريع بين الأتراك نتيجة لهذه المعركة، فتمّ تعيين الكثير من الأتراك في الجيش العباسي، ومع مرور الوقت فرض الجنود الأتراك سيطرتهم على الجيش والسلطة، حتى إن بعض القادة الأتراك قاموا بتأسيس دولتهم الخاصة بهم ضمن حدود الدولة العباسية.

ثم إنه بانتهاء معركة طلاس بنصر مؤزر تمت الحيلولة دون دخول آسيا الوسطى تحت سلطة الصين، وقد بدأ الأتراك بعد هذه المعركة باعتناق الدين الإسلامي أرسالاً وجماعاتٍ، كما وتم تعلم تقنية صنع الورق من الصينين.

وقد تسارعت حركة دخول الأتراك الإسلام بصور جماعية بالأخص في القرن العاشر، وقد كان ثمة اهتمام كبير بالإسلام من قبل أتراك بلغاريا المتواجدين حول الفولغا (Volga) (İdil)، وقد طلب حاكم بلغار الفولغا آلميش خان إلى الخليفة العباسي من خلال **müracaat ederek**، إرسال العلماء والصناع في تاريخ ٩٢٠، وفي التاريخ نفسه انتشر الإسلام على امتداد الكارلوك والياغما وجيغيل، ومن ثمّ بين الأوغوزيين، وقد أسس أتراك كارلوك وياغما وجيغيل دولة قاراخان أول دولة تركية مسلمة، وأما الأوغوزيون فقد أسسوا الدولة السلجوقية.

أسس أتراك كارلوك وياغما وجيغيل دولة قاراخان أول دولة تركية مسلمة.

ب. دخول الأتراك في الإسلام:

أسفر السلوك والموقف العباسي عن اعتناق الأتراك الإسلامَ بصورة جماعية، وأما القاراخانيون الحاكمون في تركستان فقد أضحوا دولة تركية قبلت الإسلام، وكان حاكمهم عبد الكريم ساتوك بوغرا خان، وفي هذا القرن اختار الكثير من الأتراك الدخول في الإسلام بجموعٍ غفيرةٍ.

وفي القرن العاشر كان الأغوزيون مؤسسو الدولة العظيمة قد اعتنقوا الإسلام، وفي بداية القرن العاشر أيضاً كان بلغار الفولغا قد اختاروا الإسلام، وبحلول القرن الخامس عشر كان الأتراك القاطنين في المناطق الممتدة من الصين شرقاً وحتى البلقان غرباً قد اعتنقت غالبيتهم الإسلام أيضاً.

إن اعتناق الأتراك للإسلام ولعبَهم دوراً نشطاً بين الدول الإسلامية منذ القرن الحادي عشر يشكل حلقة هامة في تاريخ الإسلام فيما بعد هذا القرن، ثم إن دولتي القاراخانيين (٨٤٠ ـ ١٢١٢) والغزنويين (٩٦٧ـ ١١٨٧) والتي تعتبر كل واحدة منها دولة تركية مسلمة، حكمتا وبسطتا سلطتيهما في المساحات الممتدة من آرال بحر قزوين البصرة غرباً وحتى تركستان الشرقية شرقاً والمحيط الهندي جنوباً.

ومع بداية القرن العاشر بدأت قوة العباسيين تتضاءل تدريجياً، ودخل العالم الإسلامي مرحلة التفكك من الناحية السياسية، ولم يتبق للخلفاء العباسيين سلطة خارج بغداد، وفي عام ٩٤٥ عمد البويهيون الذين احتلوا

بغداد إلى الضغط على الخليفة العباسي، حتى جاء طغرل بك وخلّص الخليفة من أيدي البويهيين، وبذلك انتقلت مهمة حفظ العالم الإسلامي إلى السلاجقة.

ففي النصف الأول للقرن الحادي عشر أسس السلاجقة – الذين بدأوا يكوّنون قوةً سياسيةً – إحدى أهم دول عصرهم التي امتدت في خراسان والشرق الأوسط والأناضول، وساهموا في انتشار الحضارة الإسلامية في الهند شرقاً وداخل أوروبا غرباً.

وفي فترة السلاجقة تطورت المؤسسات التربوية والتعليمية تطوراً كبيراً، حيث تم الاعتناء والاهتمام بتطوير ونشر أنشطة التربية والتعليم في عهد السلطان السلجوقي ألب أرسلان، وأنشئت أول مدرسة في العالم الإسلامي من قبل نظام الملك وزير ألب أرسلان في بغداد عام ١٠٦٦، وأضحت المدرسة النظامية والتي أخذت اسمها من مؤسسها أضحت نموذجاً للمدارس التي كثرت فيما بعد.

وفي زمن ألب أرسلان أحد سلاطنة الدولة السلجوقية، فتحت الأناضول أبوابها أمام المسلمين، وبمعركة ملاذ كرد سنة (١٠١٧) أنهى الأتراك سيطرة البيزنطيين، ووقع الامبراطور البيزنطي أسيراً في هذه المعركة، ودافعت إيزنيك عاصمة دولة الأناضول السلجوقية بعد هذه المعركة عن العالم الإسلامي سنوات طويلة ضد الحملات الصليبية.

> في زمن ألب أرسلان أحد سلاطنة الدولة السلجوقية، فتحت الأناضول أبوابها أمام المسلمين

وظهر المسلمون على مسرح التاريخ مجدداً من خلال الدولة العثمانية المؤسسة سنة ١٢٩٩، وانتشر الإسلام إلى القارات الثلاث، وبانتقال الخلافة إلى العثمانيين عادت الوحدة مجدداً إلى العالم الإسلامي لتستمر ستمائة عام.

قبول الأتراك للإسلام وخدماتهم التي قدموها للدولة الإسلامية:

معركة طلاس (٧٥١) (العرب ـ الصينيون): خاض الصينيون السائرون من الشرق إلى الغرب حرباً مع المسلمين المتوجهين من آسيا الوسطى إلى الشرق على ضفة نهر طلاس، وقد انضم أتراك الكارلوك والياغما الرافضين للدخول تحت هيمنة الصين للمسلمين وساهموا في انتصارهم على الصينين.

ج. الخدمات التي قدمها الأتراك للعالم الإسلامي:

بدأت فعالية الأتراك ابتداءً من عهد العباسيين بالازدياد، وكان «المنصور» أول خليفة عباسي قد وظّف الأتراك في خدمة الدولة، كما كان حرس القصر في عهد هارون الرشيد من الأتراك، وقد تمّ تولية الأتراك على مدى الحدود البيزنطية، كما زادت أنشطة الأتراك العسكرية في عهدي المأمون والمعتصم، وفي زمن المعتصم

أنشئت مدينة سامراء للأتراك، ثم إن تمرّد بابك الخرمي الذي بدأ في أذربيجان وبات يهدد الدولة (العباسية) تم قمعه بفضل جهود القادة الأتراك زمن المعتصم، إلى جانب أن السلاجقة الكبار أنقذوا الخليفة العباسية من ضغط البويهيين.

وكان الأتراك أيضا هم من دافعوا وحموا العالم الإسلامي من البيزنطيين والحملات الصليبية غرباً، وخطر المغول شرقاً، إلى جانب أنهم نشروا الدين الإسلامي في الغرب والشرق عن طريق الدول التي أسّسوها في شتى البقاع، وأسهموا كذلك إسهاماً كبيراً في تطوّر الحضارة الإسلامية، ويعدّ كلٌّ من الفارابي وابن سينا والبيروني والخوارزمي وغيرهم من العلماء الأتراك ذوي الأهمية البالغة في مسيرة الحضارة الإسلامية وتطورها، حيث إنهم ساهموا في نموّ العالم الإسلامي وتقدمه من ناحية التربية والتعليم، كما أن المدرسة النظامية ساهمت في تطور الفن الإسلامي وانتشاره، وبإيجاز فإن الأتراك ساهموا في انتشار الإسلام من خلال حمايتهم له من كل أنواع المخاطر الداخلية والخارجية، وزودا العالم الإسلامي برجال دولة وعلماء وفنانين لهم أهميتهم ومكانتهم .

انهارت دولة غوكتورك سنة ٧٤٤، وأبدت الصين رغبتها في احتلال تركستان، ولم تكن دولة الإيغور – حديثة التأسيس – جاهزة بعد لإيقاف الغزو الصيني، إذ إن الصين التي سارت بجيوش عظيمة حاصرت العالم التركي من الجهة الشرقية، فطلب الأتراك المساعدة من العباسيين الذين أظهروا موقفاً متسامحاً معهم، ضد هيمنة الصين عدوتها القديمة. فسيَّر والي خراسان أبو مسلم القوات التي أمّر عليها زياد بن صالح، وانضمت القوات التركية المتمركزة في تلك المناطق إلى هذا الجيش.

وفي (٧٥١) التقى الجيشان على ضفاف نهر طلاس، وعمد القارتوقيون(Kartuk) المنضمين إلى جيش الصين سابقاً إلى تغيير صفهم في المعركة وقد رأوا إخوانهم إلى جانب العباسيين، ونشبت معركة ضارية جداً، انهزم فيها الجيش الصيني، وأضحت طموحات الصين في تركستان الغربية في مهبّ الريح.

وبعدها حدث تقارب بين الأتراك والعرب المتشاركين في المصير نفسه في طلاس، وهذا التقارب زاد كثيرا في زمن الخليفتين المأمون والمعتصم، إضافة إلى أن المعتصم الذي أنشأ للأتراك مدينة سامراء اعتنى بمسألة إبعادهم عن خلافات الحكم العباسية، وعدم اندماجهم بهم.

وقد حقق جيش «الخاصة» المكوّن من الأتراك، العديدَ من الغزوات في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، لقد كان البيزنطيون حتى أواسط القرن التاسع متراجعين أمام العباسيين المتحدين و الذين يملكون الجيوش التركية الموضوعة على الحدود.

ثم إنّ التقارب الذي أظهره العباسيون للأتراك والاهتمام الذي لاقوه منهم يسَّر اعتناقهم هذا الدين من خلال تعرفهم على الإسلام، وقد تديَّن الأتراك بأديان متنوعة على مدى التاريخ، غير أنّ هذه الأديان لاقت القبول والرضا من قبل القطاع الإداري أكثر مما لاقته من العامة، ومع ذلك فقد عجز الذين دخلوا في الأديان الأخرى غير الإسلام عن صيانة كونهم أتراك.

وقد وَلّد قبول الأتراك الإسلام ودخولهم فيه نتائج كبيرة في التاريخ الإسلامي، وتاريخ العالم أيضاً، حيث حَمَل الأتراك على عاتقهم مسؤولية حماية العالم الإسلامي الواقع في حالةٍ من يرثى لها من الفوضى، وحمى السلاجقة الخلافة العباسية.

ثم إنه تم تشكيل سدٍّ من قبل الأتراك أمام الحملات الصليبية من الغرب، والهجمات المغولية من الشرق، وبهذا أنقذ العالم الإسلامي من التفكك، وبقي الأتراك حاملين راية الإسلام فترة من الزمن تقدّر بحوالي ألف سنة.

بلغ الإسلام الهند نتيجة الأسفار التي قام بها محمود الغزنوي حتى الهند، وبهذا وُضِعَ حجر الأساس لباكستان وبنغلادش اللتان أُسِّسَتا في فترة قريبة، وأما في الفترة العثمانية فقد استقر الأتراك في البلقان، وفي الفترة نفسها دخل الأرناؤوطيون (الألبان) والبوسنيون في الإسلام.

ولم تقتصر الخدمات التي قدمها الأتراك للإسلام على الميدان السياسي والعسكري فحسب، بل ساهم الأتراك - الذين أثّروا في العالم الإسلامي بأجمعه في إدارة الدولة والهيكلة العسكرية - في خدمات جليلة في تطوير الحضارة الإسلامية، ثم إن النهضة الإسلامية في ميادين العلم والفن والأدب إنما تحققت بفضل إسهامات الأتراك، وتأمينهم للسلم والأمن الداخلي، وبالتالي فقد كان للأتراك فضل في انتشار الدين الإسلامي، وبلوغه جميع أنحاء العالم.

على سبيل المثال تمتعت المدارس النظامية المؤسّسة في بغداد من قِبل الوزير السلجوقي نظام الملك بسمعة كبيرة، جعلتها تُعتَبر الأنموذج الأول للمدارس الإسلامية، مع أن المدارس كانت معروفة في عهد بني السامان والغزنويين، إلا أن مدارس النظامية إلى جانب كونها أول المدارس من حيث تعليمها للعلوم التطبيقية والعملية إلى جانب الدينية فقد كانت لها الريادة للجامعات الحديثة.

هذا وقد بلغت تراجم الآثار والتيارات الفلسفية التي تخصّ حضارة اليونان القديمة ذروتها في فترة حاكمية الأتراك، وبهذا حدثت تطورات كثيرة في الحضارة الإسلامية، حيث نُقلت الحضارة اليونانية والهيلينية المنسية في الغرب مع الحضارة الإسلامية وبفضل الحملات الصليبية إلى أوروبا مجدداً، كما أنّ العلماء الأتراك الذين غدوا بمثابة روّاد الحضارة الإسلامية كانوا معروفين في العالم كله وغدت آثارهم نموذجاً مرشداً للعلم على مدى مئات السنين، وأشهر هؤلاء العلماء الفاربي والبيروني وابن سينا.

الفارابي الذي ولد في مدينة فاراب في تركستان سنة (٨٧٠ـ ٩٥٠)، وصنّف ١٦٠ أثراً في الحساب والفيزياء والفلك وأشباهها، غير أن الأصل فيما جعله يتمتع بأهمية بالغة دراساته في ميدان الفلسفة والتي مزجت الفكر الإسلامي بالوجهة العقلية والمدعّمة بالمنطق للفلسفة الهيلينية، وقد عرف بلقب «المعلم الثاني» لأنه الشخص الأحسن توضيحاً لأفكار أرسطو. ويعرف لدى الغرب باسم «Albunaser» «Alfarabıus»، حيث ترجمت الكثير من آثاره إلى اللاتينية، ثم إن الفاربي الذي كان أول من صنف العلوم بأثره «إحصاء العلوم»، أوضح الهندسة الإقليدية أيضاً.

الفارابي: عرف بلقب «المعلم الثاني» لأنه الشخص الأحسن توضيحاً لأفكار أرسطو.

ويعد ابن سينا (٩٨٠ ـ ١٠٣٧) المتأثر بأفكار الفارابي، العالِمُ التركي الآخر الذي قدَّم ٢٢٠ ما يقارب أثراً في شتى الموضوعات. ويعرف في أوروبا باسم «Avicenna»، ثم إن ابن سينا المشتغل بالفلسفة والعلوم التطبيقية إنما اكتسب شهرته في الطب، وقد ترجم أثره المسمى ب «القانون في الطب» إلى اللاتينية، ودُرِّسَ باعتباره مرجعا مهما لمئات السنين.

ابن سينا: ترجم كتابه «القانون في الطب» إلى اللاتينية، ودُرِّسَ باعتباره مرجعا مهما لمئات السنين.

البيروني (٩٧٣ ـ ١٠٥١)، نشأ في قصر الخوارزم شاه ولجأ إلى حماية محمود الغزنوي، وأما الفرع الذي أبدع فيه البيروني إلى جانب تقديمه ١١٣ أثراً في ميادين الحساب والهندسة والطب والجغرافيا فقد كان الفلك، وطوّر آلات دقيقة لمقياس ارتفاع النجوم وزواياها، وقدّر قطر نواة الأرض ب٦٣٣٨,٨ كم بخطأ يبلغ ١٥ كيلومتر فقط، واعتُبِر مصنفه الذي كتبه في علم الفلك أول موسوعة فلكية في العالم.

البيروني: اعتُبِر مصنفه الذي كتبه في علم الفلك أول موسوعة فلكية في العالم.

تقدم الكثيرون من العلماء الأتراك في الطريق التي مهدها الفارابي وابن سينا، ثم إن أول ما يخطر في البال من الذين برعوا في الفلسفة الخوارزمي والشهرستاني والغزالي وفخر الدين الرازي، وفي الهندسة عبد الرزاق التركي، ومن مؤسسي حساب المثلثات عبد الله الباراني.

وقد وظّف السلطان السلجوقي ملك شاه عمرَ الخيام عالم الرياضيات والفلك الإيراني الشهير، على مرصدين في أصفهان وبغداد كان قد أمر بإنشائها، كما وعمد بعض العلماء وفيهم عمر الخيام إلى إعداد تقويم يعرف باسم تقويم الجلالي أو الملك شاه المعتمد على السنة الشمسية.

كما يمكن ملاحظة تقدم كبير على الساحة الفنية والمعمارية في زمن الدولة التركية المسلمة، ومن أبرز أمثلة الهندسة المعمارية الدالة على الثّقافة الإسلامية التركية والمتطورة وفق حياتها الاجتماعية، الجامع والمدرسة والخان والبيمارستان ودار الشفاء (المستشفى) وأشباهها، ثم إن جامع طولونية أول مثال على العمارة الإسلامية التركية، حيث أُسس في القاهرة من قِبل أحمد بن طولون ولا يزال محافظاً على روعته حتى يومنا هذا.

جامع طولونية: أول مثال على العمارة الإسلامية التركية، حيث أُسس في القاهرة من قِبل أحمد بن طولون.

ثم إنه أوجدت لأول مرة في فن العمارة الإسلامية أشكال وتصاميم فريدة للقباب والأقواس والأعمدة المطورة من قبل الأتراك والتي انعكست من النمط المعيشي لآسيا الوسطى وثقافة الخيم، ويمكن ملاحظة الأسلوب المعماري التركي بوضوح في مبانٍ كالتكية والمزار والجامع والمدرسة.

لقد قدم الأتراك نماذج فريدة في ميادين الفنون كالخط والخزف والبلاط والمنمنمات، والحِرَف كالسيراميك والنسيج والحجر والمعدن وأشباهها، كما أنهم واصلوا في فنّ النحت والرسوم النافرة مع عدم مناسبتها للمفهوم الإسلامي، على سبيل المثال تم استخدام أشكال الحيوانات في الكثير من الأبنية، وقد أمر السلطان طغرل بوضع صورة نافرة له على الميدالية التي أمر بصنعها.

وابتكر الأتراك ما هو جديد في مجال الموسيقا أيضاً، فكتب الفارابي مصنفين في الموسيقا، وقد سجلت هذه في تاريخ الموسيقا العالمية، وهو أول من وضع خصائص المراتب الصوتية من خلال بحثه في كتابه عن الأسس الفيزيائية للصوت والموسيقا، وقد أصبحت الفرق الموسيقية (bando) التي في القصور نموذجاً لفرقة المراسم العسكرية العثمانية، إضافة إلى أن الغناء والرقص الذي تقوم به بعض الطوائف الدينية يشكّل جوهر الموسيقا الصوفية التركية وفرقة المولوية .

ويمكننا ترتيب الولايات التركية المسلمة على النحو التالي:

١. **بني طولون** (٨٦٨ ـ ٩٠٥): تعد أول دولة تركية، أسسها أحمد بن طولون والي العباسيين على مصر، وقد أنشئت في الفسطاط (القاهرة القديمة)، وسقطت من قبل العباسيين نتيجة الاضطرابات الداخلية.

٢. **الإخشيديون** (٩٣٥ ـ ٩٦٩): أسسها محمد بن طغج الذي كُلِّف بولاية مصر لمرتين أثناء ولايته الثانية، وهي الدولة التركية الإسلامية الثانية التي أنشئت في مصر، وكان الفاطميون وراء سقوطها، ثم إن متولّي إدارة بني طولون والإخشيديين هم من الأتراك وكذا جيشهما وأما العامة والرعية فمن العرب.

٣. **القاراخانيون** (٨٤٠ ـ ١٢١٢): مركزها في بالاسغون، وأما أول حكامها المعروفين فالخان بِيْلْغَه كُول قَدِر، وتنبع أهميتها أنها أول دولة تركية إسلامية، أسّس أتراك الكارلوك والياغما وجِيغِيل دولة قاراخان. وقد كانوا بدأوا بقبول الإسلام في عهد ساتوك بوغرا خان.

ولما قبلوا الإسلام سمّوا أنفسهم باسم «عبد الكريم»، امتلكوا منطقة ما وراء النهر بإنهائهم دولة بني سامان، ولما جاوروا دولة الغزنويين بدأوا بمحاربتهم (الاقتتال في سبيل توسيع الحدود).

وكان أكثر عهودهم ازدهاراً زمن يوسف قدر خان، ولكن بعد وفاته أضعفت النزاعاتُ على العرش والمجادلة ضد الغزنويين الدولةَ، فانقسموا قسمين شرقية وغربية، وأضحت مدينة كشغر مركز القسم الشرقي وسمرقند مركز القسم الغربي، وأما القضاء على القاراخانيين الشرقيين فكان من طرف قاراهيطال

(Karahıtayl) وأما القضاء على الغربيين فكان على يد الخوارزميين، وكانوا على الرغم من قبولهم الإسلام محافظين على تقاليدهم الخاصة.

٤. **الغزنويون (٩٦٣ـ١١٨٧)**: مركزها غَزْنَة (أفغانستان الشرقية)، ومؤسسها ألب تكين بنو سامان، كان القاراخانيون قد تقاتلوا والسلجوقيين، وقضى الغزنويون أكثر زمنهم ازدهاراً في عهد السلطان محمود، سافر محمود الغزنوي الذي كان أول حاكم استخدم لقب السلطان إلى الهند ١٧ مرة، وساهم في دخول الإسلام إلى مناطقها الشمالية، وقد خسروا معارك Nesa (١٠٣٥) ودانداقان (١٠٤٠) وسراخس (١٠٣٨) التي خاضوها مع السلاجقة، حيث وَهِنوا عقب معركة داندقان خاصة، ودخلوا مرحلة الانهيار، وأما القضاء على الغزنويين فكان على يد «الغور» من الأفغان المحليين.

٥. يعتبر السلاجقة الكبار والدول المرتبطة (الأوغوزيون) أكثر الأتراك اكتظاظاً، وهم اليد التي لعبت الدور الأكثر أهمية في التاريخ، وأطلق العرب على الأوغوز اسم غُوزْ والبيزنطيون اسم أُوزْ والروس اسم تُورك، وبعد إسلامهم سموا «بالتركمان»، انقسم الأوغوز باعتبار البوزوك والأوجوك إلى فرعين، وهذين الفرعين باعتبارهما (البوزوك) ييلدزهان ـ آيهان ـ غونهان، و(الأوجوك) دنيزهان ـ داغهان ـ غوكهان، إلى ٦ عوائل، والعوائل كل واحدة منها إلى أربع قبائل (يغدو المجموع ٢٤ قبيلة).

د. دولة السلاجقة العظمى (١٠٤٠ ـ ١١٥٧):

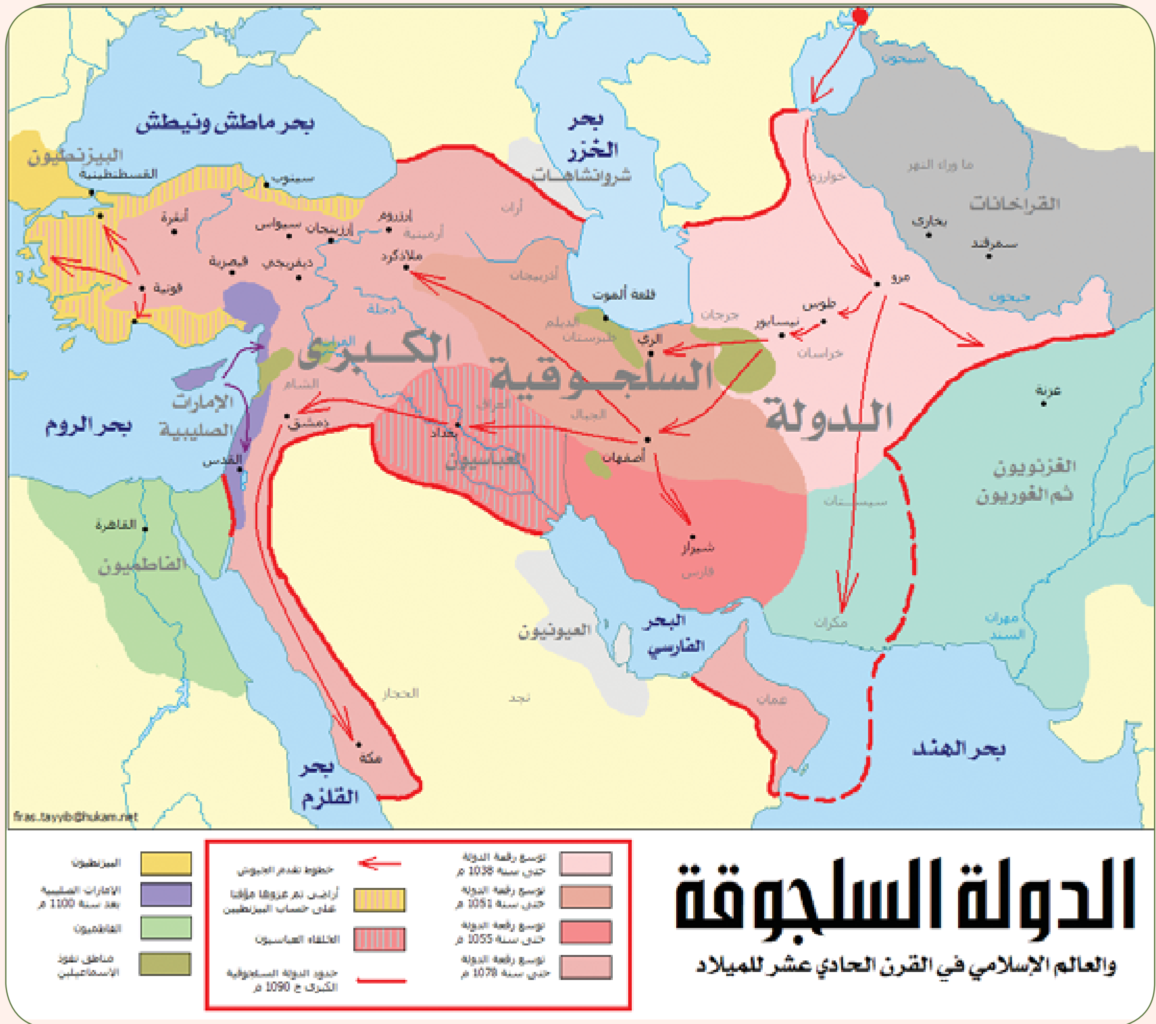
تعتبر دولة السلاجقة العظمى الدولة الأهمّ بين الدول التركية الإسلامية، وقد احتلّت مكانها على لما لعبته من أدواراً هامة في التاريخ الإسلامي من خلال حفاظها على مقام الخليفة، ومقاومتها الحملات الصليبية، ونشر الإسلام في الأناضول وإبعاد البيزنطيين عنها.

١. تأسيسه:

تم تأسيس الدولة من قبل أتراك الأوغوز، وفي أواخر القرن العاشر قبل الأوغوز الإسلام، وكان سلجوق الجدُّ الأول للدولة قائداً في دولة أوغوز يابغو التركية، وقد هرب إلى مدينة سنت إثر نزاعه مع (يابغو) حاكم الأوغوز، وهناك اعتنق الإسلام وقام بتوسيع رقعة حاكميته، وكان حينها السامانيون والقاراخانيون والغزنويون هي الدولَ القوية في المنطقة.

عمد السلاجقة بادئ الأمر إلى التعاون مع السامانيين عن طريق الدفاع عن حدودهم، غير أنه لما قضى القاراخانيون على السامانيين بقي السلاجقة في موقف صعب مع الغزنويين.

وبعد وفاة سلجوق تولى أرسلان يابغو ومِن بعده الأخوان طغرل وجاغري بيك رئاسة الأوغوز، وقد انقضى زمانهم بالمعارك التي خاضوها مع الغزنويين، كما تم الاستيلاء على مرو ونيسابور وسرخس في خراسان،



واضطر السلطان مسعود الحاكم الغزنوي للاعتراف بالسلاجقة كقوة، وسلَّم السيدين طغرل وجاغري ولاية المناطق التي انتشروا فيها، لكن الصراع لم يتوقف، لأنه كان ما مِن بُدٍّ من إيجاد السيدان طغرل وجاغري مدن سكنية لمئات الآلاف من التركمان الرحَّل.

٢. معركة دانداقان (١٠٤٠):

السبب الأصلي لهذه المعركة هو قيام طغرل بيك بالتصرف كرئيس للدولة من خلال أمْره بالخطبة باسمه، وغاراته المتواصلة على الأراضي الغزنوية .

ولما كان السلاجقة هم من حقق النصر في هذه المعركة فقد اعتبرت هذه المعركة تأسيساً للدولة السلجوقية رسميا، وبداية لانهيار الدولة الغزنوية، ثم إنه تم البيان في المجلس المنعقد برئاسة طغرل بيك والذي يجتمع فيه القادة عن المناطق التي يوكل فتحها لهم.

فأخذ طغرل بيك على عاتقه مسؤولية إدارة جميع المناطق الغربية ابتداء من نيسابور وبما فيها العاصمة مرو، وأما جاغري بيك فقد كان عليه أن يتولى إدارة البقاع الممتدة ما بين جيحون وغزنة، فاتسعت حدود الدولة بالفتوح المتحققة في مدة قصيرة عقب تقسيم المهام، وتم البدء بشن هجمات منتظمة على الأناضول.

الأسباب التي أدت إلى نشوب معركة دانداقان:
- تسلط طغرل بيك على الدولة.
- ضعف الغزنويون.

٣. اكتساب دولة السلاجقة العظمى القوة:

التقى الأتراك والبيزنطيون وجهاً لوجه لأول مرة بالقرب من أرضروم (١٠٤٨)، ولقد أسفرت الحملات التي شنها الأتراك على البيزنطيين في الأناضول عن مواجهات حامية بين الطرفين انتهت بهزيمة البيزنطيين.

وقدم طغرل بك إلى بغداد بدعوة من الخليفة العباسي، لأن البويهيين شيعيّي الأصل كانوا قد استولوا على بغداد وحدّوا من صلاحيات الخليفة، فأخرج طغرل بك البويهيين من بغداد (١٠٥٥).

وقضى على هذه الدولة بعد فترة قصيرة، ولم يكتف الخليفة العباسي بإطلاق يد طغرل بك في المناطق الشرقية و الغربية للدولة بل زوّجه ابنته أيضاً، وغدا السلاجقة بعد هذه التطورات زعماء العالم الإسلامي.

ولما توفي طغرل بك في ١٠٦٣ استلم الحكم ألب أرسلان ابن جاغري بك لأن طغرل بك لم يعقب بعده ولدا، فقام أولاً بأمن منافسة منافسيه على السلطة حيث أبعدهم، ومن ثَمَّ توجه نحو الغرب وبدأ بالفتوح، حتى لقبه الخليفة القائم بالله بـِ «أبي الفتح».

٤. معركة ملاذكرد (١٠٧١):

أدّى قضاء الأتراك على الحكم البيزنطيّ إلى تحرّك الامبراطور رومانوس ديوجينس، فعمد ألب أرسلان إلى عرض الصلح والهدنة حقناً للدماء، إلا أن الامبراطور ردَّ عرضه هذا لاغتراره بقوته، ولكن كان النصر حليف الأتراك بعد معركة محتدمة اشتبك فيها الطرفان بعد صلاة الجمعة، وأُسِرَ الامبراطور، فأمّن ألب أرسلان له طريق العودة إلى بلاده وقد فكَّ أسره، ولم يتبقَّ أمام الأتراك عقب هذا النصر قوة هامة تعيق فتح الأناضول. ولذلك باشر قادة ألب أرسلان بفتح الأناضول، واستولوا عليها بعد حملات متواصلة، حتى بلغوا سواحل بحر مرمرة، ومن ناحية أخرى أخذ الأتراك بالانتقال إلى الأناضول واتّخاذها موطناً لهم، فأُسِّست أُولى الدول التركية في الأناضول، وكان هذا النصر أهمّ خطوة في طريق تحوّل الأناضول دولة مسلمة.

وما لبث أن استشهد السلطان ألب أرسلان إثر طعنه بخنجر من قِبل قائد قلعة تقرّب منه واحتال عليه في منطقة ما وراء النهر (١٠٧٣).

السلطان ألب أرسلان

مِن أعظم رجال الدولة في التاريخ التركي، كان يرى أن نشر العدالة في الأرض أمر إلهي. متواضع، لا تغره السلطة والقوة، وكان يدرك أنّ السلطة موهوبة له من قبل الله تعالى بمشاعر العدالة والإيمان والإنسانية وحبّ الخير وفقاً للأوامر الإلهية، كما كان على يقينٍ بأن النصر والفلاح ليسا إلا أثراً من صنع الله وليسا من نفسه.

ولما كان على وشك مفارقة الحياة أوصى بأن يكتب على قبره ما يلي:

«يا مَنْ رأيتم عظمة ألب أرسلان تبلغ عنان السماء، تعالوا فانظروها مدفونة تحت التراب».

الباطنية

كان حسن صباح مؤسّس هذه الطائفة قد حصل على تعليم جيدٍ، وأثّر في الناس من خلال إيهامهم أنّ الخالق وهبه قدرات استثنائية، وأخذ يؤوّل الآيات بتفاسير مختلفة، ثم إنّ عدد أتباعه ازداد في مناطق قزوين والريّ، كما أنه ربّى وأنشأ فدائيين مرتبطين به في قلعة آلموت، وقد نظّم عمليات اغتيالٍ بغية إزالة منافسيه السّياسيين، وأضحت الطائفة الباطنية سُوساً يلتهم الدولة السلجوقية من داخلها، حينها بعث ملكشاه جيشاً إلى حسن صباح، وأثناء استمرار الحصار حال موت ملكشاه دون الاستيلاء على القلعة، وفي ١٢٥٦ هدم هولاكو قلعة آلموت وقضى على الباطنيين.

انتقل الحكم إلى ملكشاه ابن ألب أرسلان، وكانت الدولة السلجوقية تمر في أزهى أيامها في الفترة الممتدة بين (١٠٧٣ ـ ١٠٩٢)، حيث اتسعت الحدود من آسيا الوسطى وحتى مضيق اسطنبول، ومن بحر العرب إلى شمال بحر آرال، وكان لنظام الملك وزير ألب أرسلان مساهمة كبيرة في هذه الإنجازات، إلا أنّ نظام الملك اغتيل من قِبل الباطنيين، واغتيل بعده ملكشاه مما أدى إلى تعرض الدولة لفترة عصيبة من الصعب التعويض عنها.

٥. تفكك الدولة السلجوقية العظمى:

كانت الحاكمية وفق تقاليد الدولة التركية حقاً وهبه الخالق للحاكم، ففي حال انفصاله عن العرش يتم تقسيم الدولة فيما بين الأفراد الذكور من الأسرة ويحصل جميع الأفراد على حق تولّي مقام الحاكم، ومن ينجح في

الصراع مع أعضاء الأسرة الذكور يكون أهلا لنيل هذه الحاكمية من الله تعالى، غير أنّ هذه الصراعات كانت تؤدي في بعض الأحيان إلى الحروب وتجزئة الدولة.

حاولت زوجة ملكشاه تركان خاتون جعل زوجها يتقبل كون ابنها وريث العرش، فعارض نظام الملك ذلك، مما أدى إلى نشوء هوّةٍ بين نظام الملك وملكشاه،غير أن موت كلٍّ منهما واحداً تلو الآخر منح تركان خاتون الفرصة المبتغاة. فأجلست ابنها ذي الأربع سنوات على العرش وأقرأت خطبة له، ولكن عارضها سائر أعضاء الأسرة، وبهذا بدأت الصراعات على العرش في الأسرة منذ ١٠٩١ والتي استمرت حتى ١١١٨، حيث ضعفت قوة الدولة في هذه الفترة، وعجزت عن القيام بمواجهة الحملات الصليبية، فتضررت الدولة الإسلامية،وما لبثت هذه الفترة المضطربة أن انتهت بانتقال سنجر أحد أولاد ملكشاه إلى السلطة.

ربط سنجر القاراخانيين به، وحارب الغزنويين، وكان عهد سنجر آخر عهود السلاجقة ازدهاراً، حيث ظلّت الدولة في هذه الفترة وجهاً لوجهٍ أمام خطر مغول القاراخطاي، والحملات الصليبية المتدفقة من الغرب، أعطى سنجر القاراخطايين الأولوية، لكنه خسر معركة قطوان في ١١٤١، وقد تم فقدان مساحات كبيرة من الأراضي، وتعرّضت الدولة لاستيلاء القوات التركية والمنغولية.

ثم إنّ دولة سنجر ما إنْ استجمعت قواها بعد فترة حتى غدت وجهاً لوجهٍ أمام تمرّد بدو الأوغوز من شعبها، وكان الدافع لهذا العصيان التطبيقات الخاطئة للسلاجقة الإداريين في جمع الضرائب ومنح الدولة السلجوقية مناصب في إدارة الدولة للإيرانيين وأتراك الكارلوك والكيبتشاك عوضاً عن التركمان، لم يتمكن سنجر من قمع التمرّد، ووقع أسيراً لدى الأوغوز، ومع أنه تم فك أسره بعد فترة إلا أنه عجز عن الرجوع بالدولة إلى سابق عهدها من القوة، وبوفاته سقطت الدولة (١١٥٧).

وبعد انهيار الدولة السلجوقية العظمى باتت الدول المرتبطة بها مستقلة عنها، وهذه الدول أسست في العراق وخراسان وسورية وإيران والكارلوك وتركيا.

و. الحملات الصليبية:

الحملات الصليبية هي إحدى أهم الأحداث السياسية والعسكرية والدينية الجارية في العصور الوسطى. ثم إن اسم « الحملات الصليبية » أطلق على الغزوات العسكرية التي نظمها الأوروبيون المسيح بغية الاستيلاء على القدس وما في أيدي المسلمين من الأراضي المقدسة. و تعبير الصليبية آتٍ من وضع المشاركين في هذه الحملات رمز الصليب على الأشياء التي استخدموها.

أ. أسباب الحملات الصليبية:

- **الأسباب الدينية**: للقدس أهمية عظيمة عند المسيحيين لاعتقادهم أن سيدنا عيسى عليه السلام وكثير من حواريّه قد قطنوها و قبورهم مازالت شاهدة على ذلك، إلا أن القدس وما حولها كانت في أيدي المسلمين،

وكان هذا ما يؤلم المسيحية ويغيظها، فكان لابد في نظرهم من استعادة السيطرة على هذه الأماكن المقدسة كي يتمكنوا من زيارتها بسهولة و يقوموا بواجب حمايتها من المسلمين المتوحشين كما كان يصورهم باباوات الكنيسة لعامة الناس في أوربا، لذلك كان من إلى هذه الحملات ينال ثواباً كبيراً وتكفّر خطاياه، وهكذا أقنع رجال الدين عامة الناس بالانضمام إلى هذه الحملات.

➢ **الأسباب السياسية:** بحلول القرن الحادي عشر كان الأتراك قد تقدموا حتى بلغوا الأناضول، وأنشأوا سلطة لهم في الأراضي المسيحية، وكان البيزنطيون بعد أن هزموا في ملاذكرد قد طلبوا العون من الدول الأوروبية، ولما كان الأوروبيون فزعين من تقدم الأتراك وتعاظم نفوذهم، فقد أضحى تقديم يد العون للبيزنطيين أمرا لا بدَّ منه، وبهذا كان سيتم إقصاء الأتراك الضّالين حسب المسيحيين عن سورية وفلسطين، وسيكتسب الإقطاعيون المشاركون في الحملات أراضيَ جديدةً وشهرة واسعة.

➢ **الأسباب الاقتصادية:** كانت أوروبا في هذه تعاني من وضع اقتصادي صعب وكانت ما زالت تستخدم في الزراعة و الصناعة الأساليب البدائية، ولم يكن يُنظر إلى التجارة على أنها عمل نظيف إضافة إلى كونها عمل متخلف، وكان دخل أكبر دولة في أوروبا أقلّ من دَخْلِ إمارة صغيرة في الأناضول، وكانت الطرق التجارية العالمية الهامة تحت سيطرة المسلمين، وهكذا أولى الأوروبيون هذه الحملات أهمية كبيرة بغية الوصول إلى ثروات الشرق.



نُظمت ثمان حملات اعتباراً من ١٠٩٦ وحتى ١٢٧٠، وشارك في هذه الحملات عن طريق البر والبحر مئات الآلاف من الأوروبيين، واحتلّ ملوك الإنكليز والفرنجة والألمان والإقطاعيون مكانهم في الحملات، ولكن لم يحصل الصليبيون على النتائج التي تأمّلوها وهدفوا لها من الحملات، وعلى الرغم من استيلاء الصليبيين على بعض المناطق الهامة (القدس، أورفة، يافا، سورية) غير أنها استُرجعت فيما بعد، لكن هذه الحملات فتحت الطريق أمام تغييراتٍ عميقة في الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية.

ب. نتائج الحملات الصليبية:

- **النتائج الدينية**: كان رجال الدين قد وعدوا المنضمّين إلى هذه الحملات بالنصر، إذ إنهم كانوا يظنون أنهم سيغدون أقوى إن انتهت حملاتهم بالظفر، ولما لم يتحقق ذلك فُقدت الثقة برجال الدين، وباتت تضعف قبضة الكنيسة على المجتمع والدولة شيئا فشيئا، وظلّت الأراضي المقدسة لدى المسيحيين في أيدي المسلمين.

- **النتائج السياسية**: انسحب الأتراك من الأناضول الغربي أمام حشود جيوش الصليبين، واستردّ البيزنطيون قسماً من الأراضي المفقودة، وتوقّف الزحف التركي نحو الغرب، وخُرّبت البلاد الإسلامية، فمثلاً قام الصليبيون في الحملة الأولى بعدما استولوا على القدس بقتل كل ساكني المدينة من المسلمين والمسيحين الشرقيين (الأرثذوكس)، وقد قُتل الكثير من الإقطاعيين (سينيور) المشاركين في هذه الحملات، فاستولى الملوك على أراضيهم، وبهذا ظهرت في أوروبا الممالك المركزية، وقد استفاد من هذه الحالة القرويون الذين كانوا بمثابة عبيد للإقطاعيين، حيث غدوا في حالة أكثر حرية.

- **النتائج الاقتصادية**: تم إحياء التجارة بين الأوروبيين والمسلمين، ونشطت تجارة البحر الأبيض المتوسط، وأسِّست موانئ جديدة، واكتسبت بلاد واقعة على سواحل البحر الأبيض كالبندقية وجنوة قوة إضافية، وظهرت طبقة جديدة تشتغل بالتجارة هي الطبقة البرجوازية، وباتت نوعية معيشة الأوروبيين في ازدياد من ناحية الرفاهية.

- **النتائج العلمية والثقافية**: كانت هذه الحملات فرصة للأوروبيين للتعرّف على الحضارة الإسلامية والمجتمع المسلم، وتبيّن أن المسلمين ليسوا برابرة متوحّشين كما أخبر رجال الدين عنهم، وفي نهاية هذه الاتصالات تم تعلم العناصر التقنية والثقافية كالورق والمطبعة والبوصلة والبارود من قبل الأوروبيين، إضافة إلى تعلمهم النسج وتصنيع الزجاج والجلود، إلى جانب الهندسة المعمارية للأقواس والجسور والخانات، وقد أطلَقت هذه التطورات فترة سيمتد أثرها مئات السنين في أوروبا.

كما تم تنظيم غارات على غرار الحملات الصليبية بتوجيه من رجال الدين الأوروبيين والسياسيين بعد تأسيس الدولة العثمانية وتقدمها نحو الغرب، ولذا فحين تُذكَر الحملات الصليبية يتبادر إلى الذهن الصراعات العسكرية والسياسية بين الدول المسيحية والمسلمين.

ثم إنه ثمة ميزة أخرى للحملات الصليبية ألا وهي تعرّف الأوروبيين على الحضارة الإسلامية من قربٍ من خلال الأندلس وصقلية والحملات الصليبية، حيث وصلوا عصر التنوير وبلغوا المستوى التنموي عن طريق النهضة والإصلاح بعدما أخذوا التطورات العلمية عن المسلمين.

أسئلة الوحدة الرابعة

ماذا تعلمت ؟

١. في عهد أي خليفة مسلم بلغ العرب حدود الأراضي التركستانية لأول مرة؟

٢. من هما الطرفان اللذان خاضا معركة طلاس، وما هو مدى تأثير هذه المعركة على مجرى التاريخ الإسلامي؟

٣. هاتوا مثالاً لعلماء أتراك ساهموا في تنمية الحضارة الإسلامية؟

٤. ماذا تعرفون عن الدول التركية المسلمة؟

٥. ما تعليقك على مقولة السلطان ألب أرسلان التي أراد أن تُكتب على قبره: « يا مَنْ رأيتم عظمة ألب أرسلان تبلغ عنان السماء، تعالوا فانظروها مدفونة تحت التراب»؟

٦. ما هي الحروب الصليبية وما أسبابها؟

٧. من الذي استرجع القدس من أيدي الصليبيين؟

٨. هات بعضاً من نتائج الحملات الصليبية.

اختر الإجابة الصحية

١. أي المعلومات التالية غير صحيحة فيما يتعلق بالعلاقات التركية العربية؟

أ. بدأ الإسلام بالانتشار السريع بين الأتراك عقب معركة طلاس.

ب. تولّى الكثير من الأتراك مهامّ في الجيش العباسي.

ج. كانت العلاقات التركية العربية في حالة جيدة إبان العصر الأموي.

د. أحكم الجنود الأتراك السيطرة على الجيش والإدارة بمرور الوقت.

٢. أي الدول التركية التالية كانت أول من دخل الإسلام؟

أ. الغزنويون.

ب. القاراخانيون.

ج. الأوغوز.

د. بلغار الإيديل ـ الفولغا.

٣. أيّ المعلومات التالية مغلوطة فيما يتعلق باعتناق الأتراك الإسلام؟

أ. دخول الأتراك في الإسلام بشكلٍ جماعيٍ تحقق في العهد الأمويّ.

ب. يعتبر القاراخانيون أول مَن قَبِلَ الإسلام ديناً.

ج. اختار بلغار الإيديل ـ الفولغا الإسلام في مطلع القرن العاشر.

د. اختار معظم الأتراك القاطنين في المناطق الممتدة من الصين وحتى البلقان الإسلام في القرن الخامس عشر.

٤. أي المعلومات التالية مغلوطة فيما يتعلق بالسلاجقة؟

أ. انتقلت مهمة الدفاع عن الدولة الإسلامية إلى السلاجقة بعد ضعف العباسيين.

ب. فُتحت أبواب الأناضول أمام المسلمين بعد معركة ملاذكرد.

ج. ظهر السلاجقة كقوة سياسية في إيران في مطلع القرن العاشر.

د. أسس السلاجقة واحدة من أهم الدول في أوائل القرن الحادي عشر.

٥. أي الخيارات التالية ليس من ضمن الخدمات التي حققها الأتراك في العالم الإسلامي؟

أ. كان حرس القصر في عهد هارون الرشيد من الأتراك.

ب. خلّص السلاجقة العظماء الخليفة العباسي من ضغط البويهيين.

ج. ساهم الأتراك في انتشار الإسلام من خلال حمايته من كل المخاطر الداخلية والخارجية.

د. فتحت أبواب المسلمين أمام الأتراك بعد معركة ملاذكرد.

٦. أي المعلومات التالية مغلوطة فيما يتعلق بالفارابي؟

أ. تأثر بالبيروني.

ب. ألّف ما يقارب ١٦٠ أثراً في مواضيع الحساب والفيزياء والفلك وأشباهها.

ج. كان الشخص الأفضل في شرح فلسفة أرسطو.

د. أجاد في شرح الهندسة الإقليدية.

٧. من هو العالم الملّقب ب « المعلم الثاني»؟

أ. ابن سينا.

ب. الفارابي.

ج. البيروني.

د. فخر الدين الرازي.

٨. املؤوا الفراغات في الجملة التالية بالكلمات المناسبة: « .... أول نموذج معماري تركي إسلامي، أنشأه في القاهرة .... ».

أ. المدرسة النظامية ـ نظام الملك.

ب. المرصد ـ ملكشاه.

ج. جامع الطولونية ـ أحمد بن طولون.

د. بيت الحكمة ـ المأمون.

٩. أي المعلومات التالية غير صحيحة فيما يتعلق بالخدمات التي قدمها الأتراك؟

أ. قدم الأتراك نماذج فريدة في ميادين السيراميك والنسيج.

ب. لم يتمكّنوا من الاستمرار في فن النحت لمخالفته التعاليم الإسلامية.

ج. ارتقوا بعلم الموسيقا.

د. تُكَوِّن بعض الموسيقا الدينية والرقص الديني الذي تقوم به بعض الطوائف جوهر التصوف التركي.

١٠. أي الخيارات التالية ليس من ضمن الدول التركية؟

أ. الغزنويون.

ب. الإخشيديون.

ج. السلاجقة العظماء.

د. الفاطميون.

١١. **أي المعلومات التالية مغلوطة فيما يتعلق بالقاراخانيين؟**

أ. فقدوا ثقافتهم الأصلية لَمَّا قَبِلوا الإسلام واعتنقوه.

ب. يعدّ بيلغة غول قَدِر خان أول من عُرف من سلاطينهم.

ج. عاشوا أكثر أيامهم ازدهاراً في عهد يوسف قدر خان.

د. أول دولة تركية إسلامية.

١٢. **أي المعلومات التالية غير صحيحة فيما يتعلق بمعركة دانداقان؟**

أ. يعود سببها إلى الغارات المستمرة من قِبل طغرل بك على الأراضي الغزنوية.

ب. انتصر السلجوقيون في المعركة.

ج. انهارت الدولة البيزنطية بهذه المعركة.

د. أسست الدولة السلجوقية رسميا إثر هذه المعركة.

١٣. **أي المعارك التالية تعد أهم خطوة في طريق تحوّل الأناضول بلداً إسلامياً؟**

أ. معركة باسينلار (Pasinler).

ب. معركة دانداقان.

ج. الحملات الصليبية.

د. معركة ميدان ملاذكرد.

١٤. **أي المعلومات التالية مغلوطة فيما يخص سنجر؟**

أ. كان سنجر قد ربط القاراخانيين به.

ب. يعتبر عهد سنجر آخر عهد السلاجقة ازدهاراً.

ج. تعرضت دولة سنجر لتمرد الأوغوز.

د. تمكّن سنجر من قمع أعمال الشغب في جميع أنحاء البلاد.

١٥. **أيّ الخيارات التالية ليس من ضمن أسباب الحملات الصليبية؟**

أ. رغبة المسيحين بالاستيلاء على القدس وما يجاورها.

ب. رغبة الأوروبيين في الحصول على ثروات الغرب.

ج. كون طرق التجارة العالمية الهامة في يد المسلمين.

د. إنشاء الأتراك حاكمية لهم في الأراضي المسيحية.

١٦. **أيّ الخيارات التالية ليست من النتائج الدينية للحملات الصليبية؟**

أ. ضعفت الثقة برجال الكنيسة.

ب. زادت سيطرة الكنيسة على المجتمع.

ج. بقيت المناطق المقدسة لدى المسيحيين في أيدي المسلمين.

د. انخفض مستوى ضغوط الكنيسة على الدولة.

١٧. أي الإجابات التالية ليست من النتائج الاقتصادية للحملات الصليبية؟

أ. إحياء تجارة البحر الأبيض المتوسط.

ب. إنشاء الموانئ الجديدة.

ج. ضعف اقتصاد الدول التي تطل سواحلها على البحر الأبيض.

د. ظهور الطبقة البرجوازية.

١٨. أيٌّ مما يلي ليس من العواقب العلمية والثقافية للحملات الصليبية؟

أ. تعلّم المسلمون العناصر الفنية كالطباعة وصناعة الورق.

ب. تعرّف الأوروبيون على الحضارة الإسلامية.

ج. أدرك الأوروبيون أنّ المسلمين ليسوا همجين.

د. تعلم الأوروبيون تشييد الجسور والنُّزُل.

املأ الفراغات

املأ الفراغات التالية بما هو مناسب من الكلمات التي بين القوسين:

(البيروني، دانداقان، خراسان، الحملات الصليبية، المغول، المنصور، بابك الخرمي، ميدان ملاذكرد، السلطان ألب أرسلان، عبد الكريم ساتوك بغرا خان، المدرسة النظامية، ابن سينا، السلاجقة، البيزنطيين، حسن صباح، السلطان سنجر، الحملات الصليبية)

١. بدأت أول الاتصالات بين المسلمين والأتراك عقب إتمام فتح ....

٢. بدأ القاراخانيون قبول الإسلام زمن ....

٣. ساهم .... في انتشار الحضارة الإسلامية في الهند شرقاً وداخل أوروبا غرباً.

٤. دافع الأتراك عن العالم الإسلامي ضدّ .... و .... غرباً، و .... شرقاً.

٥. كان .... أول خليفةٍ وظّف الأتراك في خدمة الدولة عند العباسيين.

٦. لقد تمّ بفضل جهود القادة الأتراك قَمْعَ تمرّد .... الذي ظهر في أذربيجان وغدا يهدّد العباسيين.

٧. تعتبر .... أول مدرسة تدرّس العلوم الثابتة التطبيقية إلى جانب العلوم الدينية.

٨. يرجع كتاب القانون في الطبّ إلى ....

٩. اعتبر كتاب الفلك الذي ألّفه .... أول موسوعة فلكية في العالم.

١٠. تم تأسيس الدولة السلجوقية رسميا إثر معركة ....

١١. تم تأسيس أول دولة تركية في الأناضول بعد معركة ....

١٢. عاشت الدولة السلجوقية أكثر أيامها ازدهاراً في عهد ....

١٣. يعدّ .... مؤسّس الفرقة الباطنية.

١٤. يعتبر زمن .... آخر فترة مشرقة في تاريخ السلاجقة.

١٥. يطلق اسم .... على الغزوات العسكرية التي نظمها الأوروبيون المسيحيون للاستيلاء على القدس وما في أيدي المسلمين من الأراضي المقدسة.

؟ اختبر معلوماتك

ضع حرف «ص» على المعلومات الصحيحة وحرف«خ» على المعلومات الخاطئة فيما يلي:

١	دافع الأتراك سنوات طويلة عن العالم الإسلامي أمام الحملات الصليبية بعد معركة ميدان ملاذكرد.	
٢	خلّص القاراخانيون الخليفة العباسي من ضغط البويهيين.	
٣	يعدّ الفارابي وابن سينا والبيروني مِن أشْهَر علماء الإسلام الأتراك.	
٤	يعرف ابن سينا بلقب « المعلم الثاني».	
٥	جامع الطولونية أول نموذج معماري تركي إسلامي.	
٦	الطولونيون أول دولة تركية مسلمة.	
٧	دخلت الأناضول عقب معركة طلاس مرحلة التحوّل إلى الإسلام.	
٨	عاشت الدولة السلجوقية أكثر أيامها ازدهاراً في عهد ألب أرسلان.	
٩	تعتبر الحملات الصليبية من أهم الأحداث السياسية والدينية والعسكرية في العصور الوسطى.	
١٠	ساهمت الحملات الصليبية بتعرّف الأوروبيين عن كثب على الحضارة الإسلامية.	
١١	يعدّ الفارابي أول عالم تركي قسّم العلوم وصنّفها.	



الوحدة الخامسة

الخلافة العثمانية

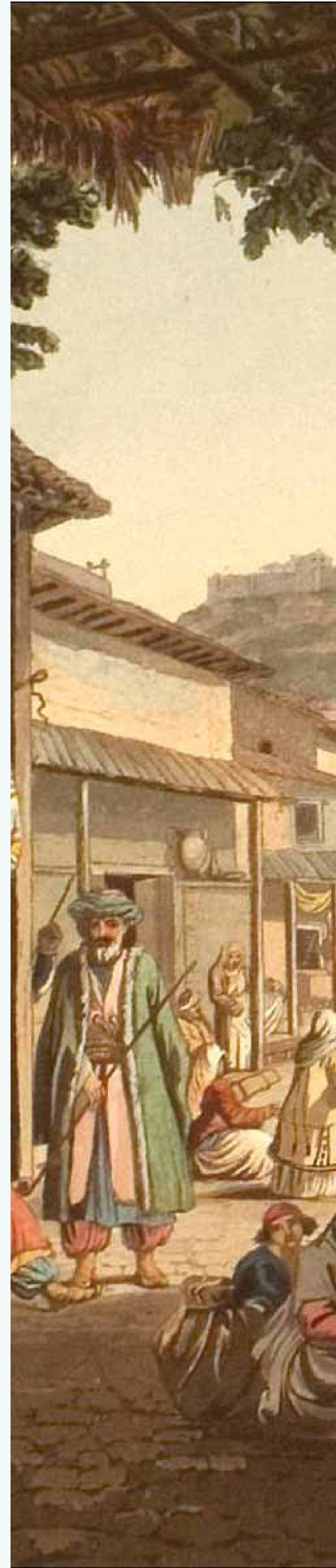
(١٢٩٩ـ ١٩٢٢)

موضوعات الوحدة

- تأسيس الدولة العثمانية (١٢٩٩).
- دور التطور (١٣٦٠ ـ ١٤٥٣).
- دور الازدهار والارتقاء (١٤٥٣ ـ ١٥٧٩).
- دور التوقف (١٥٧٩ ـ ١٦٩٩).
- الانحدار والسقوط (١٦٩٩ ـ ١٩٢٢).
- ثقافة العثمانية وحضارتها.

تمهيد

١. ابحثوا عن البنية السياسية والاقتصادية والثقافية لتركيا في الوقت الراهن من خلال العثور على موقعها في الخريطة.
٢. تحرّوا عن مكان البقعة المسمّاة بالشرق الأدنى, ومدى أهميتها في وقتنا الحالي.
٣. ابحثوا عن الأسباب الكامنة وراء إجراء العثمانيين حركات الفتح في البلقان وجهة الغرب أثناء فترة تأسيس الدولة العثمانية.
٤. تقصّوا عمّن حاصر اسطنبول على مر التاريخ, ولِمَ لَمْ يتمكنوا من أخذها.
٥. استقصوا عن شخصية السلطان محمد الفاتح فاتح اسطنبول.
٦. ابحثوا في المكانة التي تحتلها الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي.
٧. ابحثوا عن أهمية مؤسسة الخلافة, وتأثيرها على التاريخ الإسلامي.
٨. تقصّوا عن مفاهيم الاستسلام, الشيعة, بارباروس خير الدين, الحملات الصليبية, الاحتلال الفرنسي, الثورة الصناعية.
٩. ابحثوا عن التصوّر الحالي للدولة العثمانية . شاركوا أصدقاءكم بأفكاركم في هذا الموضوع بعد فراغكم من قراءة الوحدة.



أ. تأسيس الخلافة العثمانية:



عثمان غازي (١٢٥٨-١٣٢٦)

هذا الإقليم (الأناضول) المعروف ببلاد الروم من أحسن أقاليم الدنيا، وقد جمع الله فيه ما تفرق من المحاسن في البلاد، فأهله أجملُ الناس صوراً وأنظفُهم ملابس وأطيبُهم مطاعم.)

رحلة ابن بطوطة

صورة: عثمان بك مؤسس الدولة العثمانية

تعتبر الدولة العثمانية أهم الدول التركية التي أنشئت عبر التاريخ، وأطولها عمراً، حيث غدا العثمانيون الذين أنشأوا دولة خلفاً للدولة الأموية والعباسية والسلجوقية امبراطورية عظيمة بعدما كانوا إمارة صغيرة، وأضحوا أحد ممثلي الحضارة الإسلامية، ولن من المبالغة وصف الدولة العثمانية الممتدة على أجزاء واسعة من آسيا وأوروبا وإفريقيا بأنها آخر إمبراطويات الإسلام العظمى.

أُسِست الدولة العثمانية من قبل القايين وهم فرع من الأوغوز في الأناضول (تركية)، قصد القاليون في أواسط القرن الثالث عشر الأناضول بهدف التخلص من وطأة غزو المغول واتخذوا مسكناً لهم في أنقرة، وكان ثمة دول تركية أنشئت في الأناضول قبل مجيء القاي إليها، فالأناضول كانت قد تحوّلت أرضاً تركية وانتشر الإسلام فيها قديما، وكان أرطغرل غازي يتزّعم القاي الآتين إلى الأناضول، وعند وفاته في ١٢٨١ انتقل إلى رئاسة فرع القاي الذي أضحى سيداً، حارب عثمان بك ملوك البيزنطيين المسيطرين على المنطقة، وأعلن استقلاله في ١٢٩٩ عن طريق استعانته بالسادة المحيطين به وبجماعة الآهي (Ahi) النشطة من الناحية الدينية والاجتماعية في الأناضول، ثم إنّ رؤساء الدولة فيما بعد كانوا من سلالته، ولذا فقد سميت الدولة بالعثمانية.

الوضع السياسي في المنطقة

كانت الامبراطورية البيزنطية التي تُعتبَر مدينةُ القسطنطينية (اسطنبول) مركزاً لها قد فقدت طابعها الامبراطوري في الفترة التي أُسِّسَت فيها الدولة العثمانية، حيث تزعزع وضعها السياسي والعسكري بسبب

المؤامرات والنزاعات على العرش، فكان ثمة في البلقان إمارات الأفلك والبوغدان والبوسنة والهرسك والأرناؤوط إلى جانب ممالك البلغار والصرب، وكان بين هؤلاء صراعات مستمرة منشؤها سياسي وديني، ولا وجود لوحدةٍ سياسية في هذه المنطقة.

كانت الدولة السلجوقية التي أسسها الأتراك في الأناضول قد انهارت وبدأت الإمارات التابعة لها بالاستقلال عنها واحدة تلو الأخرى، ولم يتدخل العثمانيون في النزاعات بين الإمارات، بل قاموا عوضاً عن ذلك بالتوجه نحو الغرب أي البلقان من خلال انتهاج سياسة مختلفة بغية تقوية الدولة ونشر محاسن الإسلام.

توفي عثمان بك في ١٣٢٦ فتولى الحكم وفق تقاليد الدولة ولده أورخاه بك المسؤول عن قيادة الحملات وتسيير شؤون الدولة أثناء حياة والده.

وفي عهد أورخان بك (١٣٢٤ ـ ١٣٦٢) أسست الدولة بالمعنى الحقيقي وفق نظامٍ مركزي وعسكري محكم.

في عهد **أورخان** أسست الدولة بالمعنى الحقيقي وفق نظامٍ مركزي وعسكري محكم.

تم السيطرة على مدينة بورصة التي كانت في يد البيزنطيين والتي تعد مدينة تجارية ذات أهمية بالغة، وأُعلِنت أول عاصمة للدولة (١٣٢٦)، ومن ثمَّ فتحت إزنيك وإزميت وبالي كسير . وتقلصت الأراضي البيزنطية في الأناضول شيئا فشيئا.

وكانت إحدى الأحداث الهامّة في عهد أورخان بك الانتقال من الأناضول إلى البلقان، وبدء ظهور السلطة التركية فيها، حيث كان أورخان بك قد بعث ولده سليمان باشا إلى البيزنطيين من خلال «شناق قلعه» بهدف الإعانة، وبواسطته تمّ تنظيم قاعدة في المنطقة (١٣٥٤) وبعد هذا باشروا بفتح تراكيا والبلقان من بعدها، وفي الوقت نفسه عمدت الدولة إلى دفع التركمان البدو للاستقرار في المناطق المفتوحة حديثا من الأناضول، وبهذا تم الشروع بتطبيق سياسة الاستيطان (الإسكان) التي ستستمر حوالي مائة وخمسين عاماً، وبهذه الطريقة انتشر الإسلام في المناطق المفتوحة من البلقان، وتمت السيطرة عليها وتوفير الأمن فيها،كما وتيسّر جمع الضرائب باستقرار البدو.

سيطر العثمانيون على إرث الامبراطورية السلجوقية الأناضولية، وعملوا كسابقهم على حماية الإسلام ونشره، كما أعلنت الدولة أن أحد أهم أهدافها الرئيسية حفظ الوحدة السياسية للأناضول ونجحت في ذلك من خلال السيطرة على إمارات الأناضول التي لا تنفكّ تتصارع فيما بينها، وهكذا غدت الدولة العثمانية من بين الدول الأطول عمراً، والأوسع حدوداً، والتي خطت خطوات واسعة في مجال الثقافة والحضارة، وأضحت أقوى امبراطوريات العالم في القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

يُعد نمو الدولة العثمانية في فترة قصيرة أمرٌ وقف عنده المؤرخون باهتمامٍ، ويمكننا ترتيب الآراء الواردة على النحو التالي:

١. الموقع الجغرافي: نظراً لعدم الالتفاف إلى سائر الإمارات بسبب كونها ثلاث إمارات، و وقوعها على طرق النقل والتجارة.

٢. كونها جارة للدولة البيزنطية الضعيفة.

٣. كون المنطقة ملائمة للزراعة وتربية الحيوانات.

٤. الانقسام من الناحية السياسية في الأناضول والسياسة الناجحة التي انتهجها العثمانيون حول كيفية استخدام هذا الوضع لمصالحهم الخاصة.

٥. وضع البلقان (عجز القوى السياسية في المنطقة عن التصدي للعثمانيين بسبب تفرقها وضعفها).

٦. دعم قوات الآهي Ahi التي تعدّ فرقة قوية بالاعتبار السياسي والديني والاقتصادي والاجتماعي في الأناضول.

٧. التقبّل الإيجابي من قِبل أهالي الأناضول ورجال الدولة تجاه الحروب ضد المسيحيين.

٨. انضمام الحكام والقادة التركمان إلى العثمانيين.

٩. التطبيق الناجح لنظام الدولة المركزية ومفهوم الإدارة العادلة.

١٠. سياسة الإسكان (الاستيطان) المنفذة بنجاح.



نصيحة الشيخ إدا بالي لعثمان غازي

يا بني!

إنك سيد! الغضب منا بعد الآن، والإذعان لك... والاستياء منا، والتكفير منك... اللوم منا، والتحمل منك... العجز منا، الخطأ منا، واللطف منك... التعارض، التصارع، التناقض، النزاع منا، والعدالة منك... العين الشريرة الحسودة، اللسان السيء، التعليق الغاشم منا، والعفو والصفح منك...

يا بنيّ!

والتقسيم بعد الآن منا والجمع والإتمام منك، والكسل والخمول منا، والتنبيه والحثّ والصياغة منك...

يا بنيّ!

أنت قوي، ذكي، عاقل ومتكلم، لكن إن لم تعرف أين تستخدمها فإنك تضيع مع رياح الصباح، وتغلب نفسُك عقلَك، فلتكن صبوراً على الدوام وتحكّم بإرادتك !

الصبر مهمّ للغاية، وعلى السيد التحلي بالصبر، فالزهرة لا تتفتح قبل أوانها، ولا تؤكل الكمثرى قبل نضجها، وإن أُكِلَت تبقى في صدرك، ومثل السيف الخالي عن المعرفة كمثل الكمثرى غير الناضجة.

يا بني !

هناك أناس، يولدون في الفجر، ويموتون عند أذان المغرب.

احترم أمك وأباك! ولتعلم أن البركة مع الكبار.

إن فقدت إيمانك في هذه الدنيا، تغدو قاحلاً وأنت في زهو الاخضرار، وتتحول صحراءً قاحلة لا نفع فيها لأحد.

كن صريحاً! ولا تظنن بكل كلمة أنها عليك! إن رأيت فلا تقل، وإن علمت فلا تحدّث! ولا تكثر التردّد إلى مكان تحبه، فتتضرر محبتك ويذهب اعتبارك.

ولتتألم لهؤلاء الثلاثة، لعالم بين الجهلة، ولفقير بعد غنى، ولعزيز بعد ذل!.

ولا تنس! أن من يعتزل الناس في برجه لا يعرف ما يعانونه في حياتهم.

لا تخف من مجادلةٍ أنت صاحب الحق فيها!

ولْتعلم أنه يقال عن الفرس الجيدة، وعن الفارس الجريء مجنون.

وأعظم النصر معرفة المرء نفسَه، فنفس الإنسان هي عدوه، وأما الصديق فهو المدرك نفسَه العارف بها.

يا بني!

لتعش أمتك في تقاليدها، فلا تولِّم ظهرك، ولتسمع بوجودهم على الدوام، فهذه التقاليد هي الموجّهة للمجتمع والتي تحافظ على وحدته وبقائه .

ب. دور التطور:

تعتبر الفترة من وفاة أورخان بك وحتى فتح اسطنبول فترة تطور الدولة العثمانية، فكانت بنية الدولة في هذه الفترة متشكلة بالمعنى الكامل، وقد جرت صراعات مع الإمارات لفرض وتحقيق الهيمنة العثمانية أثناء استمرار التوسع في البلقان، ويعد كلٌ من مراد الأول (١٣٦٢ ـ ١٣٨٩) وبيازيد الأول (١٣٨٩ ـ ١٤٠٢) ومحمد الأول (١٤١٣ ـ ١٤٢١) ومراد الثاني (١٤٢١ ـ ١٤٥١) سلاطين هذه المرحلة .

نبذة من أهم الأحداث الجارية في مرحلة التطور:

توسعت الخلافة العثمانية في عهد السلاطين: (مراد الأول، بيازيد الأول، محمد الأول، مراد الثاني)

الحرب الصربية (١٣٦٤):

أقلق التقدم السريع للعثمانيين في البلقان دول البلقان، فعمدت إلى تجهيز جيش صليبي تحت قيادة المجر والبلغار والصرب بتشجيع من البابا، ونزل الصليبيون في صنديك الصرب باجتيازهم نهر ماريتسا، ولم يتخذوا التدابير اللازمة اعتماداً منهم على كثرة عددهم، فتمكّن الجيش العثماني بقيادة حاجي إلباي الذي اغتنم هذه الفرصة من هزيمة الجيش الصليبي بغارةٍ ليليةٍ.

وهذه المعركة هي أول معركة بين العثمانيين والصليبين، وبالنصر المحقَّق تسارع سَيْرُ المسلمين في البلقان، وتراجعت قوة البيزنطيين، ونقلت العاصمة من بورصة إلى أدرنة.

معركة صنديك هي أول معركة بين العثمانيين والصليبين، وبالنصر المحقَّق تسارع سَيْرُ المسلمين في البلقان

حرب كوسوفا الأولى (١٣٨٩):

ساهم استيلاء العثمانيين على مدنٍ كصوفيا ونيش ومناستير وتقويتهم سلطتهم عليها في جمع شمل دول البلقان من جديد، فانضم كل من المجر وبولاندا والكروات إفلاك أيضاً إلى الحملات الصليبية، وبهذا لاقى مراد الأول الجيش الصليبي في كوسوفا، وكانت هذه المعركة لصالح المسلمين، وقد استشهد مراد الأول أثناء تجوّله في ميدان المعركة على يد جندي صربي اسمه ميلوش، (وانتقل إلى العرش بيازيد الأول).

ويعدّ نصر كوسوفا ثالث الانتصارات العظيمة بعد صنديك صرب وتشيرمان (١٣٧١)، التي حققها العثمانيون لهدف البقاء في البلقان.

معركة نيكوبوليس (١٣٩٦):

كان توسيع العثمانيين لحدودهم في البلقان حتى نهر الدانوب يثير الخوف لدى المجر، فدعا ملك المجر سيغيسموند الدولَ الأوروبية إلى الوحدة المسيحية بدعم من البابا بعد أن عجز عن متابعة مواجهة الأتراك وحده، وعندها تم إعداد جيش قوي بانضمام دول كالمجر والبندقية وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وبلجيكا وسويسرا وهولندا وأسكتلندا وإفلاك (Eflak)، حاصر الصليبيون قلعة نيغبولو الواقعة على ساحل نهر الدانوب.

وفي هذه الأثناء اضطر يلدرم بيازيد إلى فكّ حصاره على اسطنبول، ولحقت الهزيمة بالصليبيين في المعركة الجارية أمام قلعة نيغبولو، ودخلت بلغاريا في حكم العثمانيين، ولم يتمكن الصليبيون بعد هزيمة نيغبولو من تنظيم وحدة صليبية جديدة ضد العثمانيين قرابة ٥٠ سنة.

معركة أنقرة وفترة خلوّ العرش:

استولى يلدرم بيازيد بعد توليه الحكم على قسم كبير من أراضي إمارات الأناضول بهدف تأسيس الوحدة السياسية فيها، فطلب السادة الذين فقدوا أراضيهم العون من تيمور، وأما تيمور فقد كان حاكماً تركياً أسس دولة قوية مقرها سمرقند، ورغب في تنظيم حملة إلى الصين، وكان يزعجه كون العثمانيين عنصر تهديد وراءه، فعمد السادة الذين فقدوا أراضيهم في الأناضول إلى تحريض تيمور ضد بيازيد، فطلب تيمور إلى بيازيد ردَّ الأراضي إلى أصحابها والإذعان له، وبرفض بيازيد هذا العرض اشتبك هذان الحاكمان المسلِمَان بالقرب من أنقرة، وخسر بيازيد المعركة ووقع أسيراً لدى تيمور (١٤٠٢).

ردّ تيمور الأراضي إلى سادة الأناضول، وأخذ بيازيد أسيرا معه، وتعرضت الدولة الخالية من الحاكم إلى خطر الانهيار، وتصارع أولاد بيازيد فيما بينهم لتولي الحكم، واستمرت هذه الفترة ١١ عاماً (١٤٠٢ ـ ١٤١٣)، وقد أُطلق على هذه الفترة من العثمانية اسم «فترة خلو العرش»، جلس محمد شلبي (محمد الأول) على العرش بعدما أحكم سيطرته على إخوته وأَمِنَهُم، فعمد إلى توفير الأمن في الأناضول من جديد، ولذا عُرِف بالمؤسس الثاني للدولة.

محمد شلبي (محمد الأول) عُرِف بالمؤسس الثاني للدولة

معركة فارنا (١٤٤٤):

تحرّك الجيش الصليبي المنظم بقيادة لاديسلاس ملك المجر لغرض طرد العثمانيين من البلقان. فلحقت الهزيمة بالصليبيين من قبل السلطان مراد الثاني في سهل فارنا، كما قتل الملك في ساحة الوغى، ولم يصل الصليبيون إلى مبتغاهم بالهجوم الذي نظّموه بغية الاستيلاء على جنوب شرق أوروبا واسطنبول.

حرب كوسوفا الثانية(١٤٤٨):

تم تفريق الجيوش الصليبية التي أرادت محو آثار الهزيمة التي لحقتها في فارنا حيث فرِّقت مجدداً من قبل الجيش العثماني بزعامة مراد الثاني في كوسوفا ١٤٤٨، وبهذا باءت مخططات الصليبين في إخراج العثمانيين من البلقان بالفشل، كما ساهم نصر كوسوفا الثاني بترسيخ وجود العثمانيين في البلقان.

ساهم نصر كوسوفا الثاني بترسيخ وجود العثمانيين في البلقان

ج. دور الازدهار والارتقاء:

تعدّ الفترة الممتدة من فتح اسطنبول على يد السلطان محمد الفاتح وحتى وفاة السلطان سليمان القانوني فترة ازدهار وارتقاء للعثمانيين، وأما سلاطنة هذه الفترة الهامين فهم محمد الثاني الملقب بالفاتح (١٤٥١ ـ ١٤٨١)، بيازيد الثاني (١٤٨١ ـ ١٥١٢)، سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠) والسلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦).

ازدهار الدولة العثمانية في عهد السلاطين: (محمد الفاتح، بيازيد الثاني، سليم الأول، سليمان القانوني)

الأحداث الكبرى التي وقعت خلال فترة الازدهار:

١. فتح اسطنبول (١٤٥٣):

كان السلطان محمد الثاني يهدف إلى تأسيس امبراطورية عالمية عظيمة، وأول ما ينبغي القيام به في هذا السبيل فتح اسطنبول، وثمّة العديد من الأسباب وراء رغبة السلطان الشابّ في فتح اسطانبول، حيث كان البيزنطيون يظهرون صعوبة من وقت لآخر في نقلِ العثمانيين للقوات من الأناضول إلى روملي ومنها إلى الأناضول، وكانوا كلما سنحت لهم الفرصة يحرّضون الدول الأوروبية وإمارات الأناضول ضد العثمانين، ويتسببون بحروب داخلية من خلال مساعدتهم الأمراء أولاد السلطان على الانقلاب.



تحركات الجيش أثناء فتح القسطنطينية (اسطنبول)

ولكون اسطنبول مركزاً ثقافياً هاماً ولوقوعها على طرق التجارة البرية والبحرية جعلها في غاية الأهمية من حيث الموقع الجغرافي.

وعلاوة على ذلك فإن فتح اسطنبول مهم أيضاً من الناحية الدينية، فقد تكررت محاولة أخذ هذه المدينة من قبل المسلمين لنيل البشرى التي أخبر عنها النبي عليه الصلاة والسلام بقوله:

«لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ» (مسند أحمد، جـ ٣١، ١٨٩٥٧)



ثم إنه لم تتم السيطرة عليها بطريقة أو بأخرى على الرغم من المحاولات المتكررة لفتحها ثمان مرات من قبل الأمويين والعباسيين وثلاث مرات من قبل العثمانيين.

زاد البيزنطيون من تدابير الدفاع أثناء استعداد محمد الثاني لفتح اسطنبول، فقاموا بإعادة إصلاح الأسوار المهدّمة والقلاع المنهارة، وأغلقوا مدخل المضيق بسلسلة حديدية، كما وطلبو عوناً لهم من البلاد المسيحية. وحاولوا التوحيد بين مذهبي الكاثوليك والأرثذوكس بغية الحصول على المساعدة من العالم المسيحي وأقيم حفل كبير في آيا صوفيا لهذا الغرض، ولكن أظهر الناس البيزنطيون الأرثذوكس استياء من هذا الأمر، كما وأوضح لوكوس نوتاراس رئيس الوزراء بقوله:

«إني أرجح العمامة التركية عوضاً عن قبعة الكاردينال التركية».

أن من العبث توحيد الطوائف وأن أهالي اسطنبول سيرجحون العدالة العثمانية.

قام محمد الثاني (الفاتح) بتجهيزات هامة لفتح اسطنبول:

عمد إلى محاصرة روملي لوضع المضيق تحت السيطرة، وأمر بنصب المدافع الكبيرة في أدرنة لتجاوز الأسوار البيزنطية المشهورة التي لها عامل في فشل كل المحاصرات السابقة، كما أنشأ قوة بحرية قوية للغارات البحرية.

حاصر محمد الثاني اسطنبول في السادس من نيسان عام ١٤٥٣ بعد فراغه من الاستعدادات، وطالب بتسليم المدينة سلماً حيث بعث إلى امبراطور البيزنطيين رسولاً بهذا، إلا أنه لما رفض الطلب، بدأ الهجوم بإشعال المدافع، وتمّ إنزال أكثر من سبعين سفينة من البر بواسطة مزالق إلى المضيق في ليلة واحدة.

وفي ٢٤ من شهر أيار بدأ محمد الثاني بهجوم عظيم إثر ردّ الامبراطور طلب محمد الثاني الاستسلام منه لآخر مرة، وفي ٢٩ من الشهر نفسه الموافق ليوم الثلاثاء عام ١٤٥٣ فتحت اسطنبول (القسطنطينية).

دخل السلطان الشاب المدينة عقب الفتح بمراسم احتفالية، وقد غدا «الفاتح»، وقصد كنيسة آيا صوفيا التي لها أهميتها التاريخية في العالم البيزنطي والمسيحي، وخاطب آلاف المسيحيين المجتمعين هناك والمترقبين ما سيقضي فيهم السلطان الفاتح، فأخبرهم بأن حرية دينهم ومذهبهم مضمونة، وأن أموالهم لن تنهب، وبإمكان الفارّين العودة.

لم يمس السلطان محمد الفاتح الكنيسة الأرثذوكسية في اسطنبول بأي أذى للوعد الذي قطعه، وحوّل اسطنبول إلى مدينة ذات طابع إسلامي بالأنشطة الإنمائية التي اتخذها، كما أسكن عدداً كبيراً من الأتراك المجلوبين من الأناضول في المدينة.

لفتح اسطنبول أهمية كبيرة في تاريخ العثمانيين وتاريخ العالم، حيث انهارت الامبراطورية البيزنطية، ورحّاب العالم الإسلامي بأجمعه بهذا الأمر وسرّوا به، وغدت اسطنبول مركزاً للعلم والحضارة، وبدأ الكثير من رجال العلم من الشرق والغرب يفدون إلى اسطنبول بدراساتهم التي ستضحو سراجاً يتألق في ظل حماية الفاتح، وباتت طرق التجارة العالمية الهامة في أيدي المسلمين.

غير أن هذا الأمر أظهر استياءاً كبيراً في أوروبا، إذ بزوال البيزنطيين ذهبت أحلام العالم المسيحي باستعادة القدس أدراج الرياح، فقد خسروا قاعدة هامة، وأظهرت التحديثات التي أتى بها الفاتح في تقنية المدافع لحصار اسطنبول إمكانية انهيار الأسوار، فأدت هذه التطورات إلى انهزام النظام الإقطاعي في أوروبا، وأنشئِت دول مركزية وقوية.

٢. التطورات في البلقان:

قوبل استيلاء الأتراك على اسطانبول باستياء عارم من الأوروبيين، بينما كانت شعوب البلقان راضية عن سياسة التسامح التي عاملهم بها الأتراك، غير أن البابا والملوك والسادة لم يتخلوا عن الرغبة في إخراج الأتراك من البلقان، وزاد فتح اسطانبول من شدة الرغبة فدعا البابا الدولَ الأوروبية مجدداً إلى التجمع تحت الراية الصليبية، وعمد السلطان محمد الفاتح المتابع عن كثب التطورات إلى التحرك دونما إبطاء مانعاً الصليبيين من فرصة استرداد القوة.

وأفسد على الصليبين خطتهم هذه بفتحه صربيا في ١٤٥٩ وموروا في ١٤٦٠ وإفلاك ومولدافيا (بغدان) في ١٤٧٦، وبلغ حكمهم في البلقان حتى البحر الأدرياتيكي، وكما أنّ ملك البوسنة امتنع عن دفع الضرائب، فقد كان أيضاً يتّبع سياسة لصالح المجريين، فزحفت القوات العثمانية عام ١٤٦٣ نحو البوسنة والهرسك، فلم يُبْدِ البوسنويون أية معارضة واستسلموا على الفور وقد رأوا احترام العثمانيين لحرية الدين والمذهب، ولذلك كانت محبة الأهالي للأتراك المسلمين كبيرة بحيث انضمّ كل القادرين على حمل السلاح إلى الجيش، وبعد فترة وجيزة اعتنق جميع البوسنويين الإسلام وتشرفوا به،كما أنهم قدموا خدمة كبيرة للدولة في القرون التالية من خلال مشاركتهم في القيادات العسكرية والإدارية العثمانية.

٣. التطورات الجارية في الأناضول والبحار:

كانت بعض الإمارات التركية في الأناضول تتحالف مع الأعداء في الوقت الذي كان العثمانيون يواصلون فتوحاتهم غربا لإيصال الإسلام إلى أوروبا، وأهم هذه الإمارات إمارة إسفنديار في سينوب، ودولة القارامانيين في الأناضول الداخلية والآق قويون في الشرق، وقد نظمت عقب فتح اسطنبول حملات بقصد القضاء على هذه الإمارات التي تتسبب بصعوبات مستمرة للدولة العثمانية، ولتوفير الوحدة في الأناضول، وقد تمّ تأمين النظام في الأناضول بالقضاء على إمارة إسفنديار عام ١٤٦٠ وإمارة القارامان في ١٤٧٣ ودولة الآق قويون في ١٤٨٧.

ثم إنه تم تنظيم حملات بحرية لتوفير الأمن في سواحل مضيقي اسطنبول وشناق قلعه بعد الفراغ من فتح اسطانبول، وغدت التدابير اللازمة ضد المخاطر التي قد تَرِد من البحار متخذة من خلال السيطرة على العديد من الجزر في بحر إيجة.

وأصبحت الدولة العثمانية التي أمنّت الحكم في الأناضول، جارة للدولة الصفوية الشيعية من في الشرق(١٥٠٢)، وكانت غاية إسماعيل شاه حاكم الصفويين يركز على نشر مفهوم التشيّع في إيران التي يحكمها وأذربيجان، وأخذ الأناضول من أيدي العثمانيين، فكان يقوم بدعايات للتشيع في الأناضول ويتسبب باضطرابات في الدولة العثمانية في سبيل الوصول إلى غايته، وبناء عليه فقد جهز سليم ابن السلطان محمد الفاتح حملة للسير إلى إيران، وفي عام ١٥١٤ انهزم إسماعيل شاه في المعركة الجارية في سهل جالديران، وبنصر جالديران تم القضاء على خطر الشيعة في الأناضول، وتم تأمين الحدود الشرقية للدولة العثمانية.

٤. الحملة إلى مصر وانتقال الخلافة إلى الدولة العثمانية:

كانت الخلافة التي بدأت بسيدنا أبي بكر بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام والتي لها أهميتها البالغة للعالم الإسلامي من الناحية الدينية والسياسية، كانت في هذا التاريخ في يد المماليك الذين أسسوا دولة في مصر والشام والحجاز، فكانوا أصحاب اليد الطولى في العالم الإسلامي بأجمعه، ثم إن المماليك كانوا مع تدخلهم في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية قد اتفقوا مع الشيعة ضد العثمانيين، كما كان سيوضع طريق البهارات تحت الرقابة بفتح مصر، وبهذا سيمنع الضرر الذي يتسبب به البرتغاليون للبحارة المسلمين في المحيط، إضافة إلى أن السلطان سليم كان مع فكرة تجميع القوة السياسية في العالم الإسلامي في يدٍ واحدة.

قرّر السلطان سليم الزحف نحو المماليك بعدما قضى على خطر الشيعة، واستُشير العلماء فيما يتعلق بكيفية التعامل مع الحاكم المسلم حاكم المماليك، فأفتى العلماء بجواز السير في هذه الحملة.

وقد انهزم المماليك في الحملة التي نظمت بناء على ما سبق وكانت قد جرت في سهل مرج دابق القريبة من حلب عام ١٥١٦، وضمّت كل من سورية ولبنان وفلسطين إلى الأراضي العثمانية، وغدت طريق مصر مفتوحة أمام العثمانيين.

بعث السلطان سليم إلى طومان باي حاكم المماليك رسولاً للاعتراف بحاكميته، إلا أن طومان باي ردّ العرض وأمر بقتل الرسول، فقرر السلطان أن النصر المكتسب لا معنى له دون أخذ مصر، وسار السلطان إلى مصر وجرت معركة الريدانية (١٥١٧) ليحكم السلطان سليم بعدها سيطرته على مصر، وأما طومان باي فقد أُعدم بعدما تم القبض عليه، وقد سلّم شريف مكة مفاتيح مكة والمدينة للسطان سليم وهو بهذا اكتسب لقب «خادم الحرمين».

> بعد الانتصار في معركة الريدانية اكتسب السلطان سليم لقب «خادم الحرمين».

وأسفر عن هذا النصر نتائج مهمة وهي:

١. انتقلت الخلافة إلى العثمانيين (١٥١٧).

٢. انتهت الدولة المملوكية، ودخلت الأراضي المقدسة كمكة والمدينة في حكم العثمانيين.

٣. بات طريق البهارات الممتد من الهند إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط عن طريق البر والبحر البرية تحت سيطرة العثمانيين.

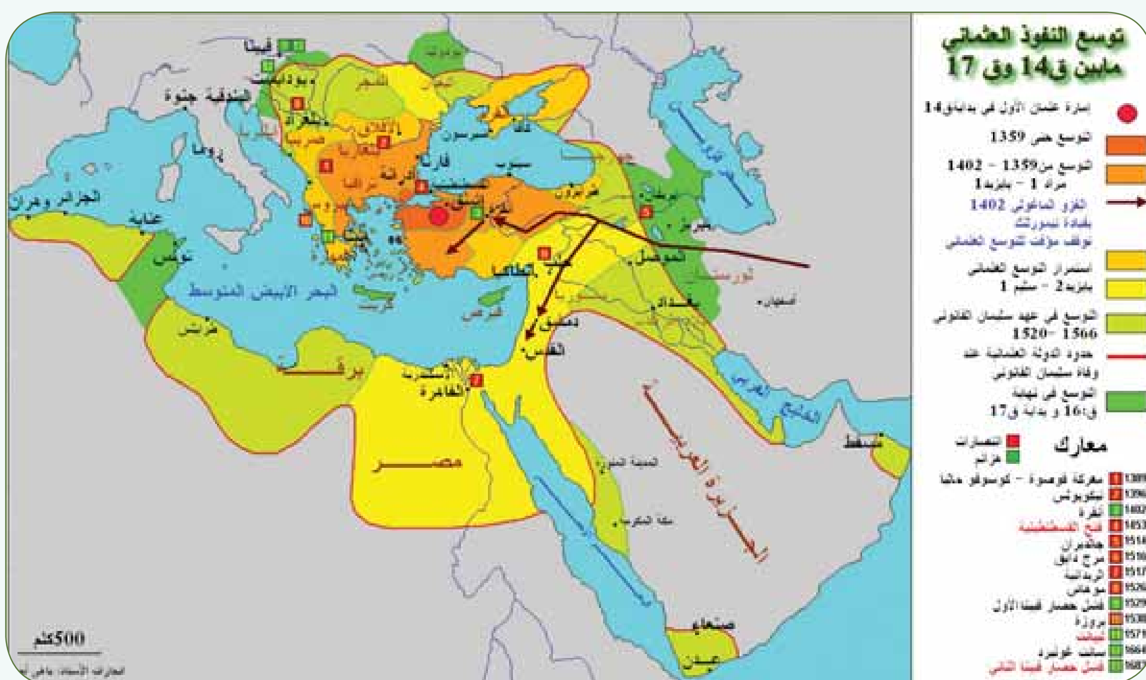
٤. أضحت الدولة العثمانية أعظم قوى العالم الإسلامي.

٥. جلبت الآثار المقدسة إلى اسطنبول ووضعت في قصر طوب كابي، ولا تزال هناك حتى يومنا هذا.

٥. التطورات الحاصلة في عهد القانوني:

جعل السلطان سليم الأول الدولة العثمانية أقوى الدول في جغرافيا الدولة الإسلامية، كما وأورث ابنه خزانة ملأى تفيض مما فيها، ثم إن السلطان سليمان الأول المعروف بلقب القانوني إنما حصل على هذه الإمكانيات لجمعه بين مهارات القيادة الفريدة، وقد كانت فترة حاكميته الأقوى من الناحية الاقتصادية والسياسية والعسكرية للدولة العثمانية في الشرق وفي الغرب، وقد أطلق عليه الأوروبيون لقب سليمان العظيم والأتراك لقب القانوني للقوانين التي أجراها، وهو الأطول حكماً بين سلاطنة الدولة العثمانية إذ حكم (٤٦) سنة. ويمثل ذروة السلطة العثمانية.

لقب القانوني للقوانين التي أجراها، وهو الأطول حكماً بين سلاطنة الدولة العثمانية



❋ التطورات الحاصلة في الغرب:

لقد كان الخطرُ الأكبر الذي يواجه الدولة العثمانية قبيل القانوني الامبراطوريةَ الرومانية الألمانية التي تملك قسماً كبيراً من أوروبا وشارلكان الذي كان يترأسهم، حيث كانت المجر التي يدعمها تحاول تنظيم حملة صليبية ضد العثمانيين، فأعد القانوني حملة لفتح بلغراد (١٥٢١) عقب قتل المجريين الرسول العثماني، فتوترت العلاقات أكثر مع المجر إثر هذه الحادثة.

وكان فرانسوا الأول ملك فرنسا قد وقع أسيراً لدى ملك المجر، واضطرت والدته إلى اللجوء إلى القانوني الحاكم المسلم لفكّ أسر ابنها ولم تلجأ إلى ملك مسيحي، فخرج القانوني مجدداً في حملةٍ إلى المجر بغية سحق الوحدة الأوروبية المسيحية بجعل فرنسا إلى جانبه، وتجلّلت معركة موهاج التي انتهت في فترة قصيرة جداً بنصرٍ محتّمٍ للجيش العثماني (١٥٢٢)، وفُكَّ أسر فرانسوا الأول، وتم البتّ في مسألة المجر.

تطوّرت العلاقات العثمانية الفرنسية بعد هذا التاريخ، وفي (١٥٣٥) وقّعت معاهدة بين الدولتين بناءً على طلبٍ من فرانسوا الأول بقصد تطوير العلاقات التجارية وهذه المعاهدة تسمى معاهدة لدى العثمانيين و kapitülasyon لدى الفرنسيين، وبهذا كان القانوني قد أبعد فرنسا عن التحالف الصليبي، واكتسب التجار الفرنسيون والعثمانيون حقوقا متبادلة واسعة النطاق، لكن الحقوق الممنوحة للفرنسيين ولّدت بمرور الوقت نتائج تضادّ مصالح الدولة العثمانية، وجعلت الاقتصاد متعلقاً بالخارج كما وهيّأت مناخاً لانهيار الدولة.

عمد القانوني إلى تجهيز حملة على إثر احتلال فرديناند ملك المجر بودين التابعة للعثمانيين، وبعد استرداده بودين حاصر فيينا التي تعتبر باب العبور إلى أوروبا (١٥٢٩)، غير أن الهدف ليس الاستيلاء على فيينا وإنما إجبار فرديناند على القتال، ولم تكن الاستعدادات اللازمة كافية لهذا، فرُفع الحصار باقتراب الشتاء، ثم إن حصار فيّينا الأول هامّ لإرهاب الأوربيين، وإظهار المدى الذي بلغته القوة العثمانية.

❋ التطورات الحاصلة في البحار:

بحر إيجة والبحر الأبيض المتوسط:

غدت القوة الاقتصادية للأوروبيين في ازدياد بتحقيق الاكتشافات الجغرافية، وأولى القانوني اهتماماً خاصا بالقوات البحرية بغية تنشيط التجارة في البحر الأبيض والمحيط الهندي، وقامت صراعات هامة بين الدول الأوروبية في البحار، وتمت السيطرة على الكثير من الجزر في بحر إيجة، كما تم الاستيلاء على الأراضي الإفريقية من السواحل المطلّة على البحر الأبيض، وفتح النجاح العثماني الباب إلى تأسيس القوات البحرية، وبانتصار العثمانيين في معركة بريفيزا على القوات الصليبية (١٥٣٨) غدت الهيمنة كلياً في البحر الأبيض بأيدي العثمانيين.

وفي (١٥٧١) استُولِي البنادقة على قبرص أكبر جزيرة واقعة شرقي البحر الأبيض، فقام الأوروبيون بتأسيسهم قوة بحرية كبيرة في البحر الأبيض الشرقي وهزموا المسلمين في معركة يبانتو، إلا أن هذه الهزيمة لم

تضعف من قوة العثمانيين، حيث تم تأسيس قوة بحرية جديدة في مدة قصيرة، وفي هذه الآونة تم التخطيط لافتتاح قناة السويس، غير أنها لم تتم لعدم إعطاء الأمر الأهمية اللازمة.

بحر الهند:

عمد الأوروبيون – الذين تدهورت مصالحهم التجارية إثر انتقال السيطرة على الطرق التجارية بين الشرق والغرب إلى الأتراك – إلى البحث عن طرق تجارية جديدة، فكانت هذه إحدى أسباب الاكتشافات الجغرافية، فعمد البرتغال الذين وصلوا الهند من خلال الدوران حول رأس الرجاء الصالح إلى السيطرة على التجارة الموجودة هناك، والحيلولة دون تجارة التجار المسلمين في المحيط الهندي، وجهّز العثمانيون حملاتٍ إلى هذا المكان بغية إصلاح الوضع في هذه المنطقة وفقاً لمصالحهم الخاصة (١٥٣٨ ـ ١٥٥٣)، إلا إنه لم تتحقق غايات العثمانيين من هذا التحرك لأسباب عديدة كقوة السلاح البحري للبرتغاليين، وعدم تقديم الدعم الكافي للعثمانيين من قبل حكام المنطقة المسلمين، وإعطاء العثمانيين الأولوية للبحر الأبيض المتوسط والهيمنة الغربية، ولكن في نهاية هذه الحملات انضمت سواحل اليمن وأريتريا والسودان وقسماً من أثيوبيا إلى الحكم العثماني.

٦. العثمانيون في إفريقيا:

بدأ حكم العثمانيين في إفريقيا بالاستيلاء على مصر سنة ١٥١٧، فكانت هذه الدولة المحورية أولَ منطقة تدخل تحت سيطرة العثمانيين في إفريقيا وأصبحت أهم ولايات الدولة العثمانية في إفريقياحتى عام ١٨٨٢ حين احتل الانكليز مصر.

ثم إن سائر التطورات التي ساهمت في إنشاء الهيمنة العثمانية في أفريقيا هي كما يلي:

الاستيلاء على الجزائر (١٥٣٣):

لما أخذ الإسبانيون الجزائر من أيدي المسلمين (١٥١٠) أراقوا الكثير من الدماء في المنطقة وفي البحر الأبيض بهمجيّتهم حتى قام الإخوان الريّس أوروج والريّس هزر (خضر) باسترداد الجزائر من الإسبانيين، فجعل السلطانُ القانونيُ الريسَ هزرَ على رأس القوة البحرية العثمانية، وبهذا انضمت الجزائر إلى الدولة العثمانية، حتى عام ١٨٣٠ حين احتلت فرنسا الجزائر .

الاستيلاء على طرابلس:

أخذ البحّار التركي الريّس طورغوت طرابلس من محاربي مالطة المسيحية عام ١٥٥٢، واحتلت المنطقة عام ١٩١١ من قبل الإيطاليين، وكانت طرابلس آخر قطعة أرض فقدها العثمانيون من إفريقيا، وقد أظهر الضباط الأتراك ومن بعدهم عمر المختار مواجهة مشرفة ضد الإيطاليين.

تونس:

ظلت تحت حكم العثمانيين فيما بين ١٥٧٣ ـ ١٨٨١. وقد استعمر الفرنسيون هذه الدولة باستيلائهم عليها.

الاستيلاء على المغرب:

زحف سلطان المغرب نحو الجزائر إثر سيطرة العثمانيين عليها، ظناً منه تعرّض بلاده للخطر، إلا أنه انهزم أمام القوات العثمانية ودخلت المغرب في الحكم العثماني، وسيطر الخوف على الأوروبيين من هذا الوضع، وشاع القول بأن العثمانيين سيعبرون إلى إسبانيا، فتم تشكيل جيش صليبي بقيادة إسبانيا والبرتغال، وقد تم القضاء على الجيش الصليبي في معركةٍ جرت في منطقة تسمى بوادي السيل (١٥٧٨)، ولو أنهم انتصروا في هذه المعركة لسيطروا على كل من إفريقيا الشمالية وإسبانيا والبرتغال ولربما تنصّرت كلها.

توسعت حدود الجزائر حتى الصحراء في عهد بيلاربك حسن باشا، وتم إنشاء علاقات ودية مع مملكة برنو الواقعة جنوب طرابلس، كما قدمت المساعدة التقنية لهم، وبعد فترة وجيزة صرّح الملك محمد ارتباطه بالدولة العثمانية عام، وبفضل العثمانيين دخلت الأسلحة النارية إفريقيا لأول مرة.

أسس سليمان باشا أوزدمير أوغلو محافظة حبش (١٥٥٤)، وقد حافظت هذه الدولة على وجودها لغاية عام ١٩١٦، ثم إن دول إفريقيا اليوم كالسودان وأريتيريا وجيبوتي والصومال وأثيوبيا والنيجر وتشاد وأوغاندة كانت وفي أوقات مختلفة تحت ظل عدالة العثمانيين.

كان الأتراك كالطولونيين والنوريين قد أسسوا في هذه الجغرافيا دول شتى قبل دخول العثمانيين إليها، ثم إن الدولة العثمانية الحاكمة في المنطقة زهاء أربعمائة عام كانت قد أنشأت علاقات جيدة مع المحليين، ولم تكن محتلة، إذ إن سكان هذه المناطق كانوا مسلمين أيضاً، وقد قدم مسلمو إفريقيا للأتراك مساعدات مادية هامة في معركة طرابلس – التي خاضها الأتراك ضد الإيطاليين – وفي الحرب العالمية الأولى وحرب الاستقلال.

ولكن فتح ضعف الدولة العثمانية الطريق أمام تطورات هامة في هذه المنطقة، حيث بدأ الفرنسيون والإيطاليون وسائر الدول الأوروبية باستعمار المنطقة.

د. دور التوقف (الركود):

وتعتبر الفترة الممتدة من وفاة الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) محمد باشا سكولو (١٥٧٩) وحتى معاهدة كارلوفجة (١٦٩٩) مرحلة التوقف في الدولة العثمانية، بقيت الدولة في هذه الفترة وجهاً لوجه مع الكثير من المشاكل الداخلية والخارجية إلا أنها كانت ما زالت تحتفظ بقوتها، وكان مما أعاق حل المشاكل تولي الأمراء الصغار الحكم وتدخّل، والدات السلاطين بشؤون الدولة، وتمرد الجند ضد من لا يرغبون بهم من رجال الدولة والسلاطين، ثم إن جلْبَ الإسبانيين الكميات الكبيرة من الذهب والفضة إلى أوروبا من خلال الاكتشافات الجغرافية، وتهريبها إلى داخل الأراضي العثمانية أدى إلى انخفاض قيمة العملة العثمانية وارتفاع

الأسعار، وقد أدى تطور الجيوش الأوروبية من الناحية التقنية إلى عجز العثمانيين عن إحراز النصر في كثير من المعارك، ولهذه الأسباب كان ثمة وقفة في تطوير الدولة، وكأنها توقفت تقريباً، ولأول مرة برزت فكرة الإصلاحات لمعالجة أوجه القصور في إدارة الدولة، فقام مثلا أحد كبار المفكرين السيد كوجي بك ليقدم نصائحه وتقاريره إلى السلطان مراد الرابع مبيننا أسباب الاضطرابات في الدولة والحلول الممكنة لعلاجها.

وكان أهم سلاطين هذه الفترة: أحمد الأول (١٦٠٣ ـ ١٦١٧)، مراد الرابع (١٦٢٣ ـ ١٦٤٠) ومحمد الرابع (١٦٤٨ ـ ١٦٨٧).

أهم سلاطين هذه الفترة (الركود): أحمد الأول، مراد الرابع، محمد الرابع

١ . أحداث دور التوقف (الركود):

ظهرت حركات العصيان الداخلية في فترة التوقف، وقد انضم إلى أعمال الشغب هذه المسماة بعصيان جلالي القرويون الذين استاؤوا من الضرائب الغاشمة، والإداريون ممن ليسوا متفقين مع الإدارة المركزية، وخريجو المدارس العاطلين عن العمل، وقُمِعَت حركاتُ العصيان هذه باستخدام القوة العسكرية دون الالتفات إلى جذور المشاكل ومعالجتها بالحكمة، مما أدى لانخفاض ثقة الشعب بالدولة.

وبعد قمع هذا العصيان وتأمين النظام، سُيِّرت حملةٌ إلى الشرق أولاً للقضاء على البلبلة في الحدود الإيرانية، واستُعيدت بغدادُ مجدداً، وتم توقيع معاهدة قصر شيرين (١٨٣٩)، وهذه المعاهدة بيّنت الحدود التركية الإيرانية كما هي عليها في الوقت الحاضر.

معاهدة قصر شيرين (١٨٣٩): هذه المعاهدة بيّنت الحدود التركية الإيرانية الحالية.

ثمّ إنّ الدولة العثمانية على الرغم من نجاحها في ضم مناطق جديدة إلى سيطرتها في القرن السابع عشر، إلا أنها لم تلبث أواخر القرن أن فقَدَت ولأول مرة قسماً من أراضيها، وقد خاضت الدولة العثمانية في هذه الفترة حروباً مع النمسا وبولونيا (Lehistan) والبندقية.

هاجمت بولونيا أراضي الدولة العثمانية بعدما قَبلتها فترة من الزمن، لكن الحملات التي نظمت إلى بولونيا جعلتها تخضع من جديد، حيث قبلت بولونيا حكم العثمانيين بمعاهدة بوجاش (١٦٧٦)، وبأخذ بودوليا انتهى فتح الأراضي الجديدة في الغرب.

خاضت الدولة العثمانية حروباً سياسية طويلة مع النمسا في القرنين السابع والثامن عشر، والسبب الرئيسي في هذه الحرب كان رغبة الطرفين في إحكام سيطرته على أوروبا الوسطى (المجر)، وبمعاهدة زيتوا

توروك ١٦٠٦ وضع الحدّ لأفضلية العثمانيين على النمسا، وقد ترك قسم هام من الأراضي لهذه الدولة بموجب معاهدة كارلوفجة.

حصار فيينا الثاني (١٦٨٣): يعدّ هذا الحصار من نقاط التحول في تاريخ الدولة العثمانية، والسبب في هذه المعركة كان تدخلُ العثمانيين في تمرد حصل في المجر، وشن الحرب على النمسا، ثم إن الحصار لم يكلّل بالنجاح وذلك لسوء إدارة الجيش العثماني، وبالهزيمة التي مني بها العثمانيون ألقت أوروبا عنها الخوف من أسطورة الجيش العثماني، كما رتبوا: معاهدة سموها «**الاتفاق المقدس**» بموجبها توحّدت النمسا وبولونيا والبندقية وإسبانيا ومالطة وروسيا بغية إقصاء العثمانيين عن أوروبا، وأخيراً انهزمت الدولة العثمانية في نهاية الحروب المستمرة لـ١٦ سنة مع ما تخللها من الفترات، ووقّعت معاهدة كارلوفجة بين الأطراف (١٦٩٩)، وخرجت كل من المجر وبودوليا وأوكرانيا ومورا وسهول دالماتيا من يد المسلمين، وفقدت الدولة العثمانية أراضٍ لأول مرة بمعاهدة كارلوفجة.

معاهدة «**الاتفاق المقدس**» بِموجبها توحّدت النمسا وبولونيا والبندقية وإسبانيا ومالطة وروسيا

معاهدة **كارلوفجة**: بِموجبها فقدت الدولة العثمانية أراضٍ لأول مرة

٢. الإصلاحات المتحققة في القرن السابع عشر:

يطلق على التدابير المتخذة والأعمال التي تستهدف تصحيح الأخطاء والاضطربات في إدارة الدولة وفي عمل المؤسسات إصلاحات (إعادة تأهيل، تحسين)، فيقوم الإصلاح في مؤسسة ما بإعادة تنظيمها وليس بإزالتها كلياً.

الإصلاح: هو تصحيح الأخطاء والاضطربات في إدارة الدولة وفي عمل المؤسسات

فاستمرت الدولة العثمانية في القرن السابع عشر تواجه المشاكل السياسية والعسكرية والاقتصادية،و لكن لأول مرة تم اللجوء إلى طريق الإصلاح في حل المشاكل، والمقصود تقديم أحسن الخدمات للناس، واتخاذ التدابير وفقاً للاحتياجات اللازمة للعصر، وإكساب الدولة قوتها القديمة والمساهمة في الاندماج بين الدولة والأمة، الإصلاحات المتحققة في هذه الفترة:

- تم لجم العسكر وضبط تصرفاتهم بأساليب متينة.
- حظر السجائر والخمر.

- تقليص تكاليف القصر، تم القيام بميزانية متوازنة، وتم تقليل الضرائب المأخوذة من الناس.
- المحاولة للحيلولة دون تدخل الطبقة العلمية في شؤون الدولة.

لم تلق الكثير من الإصلاحات في هذه الفترة تطوراً، وكثيرا ما منع وفاة أو استقالة رجل الدولة القائم بالإصلاح من الحصول على النتائج، إضافة إلى أن عدم البحث في أصل المشاكل واستمرار الرغبة في استخدام القوة لحلها، وعدم متابعة رجال الدولة للتطورات الحاصلة في أوروبا، وردات الفعل الآتية من الأوساط (العسكرية، الإدارية وأشباههم) التي تضرّرت مصالحها جراء الإصلاحات، كلها كانت أسبابا حالت دون نجاح الإصلاحات.



الدولة العثمانية واللاجئين

إن اضطرار الناس إلى ترك أماكن ولادتهم والرحيل عنها بسبب الضغوط السياسية أوالاقتصادية أو الدينية واحدة من الأحداث الأقدم ولكن الأكثر دراماتيكية في التاريخ، وكان يطلق على المرتحلين عن أوطانهم اسم « اللاجئ ».

فقد قَبِل العثمانيون دخول الكثير من اللاجئين إلى أراضيهم، و يرد وصف هذه الأحداث أدناه:

- أُحضِر اليهود المتعرضين للضغوط الدينية والسياسية في إسبانيا إلى الأراضي العثمانية من قبل البحّارة الأتراك واستَقروا فيها ١٤٩٢.
- التجأ ملك السويد تشارلز الثاني عشر الذي خسر المعركة التي خاضها مع الروس، التجأ إلى الدولة العثمانية وعاش فيها سنوات طويلة، وقد أدت الأحداث المتطورة على إثر التجائه إلى الدولة العثمانية إلى حرب العثمانيين والروس ١٧١١.
- قبول العثمانيين للبولنديين الذين باءت محاولتهم في التمرّد بالفشل إثر تدخّل روسيا في الشؤون الداخلية لبولاندا حيث لم تقبل بهم أية دولة أوروبية، مما أدى أيضاً إلى حرب جديدة ١٧٦٨.
- التجأ القرم الذين غدوا في وضع صعب بسبب السياسة التوسعية لروسيا، وكذلك المسلمون الذين يعيشون في الشمال من البحر الأسود والقوقاز إلى العثمانيين وقد فرّوا تاركين منازلهم ١٧٨٣ وما بعدها.
- التجأ الآلاف من المجريين إلى العثمانيين على إثر تقديم روسيا الدعم للنمسا في تمرّد المجر الذي بدأ بضمّ النمسا إياها إلى أراضيها، ولم يسلّم هؤلاء اللاجئين رغم كل الضغوطات الروسية، فاضطرت كل من روسيا والنمسا إلى تحسين علاقاتها مع العثمانيين برجوعها خطوة إلى الوراء ١٨٤٨.

➢ هاجر الملايين من المسلمين بسبب أعمال الشغب والعصيان المتحقق في البلقان ما بين عامي ١٨٧٨ و١٩١٣ إلى الأناضول.

و. دور الانحدار والسقوط (١٦٩٩ ـ ١٩٢٢):

دخلت الدولة العثمانية مرحلة الانحدار بعد معاهدة كارلوفجة التي وقعتها مع النمسا وبولاندا والبندقية وروسيا عام ١٦٩٩ وفق المؤرخين.

حيث إن بدء الثورة الصناعية في أورروبا وظهور الحركات القومية المتزامنة مع الثورة الفرنسية، والتيارات الفكرية الجديدة كانت عوامل أثرت في الدولة العثمانية من قريب، فتوقف توسع الدولة ونموها في القرن الثامن عشر وغدت محاولة استرداد الأراضي المفقودة عقيمة، كما فقدت أراضي جديدة، وفي نهاية المطاف أقر العثمانيون بالتفوق العسكري والاقتصادي الأوروبي، وللمرة الأولى اُتخذت ترتيبات وفق النمط الأوروبي، كما تكثفت العلاقات مع أوروبا.

وفي القرن الثامن عشر خاضت الدولة العثمانية حرباً مع روسيا والنمسا والبندقية، ولكنها خسرت كلاً من المجر والقرم.

القومية: هي التيار السياسي الظاهر بعد الثورة الفرنسية (١٧٨٩). وبناء عليه، يجب على كل أمة أن يكون لها دولة مستقلة خاصة بها، أدّى مضمون هذه الفكرة في نهاية المطاف إلى تفكّك الامبراطوريات المضيفة لمختلف الأمم. وأما الجانب الثقافي للقومية هو رؤية كل أمةٍ اختلافَ وأفضلية ثقافتها الخاصة ولغتها والجوانب الإنسانية للفرد عن الجنسيات الأخرى.

١. العلاقات العثمانية الروسية:

كانت روسيا الدولة الأكثر إجهاداً للدولة العثمانية منذ هذا القرن وحتى سقوط الدولة العثمانية، فعززت الدولة الروسية قوتها من خلال الإصلاحات الداخلية التي نفذها بطرس الأكبر بداية هذا القرن، ثم اتبع سياسة توسعية، وبدأ بالاستيلاء على الأراضي الإسلامية في آسيا، كما أنه طمع بالأراضي العثمانية بغية الوصول إلى الموانئ العالمية بسهولة، وجعل المسيحين الأرثذوكس القاطنين في الأراضي العثمانية تحت سيطرته، كما أنه وفي المعاهدة الموقعة عام ١٧٧٤ حصل على حق القيام بتجارة حرة في كلٍّ من البحرين الأسود والأبيض، وحماية حقوق المسيحين في الأراضي العثمانية والاستفادة من الكابيتولاسيون kapitülasyon، ومن ثمّ احتل القرم، وأباد المسلمين المتواجدين فيها، ونفا الكثيرين منهم وأسكن المسيحين مكانهم.

واستمرت روسيا في القرن التاسع عشر في إجهاد الدولة العثمانية والاشتغال بها من خلال : . حرّضت الصرب واليونان للانفصال عن الدولة العثمانية، وقدمت لهم كل أنواع الدعم.

- تدخّلت على الدوام في الشؤون الداخلية للدولة متذّرعة بحقوق المسيحين الأرثذوكس.
- أراد نيكولا قيصر روسيا الموصوف بأنه «رجل مريض» مشاركة المملكة المتحدة في الأراضي العثمانية إلا أنه تلَقَّ الرفض.
- اتبعت سياسة الاستيطان في هذه المنطقة من خلال وضع دول البلقان تحت سيطرته.
- استخدم الأرمن ضد الدولة العثمانية، وفتح الطريق أمام «مشكلة الأرمن» في حين أن الأرمن كانت لهم علاقات جيدة إلى جانب العثمانيين المسلمين، ولا تزال مشكلة الأرمن المنبعثة من تحريض روسيا ومثيلاتها من الدول الكبيرة لا تزال دون حلٍّ حتى يومنا هذا.
- انسحبت روسيا التي احتلت مكانتها إلى جانب المملكة المتحدة ضد الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، انسحبت من الحرب لما بدأت الثورة سنة ١٩١٧، وبهذا وصلت حالة الحرب بين الطرفين إلى نهايتها.

٢. العلاقات مع الدول الأوروبية:

بما أنّ الدول الأوروبية كانت لا ترغب - وفقاً لمصالحها - بدخول الدولة العثمانية ضمن سيطرة روسيا فقد دعمت الدولة العثمانية ضد روسيا. وفي حرب القرم ١٨٥٤ قامت كلٌّ من المملكة المتحدة وفرنسا بإعلان حرب على روسيا بناء على تهديدها للدولة العثمانية ونزولها البحر الأسود، مما ساهم في انهزامها.

ولكن وراء مساعدات الأوروبيين للدولة العثمانية نرى أنهم قد حصلوا على الامتيازات ولا سيما الاقتصادية منها، فمثلاً جَعَلَتْ المعاهدةُ التجارية الموقّعة مع المملكة المتحدة للتجار الإنكليز امتيازات أكثر من التجار العثمانيين أنفسهم، إضافة إلى تدخلهم في الشؤون الداخلية للدولة بذريعة انتهاك حقوق غير المسلمين ممن يعيشون في ظلّ الدولة العثمانية، ولذا فقد حاولت الدولة العثمانية وخصوصاً في القرن التاسع عشر استخدام الدول الأوروبية بعضها ضد بعض أو التعاون معهم بغية التغلب على ضعفها السياسي والعسكري، ويطلق على هذا اسم «سياسة التوازن».

خابت جهود الدولة العثمانية الرامية إلى التقارب مع الأوروبيين وأسفرت عن الخيانة مراتٍ عديدة.

ثمّ إنّ فرنسا التي كانت لها علاقاتها الطيّبة مع الدولة العثمانية منذ البداية احتلت مصر عام ١٧٨٩ والجزائر عام ١٨٣٠. (وأجبرت فرنسا على الخروج من مصر عام ١٨٠٢)، وأسفر احتلال الجزائر عن مقتل مليون ونصف مسلم، ولم يُبْدِ الأوروبيون أية ردة فعل حيال المجازر التي قام بها الفرنسيون في الجزائر، ومن جانب آخر انضمت المملكة المتحدة إلى الدول التي بدأت بتقاسم أراضي الدولة العثمانية، فاحتلت قبرص واستقرت في مصر.

٣. الجهود المبذولة للحيلولة دون التفرق والتفكك:

أثّر الفكر القومي المنتشر في القرن التاسع عشر سلبياً على الدولة العثمانية، حيث حرض الغربُ المللَ غيرَ المسلمة داخلَ الدولة العثمانية على التمرد من أجل الحصول على استقلالها، فتمرد المسلمون وغيرهم من القاطنين بسلامٍ في الدولة وانقلبوا إثر التحريضات، فانفصل اليونانيون عن الدولة العثمانية أولاً ومن ورائهم الصربيون ومن ثمَّ البلغار والأرناؤوط. وخطت الدولة العثمانية خطوات هامة في سبيل منع مواطنيها من الانفصال عن الدولة، فأعطى مرسوم التنظيم المعلن عام ١٨٣٩، ومرسوم الإصلاح المعلن عام ١٨٥٦، والحكومة الدستورية التي بدأ تطبيقها عام ١٨٧٦ أعطى غير المسلمين حقوقاً واسعة، حيث أتاح لهم الفرص لتولي مناصب مهمة كأن يكونوا مسؤولين حكوميين وأعضاء في البرلمان وأن يلتحقوا بالجيش، وكشف بشكل قاطع أنّ مواطني الدولة العثمانية متساوون كلهم أمام القانون، ولا مكان للفروق الدينية واللغوية والعرقية، ومع ذلك جعل غير المسلمين « واطنين عثمانيين» .

هذه الفترة التي انتهت بفقدان أراضي البلقان تماماً فرقّت الشعوب التي عاشت مع بعض قرابة خمسمائة سنة، حيث اتبع الغرب سياسة «فرّق تَسُد» هذه في أجزاء كثيرة من العالم، وخلّفوا وراءهم العداوات والخصومات، فكان لهذه السياسية نتائج أليمة .



٤. الإصلاحات الجارية في القرنين الثامن والتاسع عشر:

وقف رجال الدولة العثمانية والمفكّرين على أسباب تراجع الدولة العثمانية، ولاحظوا التطورات في المجالات العلمية والتقنية والعسكرية في أوروبا، وأيقنوا أن استفادتهم من التطورات في الغرب بات أمرا لا مندوحة عنه، فبدؤوا بإجراء إصلاحات جذرية وعميقة.

الإصلاحات المتحققة في القرن الثامن عشر:

- تم تأسيس أول مطبعة تركية (١٧٢٧)، والمطبعة أول تجديد وتحديث مأخوذ من أوروبا.
- تم تشكيل أول فرقة إطفاء حريق.
- تم العثور ولأول مرة على لقاح ضد مرض الجدري.
- تم الاقتداء بالطراز المعماري الباروكي والروكوكو في أوروبا.
- تم افتتاح أول تقنية عسكرية هندسية كمدرسة.
- ترجمت آثار أوروبية في علم الحساب والفلك.
- تم تأسيس جيش النظام الجديد كوحدة عسكرية على النمط الأوروبي.
- افتتحت سفارات دائمة في عواصم أوروبية هامة بغية تعقب التطورات السياسية والعسكرية والثقافية، وطُلِبَ منهم إرسال تقارير دورية.

وكما تبين فإن الإصلاحات الجارية في هذه الفترة كانت أوسع من إصلاحات القرن السابع عشر، ولكن أدت الحروب المنتهية بالهزيمة إلى تكثيف الإصلاحات في الجانب العسكري وانعدامها في الميادين الأخرى، كما أنّ الإصلاحات جرت من قبل رجال الدولة لم يساهم الناس في أيٍّ منها، ثم إن معارضة وحدة القوات الإنكشارية الطاغية والفاسدة في الجيش العثماني حال دون الحصول على النتائج المرجوة، وقد كوَّن السفراء المبعوثون إلى أورروبا والخبراء المجلوبون منها بداية دخول نمط الحياة الأوروبي إلى المجتمع العثماني.

الإصلاحات المتحققة في القرن التاسع عشر:

الهدف من الإصلاحات التي قامت في هذا القرن:

- منع فقدان المزيد من الأراضي.
- الحيلولة دون انفصال غير المسلمين المتمردين عن الدولة العثمانية نتيجة التيارات القومية.
- أدى تحديث الدولة والمجتمع بما يتماشى مع التطورات في أوروبا إلى حلّ المشاكل الاقتصادية.
- اكتساب مساعدة الدول الأوروبية.
- تخليص الدولة من التفكك والانحلال.

وفيما يلي الإصلاحات المطبقة:

- تم إزالة القوات الإنكشارية (١٨٢٦)، حيث كانت تعدّ نخبة المؤسسة العسكرية في الدولة منذ تأسيسها، إلا أنها خرجت عن كونها عسكرية، وكانت تعارض كل تجديد وتطور، وتمّ تنظيم الجيش وفق النمط الأوروبي.
- تم فتح المدارس في جميع المجالات:
  - مدرسة حربية ومشاة.
  - كلية الطب.
  - مدرسة إعداد المعلمين.
  - مدارس إعداد الموظفين الحكوميين.
  - مدارس فتحها أجانب.
- تم إرسال بعثات علمية إلى أوروبا لأول مرة، وتعرف هؤلاء الطلبة على أفكار حديثة، وغدوا دعاة النمط الغربي في الحياة و التفكير على الأراضي العثمانية.
- ظهرت الصحف والجرائد لأول مرة، فبدأ المجتمع يتعرّف على أفكار جديدة من خلال هذه الجرائد.
- أُدخلت تعديلات في نمط الملابس، فألبس الموظفون الطربوش، ولبس السلطان محمد الثاني السروال (البنطال)، وحلق لحيته، وعلّق صوره على الدوائر الحكومية، كما أنه لبى دعوات من قبل السفارات لحضور الأوبرا والحفلات الموسيقية، حيث لم يقم أحد من السلاطين العثمانين بمثل هذه الخطوات من قبل، ولكن لم تلق هذه هذه تصرفات السلطان هذه استحسان الناس.
- تم افتتاح مصانع للأحذية والقماش، واهتم بتشييد الطرق.
- أنشئت المصارف المالية، وتم اقتراض أول دين خارجي.
- قَبِل السلطان من خلال المراسيم الصادرة تنفيذ التنظيمات المعتمدة من قبل الدولة على النمط الغربي، وكان مرسوم التنظيم المعلَن في ١٨٣٩ نقطة تحوّل في الدولة العثمانية. وبإعلان المرسوم وبدء تنفيذه في البلد بأكمله بدأ مفهوم كل من القانون والتعليم والخدمة العسكرية وأسلوب الإدارة يتغير جذرياً، و كان من أعد المرسوم ممن تلقى تعليمه في الغرب، وعليه فإن تأثير الغرب في هذا المرسوم واضح جلي وضغوطهم لإصداره كان معلوما، ومنذ ذلك الحين بدأت حالة ثنائية بالظهور في المجتمع العثماني، واستمرت حتى سقوط الدولة، وأما ما يتعلق بالثنائية فعقائد المجتمع العثماني من جانب ومؤسسات الدولة التي تم إنشاؤها في هذا الاتجاه، ومن الجانب الآخر مفهوم الحياة الغريب والغربي والمتحضر بالنسبة للدولة العثمانية، وبما أن التحديثات كان يتم تطبيقها على يد الدولة دون مشاورة المجتمع، فقد

بدأ الصراع بين قيم المحليين التقليدية ونمط الحياة الغربية، مما نجم عنه اضطرابات ثقافية وقلاقل سياسية .

- أقيم دستور ملكي لأول مرة في التاريخ العثماني بإعلان التمسك بالمبادئ الدستورية وافتتح البرلمان (مجلس الشعب)، فاقتصرت صلاحيات السلطان على الدستور، وأعطي المواطنون من جميع الجنسيات ممن يعيش في البلاد الحقّ في أن يصبحوا نوّاباً، وبهذا دخلت الديمقراطية الجهاز الإداري للدولة التركية.

ولكن لم يتم الحصول على النتائج المرجوّة من الإصلاحات التي أجريت بغرض الحيلولة دون سقوط الدولة، وكي تكون قريبة من الناس، ولمنع تدخلهم في الشؤون الداخلية، ثم إن الدول الغربية كانت تواصل تقديم طلباتها حيث إنها رأت في الإصلاحات عدم كفايتها وطالبت على الدوام بتدابير لازمة لغير المسلمين، وأدى ذلك إلى أعمال الشغب وبالتالي إلى تفكّك الدولة.

٥. انهيار الدولة العثمانية:

كان السلطان عبد الحميد الثاني على العرش بحلول أواخر القرن التاسع عشر، وقد اجتهد للحفاظ على صمود الدولة طوال مدة حكمه البالغة ٣٣ عاماً، لأن الدول التي كانت يوماً ما إلى جانب الدولة العثمانية قد غدت حينها تحتل أراضي الدولة، وبالأخص لَمَّا واجهت المملكة المتحدة وفرنسا الدولة العثمانية وكانتا ضدها توثقت العلاقة بينها وبين ألمانيا، فأدّى هذا التطور إلى ظهور كتل سياسية جديدة فيما بين الدول في أوروبا.

كان الأوروبيون قد استعمروا جميع البلاد المسلمة تقريباً في القرن التاسع عشر، وبدأ عبد الحميد الثاني بتنفيذ سياسة الجامعة الإسلامية لمقاومة المسلمين في العالم للدول الأوروبية المستعمِرة، ووفقاً لذلك فقد بدأ السلطان الذي يعدّ خليفة المسلمين بتقديم الدعم للمسلمين في البلدان المستعمَرة، وقد ذهب بنفسه لتلبية مطالبهم المرسلة، ولكن لم تناسب هذه السياسة المصالح البريطانية خصوصاً، لأن الخليفة ساعد المسلمين في البلاد المستعمرة على التحرر، ولذا ساندوا حزب الاتحاد والترقّي المعارض للسلطان عبد الحميد الثاني وذلك بغية إقصائه عن العرش، وفي النهاية تم خلع عبد الحميد عن الحكم عن طريق أنشطة هذا الحزب المشبوه، ويعتبر عبد الحميد واحدا من أكثر السلاطين إثارة للجدل في تاريخ العثمانيين، إذ أدت رغبته في المحافظة على الدولة وتقديمه الدعم للمسلمين في العالم إلى إقصائه عن الحكم، ولذلك يعد آخر السلاطين العظماء في الدولة العثمانية.

أقحم الاتحاديون المسيطرون على إدارة البلاد بعد عبد الحميد الدولة في حروب البلقان أولاً ومن ثمَّ في الحرب العالمية الأولى، في حين أنه لم تكن ثمة أسباب لدى الدولة العثمانية تتطلب خوضها هذه الحروب، ثم إنَّ الدولة كانت منهكة عقب خروجها من حروب البلقان، وأيّة حرب جديدة قد تولّد مخاطر كبيرة، لكن الاتحاديين لم يترددوا في إقحام الدولة هذه الحروب حتى دون إعلام السلطان، ومع ذلك فإن الجيوش العثمانية

ألحقت هزيمةً ساحقةً بالبريطانيين والفرنسيين أقوى القوات البحرية في العالم أنذاك وخصوصاً في حروب مضيق الدردنيل (شناق قلعه)، إلا أنها انهزمت مع حليفتاها ألمانيا والنمسا في نهاية هذه المعركة الطويلة، وقبِلت خسارتها في هدنة موندروس لوقف إطلاق النار التي وقّعتها في عام ١٩١٨، وفي هذه الحروب خرجت جميع أراضي البلقان والأراضي الإفريقية والأراضي في الشرق الأوسط من يد العثمانيين، وأضحت الدولة العثمانية محصورة في الأناضول.

قبِلت الدولة العثمانية خسارتها في هدنة موندروس لوقف إطلاق النار التي وقّعتها في عام ١٩١٨

بدأت كلٌّ من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا بغزو الأراضي العثمانية من خلال انتهاكهم شروط المعاهدة، وبهذا وجد الأتراك أنفسهم داخل الحرب مجدّداً، حيث احتلَّ اليونانيون المحرّضون من قبل البريطانيين الأراضي التركية ابتداءً بإزمير ووصولاً إلى أنقرة، حتى اسطانبول عاصمة الدولة تمّ احتلالها، وكان غرض الأوروبيين إبعاد الأتراك عن الأناضول، غير أن الأتراك أظهروا مواجهة ملحمية، فخاضوا جميعا حرب الاستقلال نساءً ورجالاً ومسنّين وشباناً من خلال استخدام جميع موارد البلاد من أجل تجنّب تسليم باقي الأراضي، وتعرّض الغزاة إلى الهزيمة، وانتهت الحرب في ١٩٢٢، كما قامت الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا (البرلمان التركي) بإلغاء السلطنة في الأول من تشرين الثاني من عام ١٩٢٢، وهكذا اختفت وتلاشت الدولة العثمانية في التاريخ و التي دامت ل٦٢٣ سنة.

وأُعلنت الجمهورية في عام ١٩٢٣، وغدا الاسم الجديد للدولة الجمهورية التركية.

كما تم إلغاء الخلافة عام ١٩٢٤.

ز. ثقافة وحضارة العثمانيين:

١. الإدارة الدولية:

تقوم الإدارة في الدولة العثمانية على القانون الإسلامي، وللحاكم الحقّ في وضع القوانين في مختلف المجالات شريطة ألا تتعارض مع الشريعة الإسلامية، ثم تتم كتابة القوانين التي وضعها السلطان، وتصييرها قانوناً، ويطلق على هذه الوثائق اسم الفرمان « المرسوم »، وكان الغرض الرئيسي للسلطان إدارة البلاد من خلال تحقيق العدالة في رخاءٍ وأمنٍ، وأما الحروب خارج البلاد فكانت موجهة من أجل نشر الإسلام.

ولقد استخدم حكام الدولة العثمانية أوصافاً متعددة كالسلطان والباديشاه والخان والخاقان، وكانت السلطنة من حقّ أفراد العائلة العثمانية من الرجال، فعند وفاة السلطان ينتقل إلى العرش أحد أولاده، واعتباراً من القرن السابع عشر غدا جلوس أكبر أفراد الأسرة العثمانية سنّاً وأكثرهم نضجاً على عرش الدولة قانوناً.

وكان العدل محور فلسفة الحكم في الدولة العثمانية، حيث كان من واجب السلطان تأمين الأمن والعدل للرعية، وكان يعيش أناس من جنسيات مختلفة داخل حدود الدولة العثمانية والتي تحوّلت دولةً عالميةً بعد أن كانت إمارة صغيرة.

كان كلٌّ من البلغار والمجر والصرب والروس والأرمن أمما مسيحية، إضافة إلى أن الموسويون (اليهود) والمسلمون (العرب، البوسنة، الألبان، البربر وغيرهم) كانوا العناصر الأخرى التي يتكوّن منها نسيج هذه الدولة، ولذا لم يكن من سبيل لتعايش مجموعة من الناس يتمون إلى ديانات وثقافات مختلفة مع بعضهم البعض إلا في ظلّ الإدارة العادلة، وقد أعطى العثمانيون مواطنيهم من غير المسلمين الحرية في ممارسة معتقداتهم الدينية، كما منحتهم الفرصة لانتخاب زعمائهم الدينيين وتسيير شؤونهم الدينية.

ولقد أولى العثمانيون أهميةً لتطوير المناطق التي فتحوها، فلم يكونوا مستعمِرين، ولم يفرضوا دينهم ولغتهم قسراً على أهالي هذه المناطق.

وكان الأمراء العثمانيون من أولاد الحكام يتلقون تعليماً صارماً في جميع مناحي الحياة، وكان يتم تعيينهم مسؤولين في سنّ مبكرة على بعض مدن البلاد، ويسمى هذا ب» صانجاغا تشيكما» (مراسم التعين على الإمارات)، وكان يصحب الأميرَ رجلُ دولةٍ خبير ومعروف ليكون مسؤولا عن نشأته يسمى ب«لالا»، وهكذا يكتسب تجربة الإدارة قبل الجلوس على العرش، وكان يشرف علماءُ الدولة الخبراءُ والحكماءُ على تنشئة الأمراء وتدريبهم، وكان الأمراء يجلون العلماء ويقدرونهم بعد جلوسهم على العرش، ولهذا كان العلماء يتمتعون باحترام كبير، وكان معظم السلاطين شعراء ومن بينهم الخطّاطين والموسيقيين والرياضيين.

ولكن منذ القرن السابع عشر ظهرت عوائق في تنشئة السلاطنة وتربيتهم، وتم التخلي عن تطبيق «مراسم التعيين (صانجاغا تِشكْما)»، فأدّى ذلك لوصول الأمراء إلى العرش دون حصولهم على الخبرة الإدارية اللازمة.

- تم التخلي عن تطبيق «مراسم التعيين (صانجاغا تِشكْما)»
- أدّى ذلك لوصول الأمراء إلى العرش دون حصولهم على الخبرة الإدارية اللازمة.

كانت بورصة عاصمة الدولة ثم صارت اسطنبول بعد الفتح، ولذلك أمرَ السلطان محمد الفاتح بتشييد قصر جديد فيها، وكان القصر الجديد أو المعروف أكثر باسم قصر طوب كابي بمنزلة مكان إقامة السلطان.

وكان يطلق على مساعد السلطان الأول اسم الصدر العظم، وكان السلطان يسلّم ختم الدولة إلى الصدر الأعظم إشارة إلى تكليفه بمهامه، وأما أخذ الختم منه فيدل على إقالته من وظيفته، وقد كان ديوان همّايون أعلى مؤسسات الدولة حيث تبرم فيها القرارات بعدما يتم دراسة أهم شؤون الدولة فيها من خلال الاجتماع برئاسة الصدر الأعظم، وبإمكان جميع المواطنين العثمانيين – بغض النظر عن بيئتهم الاجتماعية – التقدم بطلبٍ لديوان

همايون لحلّ مشاكلهم التي لم تحل بسبب المشاكل القانونية في المحاكم المحلية، ما يعني أنها في منزلة المحكمة أيضاً.

٢. المجتمع العثماني:

يطلق على الناس الذين يعيشون في مجموعات منظمة اسم « المجتمع »، وأما المنظمة المنشأة لغرض إدارة هؤلاء الناس فتسمى « الدولة »، وعندما يذكر المجتمع العثماني فإنه يفهم منه جميع من يعيش داخل الأراضي العثمانية.

وفيما يلي الدول المستقلة حالياً والتي كانت ضمن الأراضي العثمانية البالغة حدوداً كبيرة في القرن السادس عشر: تركيا، القرم، أوكرانيا، مولدافيا، سلوفينيا، رومانيا، المجر، ألبانيا، البوسنة، الهرسك، كرواتيا، صربيا، اليونان، مقدونيا، كوسوفا، البلغار، وجميع دول الشرق الأوسط العربية ودول إفريقيا.

يمكن تقسيم المجتمع العثماني إلى قسمين رئيسيين هما الحكّام والمحكومون.

- **الحكّام**: وهذه الفئة هي من سلّمها السلطان سلطة الإدارة وسكان القصر والجند والطبقة العلمية (الفرقة المهتمة بالأمور التعليمية والشؤون القضائية)، والطبقة القلمية (وهي الجماعة البيروقراطية التي تهتم بكل أنواع المراسلات ضمن الدولة)، وأبرز ميزات هذا القطاع عدم دفعه الضرائب، فكانوا يكسبون رزقهم بالأموال التي يأخذونها لقاء خدماتهم.
- **المحكومون**: وأما هذه الجماعة المسمّاة بالرعايا، فهي التي لا تشارك في الإدارة، والتي تكسب عيشها من الزراعة والصناعة والتجارة، وهم الذين يدفعون الضرائب للدولة، وكانت تتألف الرعايا من طوائف منتمية إلى مختلف الأديان والمذاهب والأعراق، حيث تمّ تنظيم المجتمع على أساس العقيدة وليس العرق، وكان يطلق على شكل الإدارة اسم «نظام الأمة» من خلال تنظيم المجتمع وفق صيغة الإيمان، وقد تمّ تأسيس النظام على أساس حاكمية المسلمين، ووفقاً لذلك فقد كانت الأمم الرئيسية في المجتمع العثماني وحسب الترتيب كالتالي المسلمين، اليهود، الأرثذوكس، الأرمن. ثم إن تفرق وانفصال ١٢ مليون نسمة عن الدولة العثمانية في القرن السادس عشر حدث على النحو التالي: ١،٥٣ ٪ مسلمون، و١٤ ٪ مسيحيون، وأما ٥ ٪ من اليهود.

لم يكن ثمة مكان للتمييز الطبقي بين فئات المجتمع العثماني، وكان بمقدور أي أحد الانتقال من فريق المحكومين إلى فريق الحكام، كما بإمكانه الارتقاء إلى صنف الإداريين من خلال التحاقه بالمدرسة أو إظهاره نجاحاً في الجيش أو دخوله إحدى مكاتب الدولة كمتدربٍ، ولم يكن ثمة أثر للنظام الطبقي كما في الهند وأوروبا إبان العصور الوسطى، والمثال التوضيحي على ذلك كون ٤٣ ٪ من الملتحقين بمدرسة فاتح من أصل رعويٍ أي من الرعايا.

وحين فقدت الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر مقداراً كبيراً من أراضيها هاجر الذين فقدوا أراضيهم وبالأخص الأتراك المسلمون إلى الأناضول، وقد أدى استقرار ملايين المهاجرين إلى مشاكل كبيرة، فتغيرت التركيبة السكانية للأناضول، واضّطرب الاقتصاد.

ولقد كان من مزايا القرن الهامة الازدياد السكاني في المدن، وزيادة وسائل النقل والاتصالات والسفن البخارية والسكك الحديدية، ومباني مكاتب البريد والمصارف والدوائر الحكومية الجديدة ومحلات بيع السلع الفاخرة، وبدأ بناء المسارح بدءاً من أكبر المدن في البلاد ثم إلى جميع النواحي، وكانت أول سيارة جُلبت إلى اسطانبول عام ١٨٩٥، كما قد بدأ استخدام الهواتف في هذا التاريخ أيضا، وأما جميع هذه التطورات فقد بدأت تغيّر من بنية المجتمع العثماني ونمطه المعيشي.

٣. التعليم، العلم والفن:

١ . التعليم:

لقد كانت أهم مزايا الفرد في الفترة الكلاسيكية للدولة العثمانية هي أن يكون مطيعاً للدولة، ولذلك كان التعليم متوجهاً إلى تعليم الناس كيف يكونون متدينين وودودين وأوفياء، ثم إن النجاح العلمي يكون بقدر تبني هذه القيمة، لقد كانت مجالات التعليم النظامي منخفضة مقارنة بمعدل السكّان العام حتى القرن التاسع عشر، حيث أُلحِق الأولاد الصغار بمدارس تسمى مكاتب وكانت غالبا بجوار المسجد في كل حيٍّ تقريباً، كما كان ثمة مؤسسات تعليمية مختلفة لأولئك الذين يريدون الحصول على وظائف حكومية أو يرغبون في الالتحاق بالتعليم العالي .

المؤسسات التعليمية في الفترة الكلاسيكية:

أندرون: تمّ إنشاؤه بالمعنى الحقيقي في عهد السلطان محمد الفاتح، كما يمكن وصفه بمدرسة القصر، حيث تمّ أخذ أولاد الجالية المسيحية من أسرهم ليغدوا في سنّ مبكّرة جاهزين لخدمة الدولة من خلال خضوعهم لتدريب صارم في الأندرون بعد تلقيهم تربية إسلامية، وقد نشأ من بين التلاميذ المتلقّين دروسهم عن المعلمين الأجلاء الصدر الأعظم، الوزير، جند رفيعو المستوى، والعديد من الخطاطين والشعراء والموسيقيين والرسامين، ولكن انخفضت أهميتها اعتباراً من القرن التاسع عشر بفتح المؤسسات التعليمية الجديدة إلى أن أغلقت في ١٩٠٩.

المدرسة الدينية: أهم مؤسسات النظام التعليمي والتربوي للدولة العثمانية، ومن المعروف أنّ فتح المدارس الدينية التركية بدأ من قِبل القاراخانيين، ومن ثم طورت هذه المؤسسات بفتح السلاجقة مدرسة النظامية فيما بعد، وقد قام العثمانيون بإنشاء مثل هذه المدارس اقتداء بالدول التركية السابقة، وكانت أكثر أيام المدرسة التعليمية العثمانية ازدهاراً في عهدي الفاتح والقانوني، ولكن مالبث أن بدأ التعليم في المدارس بالتراجع منذ

القرن السابع عشر، حيث افتتحت مؤسسات تعليمية جديدة في القرن التاسع عشر، وجعلت المدارس الدينية في المرحلة الثانية، إلا أنّ هذه المؤسسات حافظت على وجودها حتى السنوات الأولى من الدولة التركية الجديدة.

وكان الالتحاق بالمدارس يتم بعد الفراغ من المكتب، وكانت تُدرَّس فيها العلومُ الدينية إلى جانب العلوم التطبيقية، وأما لغة التعليم فكانت العربية، وانقسمت المدارس فيما بينها إلى أقسام، على سبيل المثال: كانت مدرسة دار الطب تعطي الطب، ومدرسة در الهندسة الرياضيات، وأما مدرسة المتخصصين فعلم الشريعة.

وكان التعليم مجانياً في المدارس، وأما نفقات الطلاب من طعام وكساء وسكن ونفقات المدرسين فيتعهد به وقفٍ تابع للمدرسة. وكان يتخرج من هذه المدارس علماء الدين والقضاة والولاة وعلماء الحساب والفلك والمفكرين العثمانيين. كما كانت لمنشآتٍ رديفة كالجامع والتكية والزاوية و dergâh (مكان لجلوس الشيخ فيه للدرس) و ahi (نقابة) دور مهم في نشر التعليم الديني آنذاك.

مؤسسات التعليم الحديثة:

أخذت المدارس الدينية منذ القرن السابع عشر بالتدهور، حيث أُهمِلَت العلومُ التطبيقية، ولم تواكب حركة النهضة في الغرب، وأضحت غير كافية لتنشئة أناس قادرين على إيجاد حلول للاحتياجات المعاصرة لها بسبب أنها عاجزة عن التجديد الذاتي. وأما المدرسون فكانوا غلابا ضد المؤسسات التعليمية الحديثة، وحالوا دون نجاحها في هذا الأمر.

وقد تمّ افتتاح أول المؤسسات التعليمية على الطّراز الغربي في القرن الثامن عشر:

- معهد الهندسة المفتتح في ١٧٧٣ أولَ مؤسسة علمية على الطراز الأوروبي والتي كان يقوم عليها خبراء أوربيون.
- في عام ١٨٦٩ افتتحت دار الفنون أول جامعة للفنون.
- في ١٨٥٦ افتتحت وزارة التربية والتعليم (وزارة المدرس العامة)، وارتبطت المدارس غير العسكرية بهذه المؤسسة.

الأقلّيات والمدارس الأجنبية:

كان للشعوب التي عاشت في الأراضي العثمانية من غير الأتراك مدارسها الخاصة، والتي كانت غالبا مرتبطة بالكنيسة، يشرف على إدارتها رجال الدين، وليس للدولة أيّ سلطة ولا رقابة على هذه المدارس، مما أتاح لهم حرية توجيه الطلاب وتربيتهم على معارضة العثمانيين في القرن الأخير من الدولة العثمانية.

وقد فتحت هذه المدارس في البلدان المستفيدة من الامتيازات الممنوحة للدول الأجنبية، فبدأ المبشرون المسيحيون بالمجيء إلى البلاد العثمانية بكثافة لما توسعت امتيازات الدين والطقوس وفتح المدارس الممنوحة لهم في القرن التاسع عشر، فعمدت كل من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وإيطاليا وروسيا وألمانيا

إلى فتح المئات من المدارس في مختلف أنحاء الدولة، ثم إنهم وفي حين كان غرضهم في البداية تقديم تعليم ديني وإيجابي إلا أن موقفهم دخل حيّز التدمير تجاه الدولة على مرّ الزمن. ثم إنّ هذه المدارس باتت مجالات عمل الكهنة والجواسيس والسّاسة بما في ذلك الدعاية الدينية والطائفية.

أضحى النظام التعليمي العثماني بعد التنظيمات متمثّلاً بهيكلٍ مزدوج، فمن ناحية مؤسسات تعليمية جديدة ومن جانب آخر عدد كبير من المدارس المفتوحة على الطراز الغربيٍ كلٌّ يحافظ على استمرارية وجوده كمنافس، وأما الطرف الخاسر في هذه المنافسة فكان المدرسة الدينية، وقد أُحرِز تقدمٌ كبيرٌ في مجال التعليم في مطلع القرن التاسع عشر:

- كان يعتبر التعليم بوابة لإنقاذ الدولة المنهارة.
- أضيفت دروس بمضمونٍ اجتماعي وسياسي في المناهج الدراسية.
- بدأ تعلم طرق التدريس من بحث وتحرٍّ ومراقبة.
- أنشأ المعلمون لأول مرة جمعيات مهنية.
- دخلت الفتيات التعليم العالي لأول مرة، غير أن التحرّرية المفرطة في هذه الفترة جلبت التفلت مع مظاهر السلبية.

وكانت تناقش مواضيع التعليم في الصحافة والمجلات، ولكن لم تنتشر هذه التطورات بسبب الحروب الثقيلة التي خاضتها الدولة العثمانية فعجزت عن تخليص الدولة من الانهيار، وأما التحديثات التي كانت قد أطلقت فقد تم مواصلتها في تركيا التي غدت جمهورية، حيث إن النظام التعليمي في تركيا اليوم يسير وفق النمط الأوروبي.

٢. العلم:

بدأت الدراسات العلمية في الدولة العثمانية بافتتاح مدرسة إزنيك عام ١٣٣١، وأما أول علماء ومدرّسي هذه المدرسة فكان داوود القيسري، وفيما يلي بعض علماء فترة التأسيس: خلّف الفناري آثاراً في المنطق والحساب والفلك، وأحمدي في ميدان الطب، وأما العالم المعروف علي كوشجو الذي قصد اسطنبول في فترة الفاتح، فيعتبر مؤسس علم الرياضيات في الدولة العثمانية، وأما سائر علماء الرياضيات المشهورين فملّا لطفي الرومي القاضي زادة، سنان باشا، ونصوح المطرقجي. وبعض المؤرخين: شكر الله آماسيالي، الأنوري، طورسون بك، عاشق باشا زاده، النشري، إبراهيم البجوي، نعيمة، مصطفى علي غَلي بولولو، مصطفى السلانيكي وجودت باشا. إضافة إلى: ملّا خُسروف، زمبيللي علي، جمالي أفندي، كمال باشا زاده، أبو السعود أفندي.

بعض من العلماء المشهورين الناشئين في المدارس الدينية العثمانية:

- في مجال جغرافيا البحر: ريّس بيري وريّس علي سيدي.
- في الفلك محمد تقي الدين (كان المرصد الذي أنشأه في ١٥٨٠ أكثر المراصد تطوّراً في زمنه).

- في الميدان الكوزموغرافي والجغرافي كاتب شلبي (حاجي خليفة) بأثره المسمى كشف الظنون.
- في المجال الطبي شرف الدين صابونجي أوغلو، آلونجو زاده، بَيْ زاده، محمد بن إبراهيم، أمير شلبي.

ولقد تطوّر العلم كثيراً بفضل هؤلاء العلماء الناشئين في المدارس العثمانية وعاشت الدولة أياماً مزدهرة مشرقة، حيث قضتْ الدولة العثمانية فترة آمنة خلال السنوات التي تولى فيها العلماء مهامهم على النحو الأكمل كما هو الحال في كلّ مكان، وأضحتْ الدولة حينها أهم ممثّل للحضارة الإسلامية، ثم إن عمل العلماء بغية اكتشاف أسرار الله يرتقي بالمسلمين ليجعلهم سادة الكون، إلا أنه عندما انحرف العلماء عن أخلاق أسلافهم وصار سعيهم في سبيل الحصول على المال والشهرة تضاعفت هموم الأمة الإسلامية ونفذت الثروات المادية والمعنوية التي في أيديهم، فألغي دور العلماء الكبار لعدم قيامهم بوظائفهم على النحو الصحيح، كما كان لذلك دور كبير في إضعاف الدولة العثمانية إضافة إلى عوامل أخرى سرعت من ذلك.

٣. الفن:

﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾. (المؤمنون، ٢٣).

وفق ما يُفهم من هذه الآية فإن أفعال الناس ما هي إلا جهودهم في تفسير وتأويل وفهم وتقليد المحاسن التي خلقها الله تعالى، فقد خلق الله ﷻ الكائنات والإنسان في أحسن ما يكون، وبتوازنٍ مثالي، والإنسان وحده من أُعطي قابلية فهم الكائنات، وبدورهم البشر سعوا إلى البحث عن سرّ الخلق من خلال المراقبة والتنقيب، فظهر مجالٌ مهنيٌ يُعرَبُ عنه بالفنّ، وبما أن العثمانيين كانوا ممثلي الحضارة الإسلامية فقد كشفوا عن أعمالٍ فنية أصيلة في مختلف المجالات.



جامع السلطان أحمد (القرن السابع عشر) ـ اسطانبول

فكشف الفنّانون الذين نشأوا في فروع الأدب واللّوحات المصغّرة والفخار وتجليد الكتب والخطّ العربي والموسيقى والهندسة المعمارية، كشفوا بما أظهروه من الآثار أيضاً عن الفن الإسلامي في الطراز العثماني، وبلغ فن الخط الذروة على يد العثمانيين، حيث طوّر كلٌّ من الشيخ حمد الله الأماسي وأحمد قارا هيساري وعثمان الحافظ الخط القرآني بالخطوط التي كتبوها، وقد طبعت المصاحف التي كتبوها في سائر البلاد الإسلامية.

ويُعدّ المعمار سنان أحد أهم معماريّ هذه الفترة وأشهرَ اسم في العمارة التركية، حيث أنشأ آثارا جليلة رائعة، ولا زالت جوامع شيخ زاده والسليمانية والسليمية تعكسً لنا إبداعه ومهارته، حيث تخلو آثاره عن التقليد حتى فيما بينها، فقد راعى أن تكون في كل واحدة منها ميزة تفرقها عن مثيلاتها.

ثم إن جامع السلطان أحمد المنشأ من قبل المعمار محمد آغا في القرن السابع عشر يعتبر رمزاً للذوق الفني ورقيه بمآذنه الستّ النحيلة المرتفعة نحو السماء وقبابه الأنيقة.

أسئلة الوحدة الخامسة

ماذا تعلمت ؟

١. ما أثر القومية في تجزئة الدول؟

٢. أي نوع من الأمور أشار إليها الشيخ إدا باللي في نصيحته التي قدمها لعثمان غازي؟

٣. بينوا أسباب ضعف الدولة العثمانية:

٤. أوضحوا الخصائص العامة لنظام التعليم العثماني:

٥. علّقوا على نتائج محاولات التغريب في الدولة العثمانية:

٦. أوضحوا المجالات والميادين التي جرت فيها حركات الإصلاح في الدولة العثمانية مع الأخذ في الاعتبار الفترات التي تحققت فيها:

٧. ناقشوا موقع الدولة العثمانية من الدول الإسلامية:

٨. ما هي الأحداث الأبرز في عهد السلطان سليمان القانوني؟

٩. قدّموا معلوماتٍ عن فعاليات التعليم والعلوم والفنون في الدولة العثمانية:

اختر الإجابة الصحية ؟

١. أيّ الأجابات التالية لا يفسّر الوضع السّياسي للدولة العثمانية في المنطقة التي أسست فيها؟

أ. حماية ميزة امبراطورية الدولة البيزنطية.

ب. الصراعات المستمرة بين إمارات إفلاك، مولدافيا، البوسنة، الهرسك، ألبانيا وممالك البلغار والصرب.

ج. كون دولة الأناضول السلجوقية منهارة.

د. تصرف الإمارات بشكل مستقل.

٢. أيٌّ مما يلي كانت أول عاصمة للدولة العثمانية؟

أ. أدرنة.

ب. إزميت.

ج. بورصة.

د. اسطانبول .

٣. أي مما يلي لم يتحقق في عهد أورخان بك؟

أ. إعلان بورصة عاصمة للدولة.

ب. الانتقال إلى البلقان وبداية الحكم العثماني فيها.

ج. بدء تطبيق سياسة الإسكان (الاستيطان).

د. تصرّف الإمارات بشكل مستقل.

٤. أيّ الخيارات التالية من أسباب توسع الدولة العثمانية في فترة قصيرة؟

١. مجاورة الدولة البيزنطية الضعيفة.

٢. منهج الإدارة القمعية.

٣. ملائمة المنطقة للزراعة وتربية الحيوانات.

٤. سياسة الإسكان.

٥. التنفيذ الناجح لنظام الدولة المركزية.

أ. ٥.　　　ب. ١، ٣، ٤، ٥.

ج. جميعها　　　د. ٣، ٤، ٥.

٥. أيٌّ من السلاطين الواردة أسماؤهم ليسوا من سلاطنة فترة تطوير الدولة العثمانية؟

أ. أورخان غازي.　　　ب. مراد الأول.

ج. محمد الأول.　　　د. مراد الثاني.

٦. أي الأحداث التالية كان مما جرى في مرحلة تطور الدولة العثمانية؟

١. معركة صنديق صرب.

٢. حرب كوسوفا الأولى.

٣. حرب أنقرة.

٤. فتح اسطانبول

٥. حرب كوسوفا الثانية.

أ. ١ و٣ .　　　ب. ١، ٢، ٣ .

ج. ١، ٢، ٣، ٤.　　　د. كلها.

٧. أيّ المعلومات التالية ليس مما يتعلق بحرب صنديك صرب؟

أ. نُقِلَت العاصمة من بورصة إلى إزنيك.

ب. انتصر العثمانيون بالمعركة.

ج. تسارَعَ تقدّمُ المسلمين في البلقان.

د. قّلتْ قوةُ البيزنطيين في البلقان.

٨. أيٌّ من المعلومات التالية لا يتعلق بحرب أنقرة وبفترة خلوّ العرش؟

أ. جرتْ معركة أنقرة بين بيازيد وتيمورلنك.

ب. خسِر بيازيد المعركة.

ج. دامتْ فترة خلوّ العرش ١١ سنة.

د. وصف محمد الثاني بمؤسّس الدولة الثاني لاستعادته النظام في الأناضول من جديد.

٩. أي المعارك التالية استقر بعدها العثمانيون في البلقان بشكل نهائي؟

أ. حرب كوسوفا الأول.

ب. حرب كوسوفا الثاني.

ج. حرب فارنا.

د. حرب نيكوبوليس.

١٠. أيٌّ مما يلي ليس من ضمن سلاطنة دور الازدهار والارتقاء؟

أ. السلطان سليم الأول.

ب. السلطان سليمان القانوني.

ج. السلطان محمود الثاني.

د. السلطان محمد الفاتح.

١١. أيٌّ مما يلي لم يكن ضمن الأحداث الواقعة في مرحلة ازدهار وارتقاء الدولة العثمانية؟

أ. فتح اسطانبول.

ب. فتح الصرب، بوسنة والهرسك.

ج. حصار فيينا الأول .

د. نصر كوسوفا الثاني.

١٢. أي الخيارات التالية من أسباب قيام محمد الفاتح بفتح اسطانبول؟

١. إظهار البيزنطيين صعوبة من وقت لآخر لانتقالِ العثمانيين من الأناضول إلى روملي.

٢. كون اسطانبول مركزاً ثقافياً هاماً.

٣. تحريض البيزنطيين دول أوروبا ضد العثمانيين.

٤. حديث النبي ﷺ في هذا الشأن.

٥. موقع اسطانبول الجغرافي.

أ. ٢ ، ٣ و٥ .   ب. جميعها.

ج. ٢ و ٥ .   د. ١ و ٤.

١٣. أيٌّ مما يلي لم يكن من ضمن التدابير الدفاعية التي اتخذها البيزنطيون أثناء تجهيزات السلطان محمد الثاني للفتح؟

أ. طلب المدد العسكري من الشرق الأوسط.

ب. الأمر بإعادة تشييد الأسوار المهدمة.

ج. طلب العون من الدول المسيحية.

د. إعادة بناء القلاع.

١٤ . أي مما يلي لم يكن من ضمن التجهيزات التي قام بها محمد الفاتح لفتح اسطنبول؟

أ. تنظيمه حصار روملي لمراقبة المضيق.

ب. نصبه مدافع كبيرة في أدرنة.

ج. تأسيسه قوة بحرية عظيمة للغارات البحرية.

د. تنظيمه حصار الأناضول.

١٥ . أي مما يلي ليس ضمن نتائج فتح اسطنبول؟

أ. ظهرت الإقطاعيات في أوروبا.

ب. انهارت الامبراطورية البيزنطية.

ج. غدت اسطنبول مركز العلم والحضارة.

د. أضحت طرق التجارة الهامة تحت سيطرة الأتراك.

١٦ . أي من الإمارات التالية لم تتسبب بصعوبات للدولة العثمانية بعد فتح اسطنبول؟

أ. إمارة إسفنديار.

ب. إمارة ضول قدر أوغوللار.

ج. قارامان أوغوللار .

د. دولة آق قويون.

١٧ . بعد أيّة معركة انتقلت الخلافة إلى العثمانيين؟

أ. فتح اسطنبول.

ب. حصار فيينا الأول.

ج. حرب الريدانية.

د. حرب كوسوفا الثاني.

١٨ . أيٌّ مما يلي كان ضمن نتائج حرب الريدانية؟

١ . انتقال الأراضي المقدسة كمكة والمدينة إلى يد العثمانيين.

٢ . انتقال الخلافة إلى الدولة العثمانية.

٣ . جلب الأمانات المقدسة إلى اسطنبول.

٤ . انتقال طريق الحرير إلى يد العثمانيين.

٥ . انتقال طريق بهارات إلى العثمانيين.

أ. ١، ٢، ٣ و٥ ب. جميعها

ج. ١، ٢، ٣ و٤ د. ٢، ٣ و٥.

١٩ . في زمن أي حاكمٍ جرت المعارك التالية؟

«فتح بلغراد، معركة ميدان موهاج، حصار فيينا الأول، معركة بريفيزا البحرية»

أ. السلطان محمود الثاني.

ب. السلطان محمد الفاتح.

ج. السلطان يافوز سليم.

د. السلطان سليمان القانوني.

٢٠ . أيٌّ مما يليلم يكن ضمن التطورات التي ساهمت في استقرار حكم العثمانيين في إفريقيا؟

أ. الاستيلاء على المغرب

ب. الاستيلاء على تونس

ج. الاستيلاء على بلغراد

د. الاستيلاء على الجزائر.

٢١. أيٌّ مما يلي كان ضمن الأسباب التي منعت الدولة العثمانية من التطور أثناء مرحلة التوقف؟

١. تطوّر الجيوش الأوروبية من الناحية التقنية.

٢. استلام الأمراء صغار السن الحكم.

٣. تدخل السلطانة الوالدة في شؤون الدولة.

٤. توقيع معاهدة كارلوفجة.

٥. تمرّد الجند ضد رجال الدولة والسلاطين.

أ. ١، ٢، ٣، ٥. ب. جميعها.

ج. ٢، ٣، ٥. د. ٣، ٤، ٥.

٢٢. أيّ مما يلي لم يكن ضمن من انضموا إلى تمرّد جلالي في دور التوقف؟

أ. الإداريون المُعودين للإدارة المركزية.

ب. خريجو المدارس العاطلين عن العمل.

ج. القرويون الذين ثقلت عليهم الضرائب الظالمة.

د. الجند.

٢٣. أيٌّ مما يلي ليس من سلاطنة دور التوقف؟

أ. السلطان أحمد الأول.

ب. السلطان مراد الرابع.

ج. السلطان محمد الثالث.

د. السلطان محمد الرابع.

٢٤. أيٌّ مما يلي لم يكن ضمن الدول المشاركة في الاتفاق المقدس؟

أ. البندقية.

ب. إيران.

ج. مالطة.

د. روسيا.

٢٥. أي الدول التالية كانت الأكثر إجهاداً للدولة العثمانية منذ القرن الثامن عشر وحتى سقوطها؟

أ. النمسا. ب. البندقية.

ج. إيطاليا. د. روسيا.

٢٦. أي الإصلاحات التالية لم يتحقق في القرن الثامن عشر؟

أ. تأسيس أول مطبعة تركية.

ب. منع الطبقة العلمية من التدخل في شؤون الدولة.

ج. تأسيس جيش النظام الجديد كقوة عسكرية على غرار النمط الأوروبي.

د. افتتاح سفارات دائمة في أوروبا.

٢٧. أيٌّ مما يلي لم يمكن ضمن الهدف من الإصلاحات المتحققة في القرن التاسع عشر؟

أ. منع انفصال غير المسلمين المتمردين عن الدولة.

ب. تأمين مساعدة الدول الأوروبية.

ج. تأمين التفاهم والانسجام بين الدولة والأمة.

د. تحديث الدولة والمجتمع بما يتماشى مع التطورات في أوروبا.

٢٨. أي مما يلي من بين الإصلاحات المتحققة في القرن التاسع عشر؟

١. التعديلات الحاصلة على نمط الملابس.

٢. فتح المدارس في شتى المجالات.

٣. العثور على لقاح ضد الجدري.

٤. إنشاء أول فرقة إطفائية.

٥. إرسال طلاب لأول مرة إلى أوروبا.

٦. إلغاء القوات الإنكشارية.

أ. ١، ٢، ٣، ٤. ب. ٣، ٤.

ج. جميعها. د. ١، ٢، ٥، ٦.

٢٩. أيٌّ من المعلومات التالية مغلوطة حول سياسة الوحدة الإسلامية؟

أ. هذه السياسة تتناسب ومصالح البريطانيين.

ب. ساند السلطان غير المسلمين المتواجدين في الدول المستَعمَرة.

ج. نفّذ السياسة عبد الحميد الثاني.

د. تم تطبيق هذه السياسة لمقاومة المسلمين ضد القوى الأوروبية الاستعمارية.

٣٠. أي من الألقاب التالية ليس ضمن ما استخدمه السلاطنة؟

أ. الامبراطور.

ب. السلطان.

ج. الباديشاه.

د. الخاقان.

٣١. من المسؤول عن تنشئة الأمراء أولاد السلاطين؟

أ. الباديشاه.

ب. الوزير.

ج. لالا.

د. الصدر الأعظم.

٣٢. أيٌّ مما يلي يعتبر مساعد السلطان الأول؟

أ. لالا.

ب. الصدر الأعظم.

ج. الوزير .

د. الأمير.

٣٣. أي مما يلي لا يعتبر من صنف الإداريين في المجتمع العثماني؟

أ. سكان القصر. ب. الطبقة العلمية.

ج. الجند. د. المشتغلين بالتجارة.

٣٤. أيٌّ من المعلومات التالية مغلوط فيما يتعلق بمدرسة أندرون؟

أ. لا تقبل المدرسة سوى الأطفال المسلمين.

ب. يمكن أن توصف مدرسة أندرون ب« مدرسة القصر».

ج. أغلقت مدرسة أندرون في سنة ١٩٠٩ .

د. يمكن للطلاب الناشئين في هذه المدرسة أن يصبح أحدهم الصدر الأعظم أو الوزير.

٣٥. أي مما يلي معلومة مغلوطة فيما يتعلق بالمدارس العثمانية؟

أ. لغة التدريس هي العربية.

ب. يتم تغطية رواتب المدرسين من الأوقاف.

ج. التعليم مجاني.

د. تدرس العلوم الشرعية لا غير في المدارس.

٣٦. من صاحب كتاب «كشف الظنون»؟

أ. ريس بيري.

ب. كاتب شلبي.

ج. علي كوشجو.

د. أمير شلبي.

٣٧. أي مما يلي ليس من آثار المهندس المعماري سنان؟

أ. جامع السليمانية.

ب. جامع السليمية.

ج. جامع شيخ زاده.

د. جامع السلطان أحمد.

املأ الفراغات ؟

املأ الفراغات التالية بما هو مناسب من الكلمات التي بين القوسين:

(عبد الحميد الثاني، ٢١. ١٩٢٤، مراسم التعيين (صانجاقا تشيكما)، أورخان بك، صنديك صرب، سياسة التوازن، العسكري، محمد شلبي، اسطنبول ـ السلطان سليمان القانوني، الانحدار ـ السقوط، كارلوفجة، قصر شيرين، بودوليا، السلطان سليم الأول، مصر ، الإصلاح، الانحدار ـ السقوط، بريفيزا، طرابلس، المجر ـ النمسا، التنظيمات، علي كوشجو، معمار سنان، الفاتح ـ القانوني، معهد المهندسين، ديوان همّايون، الرعايا، المدارس)

١. أسست الدولة بمعناها الحقيقي في عهد ....

٢. تعتبر .... أول حرب عثمانية صليبية.

٣. يوصف .... بالمؤسس الثاني للدولة العثمانية.

٤. يمتد دور الازدهار وارتقاء الدولة العثمانية من فتح .... وحتى وفاة ....

٥. يرجع لقب خادم الحرمين الشريفين إلى ....

٦. جرت معركة الريدانية بين العثمانيين و ....

٧. يعتبر عهد .... أقوى فترات الدولة العثمانية من الجوانب الاقتصادية والسياسية والعسكرية في الغرب وفي الشرق.

٨. غدت السيطرة الحقيقية في البحر الأبيض في يد الأتراك عقب انتصار ....

٩. تعدّ .... آخر قطعة أرض فقدها العثمانيون في إفريقية.

١٠. يمتدّ دور التوقف في الدولة العثمانية من حين وفاة الصدر الأعظم محمد صوكوللو وحتى معاهدة ... .

١١. أصبحت الحدود التركية والإيرانية واضحة بمعاهدة ....

١٢. كان الاستيلاء على .... في دور التوقف، استيلاء للمرة الأخيرة على الأراضي في الغرب.

١٣. فقدت الدولة العثمانية قطعة من أراضيها لأول مرة بمعاهدة ....

١٤. كان السبب في حصار فيينا الثاني تدخّل العثمانيين في تمرّد حدث في .... وخوضهم حرباً مع ....

١٥. يطلق على التدابير المتخذة والأعمال المتحققة لتصحيح الاضطرابات التي تطرأ على إدارة الدولة وسير عمل المؤسسات، اسم ....

١٦. ركّزت الدولة العثمانية على الأنظمة والقوانين الموافقة للطراز الأوروبي لأول مرة في دور .... و ....

١٧. يطلق على استخدام الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر الدول الأوروبية ضد بعضها البعض أو التعاون معها بقصد القضاء على ضعفها السياسي والعسكري اسم ....

١٨. تحققت أغلب الإصلاحات في القرن الثامن عشر في ميدان ....

١٩. بدأ مفهوم كل من القانون والجيش والتعليم وأسلوب الإدارة يتغير جذرياً مع إعلان مرسوم ....

٢٠. يعدّ .... آخر خلفاء الدولة العثمانية.

٢١. ألغيت الخلافة عام ....

٢٢. يطلق على تعيين الأمراء في سنّ صغيرة على مدن معينة من الدولة كإداريين اسم ....

٢٣. يعتبر .... المؤسسة التي يتم فيها استشارة شؤون الدولة الهامة واتخاذ القرار فيها في الدولة العثمانية.

٢٤. يطلق على الطبقة غير المشاركة في الإدارة والتي تكسب عيشها عن طريق الزراعة والإنتاج في الميادين الصناعية والاشتغال بالتجارة اسم ....

٢٥. تعدّ .... أهم مؤسسات نظام التعليم والتربية في الدولة العثمانية.

٢٦. ازدهرت المدرسة العثمانية في عهد ....و.. ....

٢٧. تعتبر .... أول مؤسسةٍ تعليمية على النمط الغربي والتي عمل فيها الخبراء المجلوبون من أوروبا.

٢٨. يعتبر .... مؤسس علم الرياضيات لدى العثمانيين.

٢٩. إن اسم أشهر المعماريين الأتراك هو ....

اختبر معلوماتك ؟

ضع حرف «ص» على المعلومات الصحيحة وحرف«خ» على المعلومات الخاطئة فيما يلي:

١	استشهد مراد الأول في حرب كوسوفا الأول.	
٢	كان الفوز في معركة كوسوفا الأولى للصليبين.	
٣	تعتبر حرب فارنا أول حرب عثمانية صليبية.	
٤	يعتبر عهد السلطان سليمان القانوني أطول فترات الحكم .	
٥	وقعت معاهدة قصر شيرين مع العراق.	
٦	كانت الإصلاحات المتحققة في القرن الثامن عشر أشمل من المتحققة في القرن السابع عشر.	
٧	لم تكن الفئة الإدارية تدفع ضريبة للدولة في المجتمع العثماني.	
٨	تم تأسيس مدرسة أندرون وتكوّنها على النحو الكامل في عهد السلطان محمد الفاتح.	
٩	فتحت أول مؤسسات التعليم على النمط الغربي في القرن السابع عشر.	
١٠	أنشئ جامع السلطان أحمد من قبل المعمار محمد آغا.	

قائمة المراجع

١. ضيا نور آك صون، Osmanlı Tarihi، ١ ـ ٨.
٢. عرفان آي جان، إبراهيم صاري تْشَام، Emeviler، ١٩٩٣.
٣. DİA (الموسوعة الديانية التركية الكبرى)،« مادة أموي، مادة عباسي، مادة أندلس »، اسطانبول، ١٩٩٢.
٤. إيْلْكْ نور بولات حيدر أوغلو،Osmanlı İmparatorluğunda Yabancı Okullar، أنقرة، ١٩٩٣.
٥. صبري هيزمتلي، İslâm Tarihi، أنقرة، ١٩٩١.
٦. الطانجي ابن بطوطة، رحلة أبي عبد الله محمد بن بطوطة. Ebu Abdullah Muhammed b. Batuta Seyahatnamesi، اسطانبول، ٢٠٠٤.
٧. أكمل الدين إحسان أوغلو، Osmanlılar ve Bilim، اسطانبول، ٢٠٠٣.
٨. خليل إينالجِك، Osmanlı İmparatorluğu Klasik Çağ، اسطانبول، ٢٠٠٣.
٩. إبراهيم قفص أوغلو، حقي دورسون يلدز، أردوغان مرتشيل، Müslüman-Türk Devletleri Tarihi، اسطانبول، ١٩٩٩.
١٠. كمال قارا، Tarih II، اسطانبول، ١٩٩٦.
١١. كمال قارا، Osmanlı Tarihi، اسطانبول، ١٩٩٨.
١٢. محمد مقصود أوغلو، Osmanlı Tarihi، اسطانبول، ١٩٩٦.
١٣. أحمد قاواص، Geçmişten Günümüze Afrika، اسطانبول، ٢٠٠٥ .
١٤. كمال قاربات، Uluslaşma Osmanlılarda Değişim، Modernleşme ve، اسطانبول، ٢٠٠٦ .
١٥. فؤاد كوبرولو، Osmanlı İmparatorluğu'nun Kuruluşu، اسطانبول، ١٩٩١ .
١٦. محمد أوزدمير، إبراهيم صاري تشام، سيف الدين أرشاهين، İslam Tarihi، اسطانبول، ٢٠٠٨.
١٧. رمضان أوزاي، İslam Dünyası، اسطانبول، ١٩٩٦.
١٨. رضا ساواش، سليمان غانج، İslam Tarihi Atlası، إزمير، ٢٠٠٢.
١٩. ستانفورد، شاو، Osmanlı İmparatorluğu ve Modern Türkiye، الجزء الثاني، اسطانبول، ١٩٨٣.
٢٠. طاهر أردوغان شاهين، İslam Tarihi، أنقرة.
٢١. عثمان طوران، Selçuklular Tarihi، اسطانبول، ١٩٨٠.
٢٢. عثمان نوري طوب باش، Abide Şahsiyetleri ve Müesseseleriyle Osmanlı، اسطانبول، ١٩٩٩.
٢٣. إسماعيل حقي أوزون تشارشِلي، Osmanlı Tarihi، الجزء ١ ـ ٦. أنقرة، ١٩٨٣.
٢٤. بحرية أوجوك، İslâm Tarihi Emevîler-Abbasîler، أنقرة، ١٩٨٣.

٢٥. حياتي أُولكو، Başlangıçtan Günümüze İslam Tarihi، اسطانبول، نوري أُونلو، İslâm Tarihi، ١، اسطانبول، ١٩٩٢.

٢٦. عمر فاروق يلماز، Osmanlı Tarihi، اسطانبول، ١٩٩٩.

٢٧. نسيمي يازجي، İlk Türk-İslam Devletleri Tarihi، أنقرة، ١٩٩٢.

٢٨. جورجي زيدان، İslâm uygarlıklar Tarihi، ١، (ترجمها إلى اللغة التركية الحالية مع التعليقات نجدت غوكهان) اسطانبول، ٢٠٠٤.

مفتاح الأجوبة

الوحدة الأولى

اختر الإجابة الصحيحة:

١.ج ٢.ب ٣.ج ٤.ب ٥.ج ٦.ب ٧.أ ٨.د ٩.ب ١٠.ب
١١.ج ١٢.د ١٣.ج ١٤.ب ١٥.أ ١٦.ب ١٧.د

املأ الفراغات:

١. اليمامة ٢. الشام ٣. اليرموك ٤. الصديق ٥. نهاوند ٦. سيدنا عثمان
٧. بشرط ٨. قتلة سيدنا عثمان ٩. عبد الله بن سبأ ١٠. الشيعة، الأمويين، الخوارج.

اختبر معلوماتك:

١.خ ٢.ص ٣.خ ٤.خ ٥.ص ٦.ص ٧.خ
٨.ص ٩.ص ١٠.خ ١١.خ ١٢.ص ١٣.ص

الوحدة الثانية

اختر الإجابة الصحيحة:

١.ب ٢.أ ٣.د ٤.أ ٥.د ٦.ج ٧.د ٨.ب ٩.د ١٠.د
١١.أ ١٢.ب ١٣.ج ١٤.أ ١٥.د ١٦.ب ١٧.أ ١٨.ج ١٩.د ٢٠.أ.

املأ الفراغات:

١. سيدنا الحسين ٢. عبد الملك بن مروان ٣. عمر بن عبد العزيز ٤. المساواة ٥. طلاس ـ الصين
٦. بيت الحكمة ٧. مدرسة النظامية ، نظام الملك ٨. الأمويين ـ الدولة العباسية
٩. استيلاء المغول على العالم الإسلامي ١٠. طارق بن زياد.

اختبر معلوماتك:

١.ص ٢.خ ٣.ص ٤.ص ٥.خ ٦.ص ٧.ص ٨.خ ٩.ص ١٠.خ ١١.ص

الوحدة الثالثة

اختر الإجابة الصحية:

١. ب ٢. ب ٣. د ٤. ج ٥. أ ٦. د ٧. ب ٨. ج ٩. د ١٠. ب
١١. د ١٢. د ١٣. أ ١٤. ج ١٥. ب ١٦. أ ١٧. أ ١٨. د

املأ الفراغات:

١. عبد الله بن مالو ٢. سلطنة كيلوة ٣. أحمد جران–البرتغال ٤. عقبة بن نافع
٥. عبد الكريم بن جامع ٦. معبر سينا ٧. عمر بن محمد الأمين الكانمي ٨. عبد الكريم المغيلي
٩. بلاد السودان ١٠. إدريس الونة ١١. الفلاتة – الكانوري – العرب ١٢. الآلة
١٣. عبد الملك بن مروان ١٤. دكار (عاصمة السنغال) ١٥. التجارة– البحر
١٦. سني علي بن ضياء ١٧. مؤتمر برلين ١٨. المصحف – اللوح الخشبي

اختبر معلوماتك:

١.ص ٢.ص ٣.ص ٤.خ ٥.خ ٦.ص ٧.ص ٨.ص ٩.خ ١٠.خ

الوحدة الرابعة

اختر الإجابة الصحية:

١. ج ٢. ب ٣. أ ٤. ج ٥. د ٦. أ ٧. ب ٨. ج ٩. ب ١٠. د ١١. أ
١٢. ج ١٣. د ١٤. د ١٥. ب ١٦. ب ١٧. ج ١٨. أ.

املأ الفراغات:

١. خراسان ٢. عبد الكريم ساتوك بغرا خان ٣. السلاجقة ٤. البيزنطيين، الحملات الصليبية، المغول
٥. المنصور ٦. بابك الخرمي ٧. المدرسة النظامية ٨. ابن سينا ٩. البيروني ١٠. داندانقان
١١. ميدان ملاذكرد ١٢. السلطان ألب أرسلان ١٣. حسن صباح ١٤. السلطان سنجر
١٥. الحملات الصليبية

اختبر معلوماتك:

١. ص ٢. خ ٣. ص ٤. خ ٥. ص ٦. خ ٧. خ ٨. خ ٩. ص ١٠. ص ١١. ص.

؟ الوحدة الخامسة

اختر الإجابة الصحيحة:

١. أ ٢. ج ٣. د ٤. ب ٥. أ ٦. د ٧. أ ٨. د ٩. ب
١٠. ج ١١. د ١٢. ب ١٣. أ ١٤. د ١٥. أ ١٦. ب
١٧. ج ١٨. أ ١٩. د ٢٠. ج ٢١. أ ٢٢. د ٢٣. ج ٢٤. ب
٢٥. د ٢٦. ب ٢٧. ج ٢٨. د ٢٩. أ ٣٠. أ ٣١. ج ٣٢. ب
٣٣. د ٣٤. أ ٣٥. د ٣٦. ب ٣٧. د.

املأ الفراغات:

١. أورخان بك. ٢. صنديك صرب. ٣. محمد شلبي. ٤. اسطنبول ـ السطان سليمان القانوني.
٥. السلطان سليم الأول. ٦. مصر . ٧. السلطان سليمان القانوني. ٨. بريفيزا. ٩. طرابلس.
١٠. كارلوفجة. ١١. قصر شيرين. ١٢. بودوليا. ١٣. كارلوفجة. ١٤. المجر ـ النمسا
١٥. الإصلاح. ١٦. الانحدار ـ السقوط. ١٧. سياسة التوازن. ١٨. العسكري.
١٩. التنظيمات. ٢٠. عبد الحميد الثاني. ٢١. ١٩٢٤. ٢٢. مراسم التعيين (صانجاقا تشيكما).
٢٣. ديوان همّايون. ٢٤. الرعايا. ٢٥. المدارس. ٢٦. الفاتح ـ القانوني ٢٧. معهد المهندسين.
٢٨. علي كوشجو . ٢٩. معمار سنان.

اختبر معلوماتك:

١. ص ٢. خ ٣. خ ٤. ص ٥. خ
٦. ص ٧. ص ٨. ص ٩. خ ١٠. ص.